

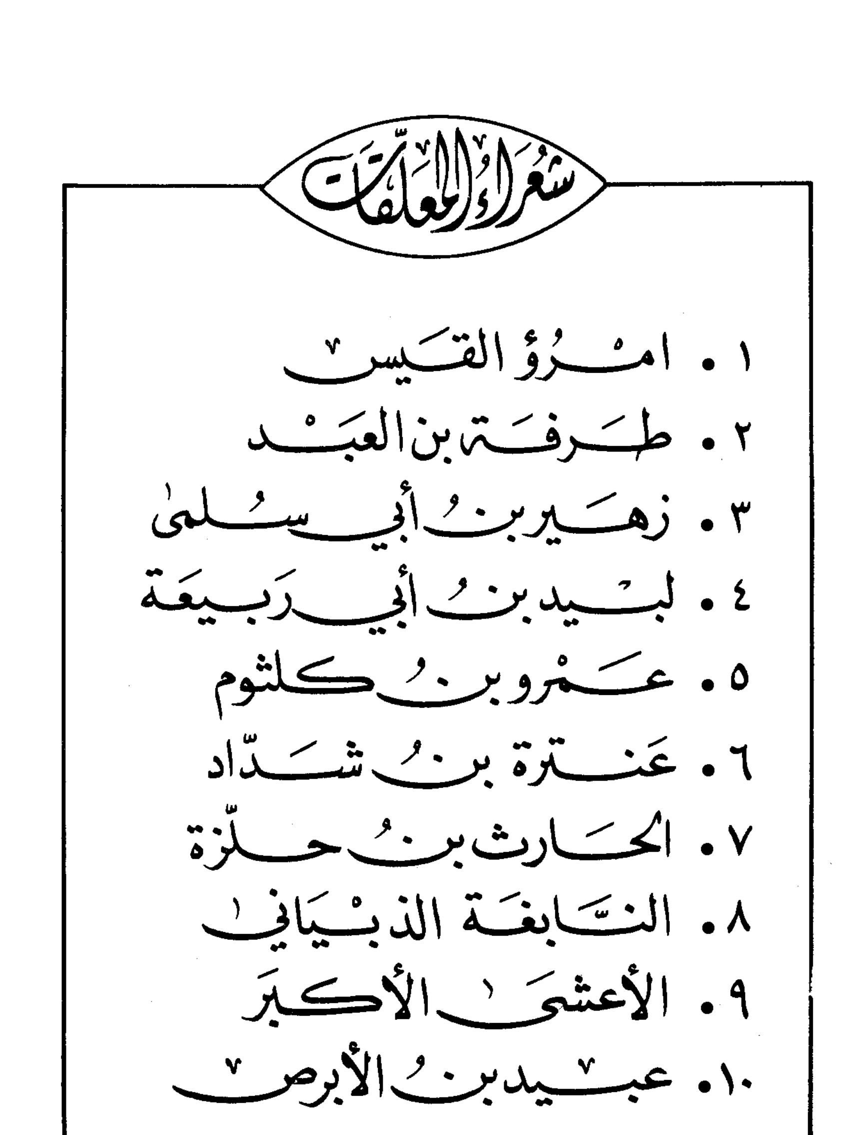
للقاضي الإمام أبو عبد الله
الحسين بن أحمد بن الحسين

الزوزني

مع مقدمة لتاريخ ومكانة أصحاب المعلقات

٧

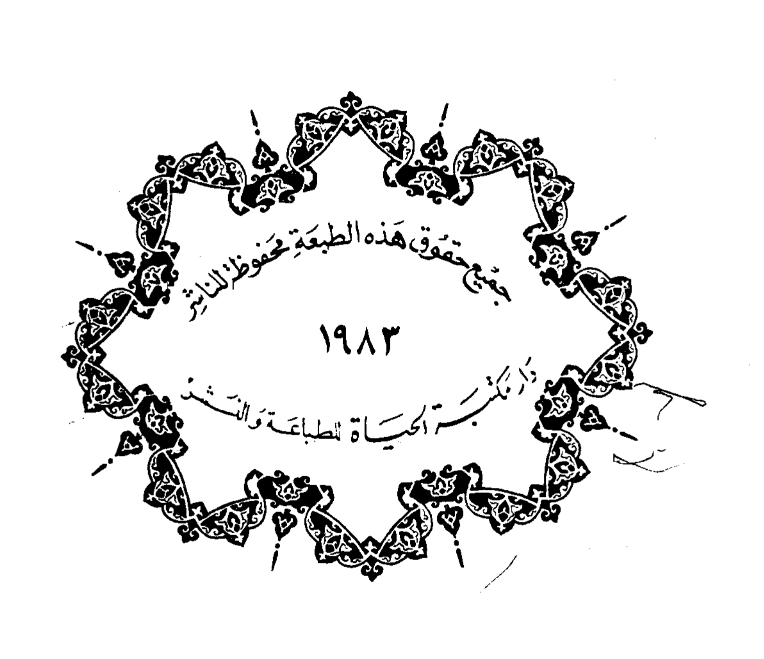
منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان



شعراء المعلقات

١. امرؤ القيس
٢. طرفة بن العبد
٣. زهير بن أبي سلمى
٤. لبيد بن أبي ربيعة
٥. عمرو بن كلثوم
٦. عنترة بن شداد
٧. الحارث بن حلزة
٨. النابغة الذبياني
٩. الأعشى الأكبر
١٠. عبيد بن الأبرص

شرح
المعلقات العشر


جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر
١٩٨٣
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر

مقدمة الناشر

الأدب والشعر قبل الإسلام

قصة المعلقات وتاريخها ..

أوليات الشعر

ترى متى كان ظهور الشعر العربي في الجزيرة .. ؟

ومتى كانت أولياته ، فالشعر الذي وصل إلينا ، والذي لا يمتد الى اكثر من نيف ومائة سنة قبيل الإسلام، كامل مستقيم في أوزانه وتعابيره ، ومعانيه ، واذاً فقد كان هناك شعر قبل هذا التاريخ ، وكان هناك بالتأكيد محاولات شعرية تعثرت ولم تستقم ، لا وزناً ولا نسجاً ، ولا صياغة ولا معنى ، ولا بد ان تكون قد مرّت على هذه المحاولات فترة من الزمن ، استقر فيهـــا الشعر ، وتماسكت حلقـــاته ، وانتظمت قوافيه وأوزانه ، حتى انتظم في الشكل الذي نجده في المعلقات وغير المعلقات من شعر العرب قبيل الإسلام ..

بعض شعراء العصر الذي سبق الإسلام كامرىء القيس وعنترة مثلاً، ذكرا ان هناك شعراء سبقوهما ، فقال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم   أم هل عرفت الدار بعدتوهم

وقال امرؤ القيس :

عوجاً على الطلل المحيل لعلنا   نبكي الديار كما بكى ابن خزام

فمن يكون (ابن خزام) هذا .. ؟ اننا لم نسمع باسمه قبل ان يذكره امرؤ القيس ، ولا وصلنا شيء من شعره ..

وكان الشاعر قبل الإسلام لسان حال قبيلته .. والمدافع عنها المنافح عن آمالها ، والمنتقد لخصومها ، والناشر لمفاخرها وأمجادها ، يحمسها في الحرب ، ويشيد ببطولتها وانتصاراتها بعد الحرب ، وكانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر فرحت واستبشرت وأقامت الحفلات ، ونصبت المآدب لضيوف المهنئين ..

والشعر العربي ، كما وصل إلينا ، كان مقسماً الى أبواب ، من حماسة وأدب وغزل وهجاء وقصص ، وان كانت ناحية القصص ضعيفة جداً عندهم لا تساوي أمثالها عند الغربيين واليونان ..

والشعر العربي الى هذا وصف مزين بالشواهد لحياة الجاهلية وأفكارها ، كما يقول الاستاذ نيكلسون استاذ تاريخ الأدب العربي في جامعة كمبردج في كتابه « تاريخ اللغة العربية » .. ويتابع قائلاً : ان مزايا العصر الجـــاهلي وخواصه مرسومة صورها بأمانة ووضوح في الأغاني والأناشيد التي نظمها الشعراء الجاهليون.

« كما أن الأدب الجاهلي المنظوم منه والمنثور يمكننا من تصوير حياة تلك الأيام القاسية الجاهلية تصويراً أقرب مايكون الى الدقة .. في مظاهره الكبرى .. »

وأيّد المؤرخ الفرنسي رينان هذه الفكرة فقال : « ان الشعر الجاهلي لم يفقد قيمته التاريخية والأدبية من حيث هو تصوير صادق للحياة الجاهلية .. »

وقال المستشرق الايطالي غويدي ما معناه : « ان قصائد القرن السادس البديعة تؤكد انه سبقها محاولات طويلة استعدادية في الشعر حتى استقر على هذا النحو .. »

الجزيرة العربية

في هذه الجزيرة العربية الواقعة في الطرف الغربي من آسيا ، والتي يحيط بها الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر ، كان موطن العرب ومنازلهم ، وقد

قسموها الى أقسام :

اليمن : وهو بالجنوب وتنقسم الى حضرموت ، ومهرة ونجران وعمان والشحر ..

الحجاز : ومن مدنه مكة والمدينة ، والطائف وجدة ..

تهامة : وهي بين الحجاز واليمن ..

نجد : وهي بين الشام والعراق واليمامة والحجاز ، وهي أطيب أرض في بلاد العرب ..

اليمامة : وتسمى العروض لاعتراضها بين نجد والحجاز ..

وكان أكثر سكان الجزيرة من البدو ، وقد ألفوا قبل الإسلام قبائل تنازع بعضها الرئاسة والزعامة والحياة ، وقد انقسمت هذه القبائل بدورها الى جماعات خلقت لنفسها انساباً ، وتفاخر العرب بهذه الأنساب ، وتناجزوا لأجلها حتى أصبحوا ، ولكل قبيلة منهم عصبية خاصة لها .. مختصة بها ..

والثابت اليوم انه لما جاء الاسلام كان العرب يرجعون بأنسابهم الى أصول ثلاثة مضر وربيعة واليمن ، وقد أخذ شعراء هذه القبائل يفخرون بأنسابهم وأمجادهم يستغلون هذه الظاهرة الحزبية ، وينقلونها معهم اينما ساروا وذهبوا ..

وكان أهل اليمن من المتحضرين والمستقرين في منازل لهم .. وأما المضريون أو العدنانيون ، نسبة الى عدنان ، أحد أحفاد اسماعيل ، وكانت منازلهم شمالي بلاد اليمن في تهامة ونجد والحجاز الى مشارق الشام والعراق ، فقد كانوا بدواً ينتقلون من مكان الى آخر في طلب الماء والكلأ .. قد تأصلت في نفوسهم طبائع البدو من النجدة ، وحب الغزو والميل الى الانتقام والأخذ بالثأر ، وكان العربي منهم حين يفتح عينيه لا يرى غير السيف ، ولا يسمع غير صهيل الخيل ، ولم يكن لهم حمى يلجأون إليه الا ظهور خيلهم ، ومقابض سيوفهم فرسخت فيهم صفات الفروسية وقوة المراس وكثرة الفتك والنهب ، وقد تنازعوا على المرعى ، واختلفوا على الماء ، وحكموا السيف في خلافاتهم فانتشرت بينهم العداوة وفشت

الحروب .. حتى جاء الإسلام فقضى على هذه الخلافات ، ووضع حداً لسفك الدماء ..

خصائص الشعر العربي الأول

والشعر الجاهلي أو الشعر العربي الأول صورة صادقة لحياة العرب الاجتماعية ، صدر عن نفس الشاعر ، وخلا من التقليد ، وابتعد عن التكلف ، وهذا نتيجة الحياة البدوية فكلما كانت الحياة ساذجة لا تكلف فيها ولا تعقيد ، كلما كان الشعر ساذجاً صادقاً قريباً من الطبيعة الخشنة التي يحيا فيها ..

والقصائد عند شعراء الجاهلية تسير في كثير من الأحايين على منهج واحد .. فتبتدىء بالتشبيب بالمرأة ، ثم يتحدث الشاعر عن جواده أو ناقته وسرعتها وسهولة سيرها ، وأخيراً ينتقل الى غرضه من القصيدة فجأة من غير تكلف فيفخر بقبيلته أو يهجو غيرها ، أو يصف موقعة ، أو يحذر قوماً أو شخصاً من الاعتداء عليه..

ثم ينتهي من قصيدته من غير تكلف ، وأوضح ما يمثل هذه الخصائص المعلقات ، وقد بلغ أطولها مائة بيت وخمسة أبيات ، وأقصرها اربعة وستين بيتاً ..

والشعر الجاهلي الى هذا لم يدوّن الا في العصر العباسي .. وقبل هذا التاريخ كان يدور على ألسنة الرواة ، وكان لكل شاعر في الجاهلية راوية يحفظ شعره ويروي عنه ، وقد يكون هذا الراوي شاعراً أيضاً ..

والتأخر في تدوين الشعر الجاهلي جعل بعض الكتاب يشكون في كثير من الأبيات والقصائد التي وصلتنا ..

ولقد وصلنا الشعر الجاهلي جميعه بلغة عدنان ولم يصل إلينا شعر يمني .. وكان لليمنيين لغة تخالف لغة العدنانيين ، ولكن لغة هؤلاء سيطرت وفازت على غيرها لأسباب كثيرة أهمها : هجرة بعض القبائل اليمانية الى ديار المضريين بالشمال

وتكلمهم بلغتهم .. وزيارة القبائل مكة ، موطن قريش ، لزيارة الكعبة حيث كانت اصنامهم ..

ثم اجتماع القبائل في الأسواق المختلفة وأهمها سوق عكاظ قرب مكة وعرضهم فيه خطبهم وشعرهم ..

وكان للعرب في جاهليتهم ، كما كان لغيرهم من الامم مواسم عامة يؤمها أصحاب المصالح من جميع القبائل ويسمونها اسواقاً ، وكان من اعظمها سوق عكاظ ، وهو نخل بين نخلة والطائف ، يقصده كثير من العرب من كل حدب وصوب في شهر شوال وقيـــل في ذي الحجة ، فيقيمون فيه سوقاً نحو شهر من الزمن ، يبيعون ويشترون ويقضون امورهم .. ويتحدثون ويتندرون بعضهم الى بعض ..

وكان الشعراء منهم في هذه المدة يغتنمون فرصة اجتماع هذا الجمع الحاشد من أبناء القبائل فينشدون شعرهم على ملأ من الجمهور المحتشد ، وكان لكبار قريش ، وهي القبيلة النازلة في ذلك المكان ، الزعامة على تلك السوق فيحكمون فيها بما يستقر عليه رأيهم .. ولا راد لحكمهم .. وقد اخذ الشعراء بهـــذه المناسبة ، وبسبب هذه الاجتماعات والاسواق ، يتخيرون الألفاظ التي يرضاها ويستعملها أكثر القبائل كي يفوز صاحبها بالرئاسة والتقدم .. ولما كانت لغة قريش وسطاً بين اللغات العربية فقد سادت دون غيرها ، وعمت واستعملها الشعراء في أشعارهم دون سواها ..

وأخيراً عدم اهتمام رجال اللغة برواية شعر يخالف لغة القرآن .. لأن هذه اللغة بالتأكيد ستكون لغة أعجمية لا عربية ، تختلف عن اللغة السائرة في كثير من كلماتها وخصائصها ..

ولا بد ان العرب في الجاهلية كانوا يقولون الشعر والنثر معاً ، وقد ضاع من شعرهم ونثرهم كثير .. وقد يكون هذا الذي ضاع ليس احسن آثارهم .. وان الذي حفظوه هو الأفضل والأجمل والأجزل ..

ما وصلنا من الشعر الجاهلي .. يدور حول أبواب خمسة ..

١ – المعلقات السبع أو العشر التي اختلف العلماء في تعدادها ..

٢ - المفضليات ، وهي التي جمعها المفضل الضبي وتحتوي على ١٢٨ قصيده بين كبيرة وصغيرة ..

٣ – ديوان الحماسة لأبي تمام ،وديوان الحماسة للبحتري ، وقد حويامقطوعات كثيرة من الشعر الجاهلي ..

٤ – كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وكتاب الشعر والشعراءلابن قتيبة وفيهما شعر جاهلي كثير ..

٥ – مختـــارات ابن الشجري وجمهرة اشعار العرب لأبي زيد القرشي .. والمعلقات بالتأكيد قصائد طوال من أجود ما وصل إلينا من الشعر الجاهلي .. وهي التي نقدمها في هذا الكتاب ..

لتجوز المقارنة

اذا كان العرب قبل الإسلام لم يوفقوا الى نظم سياسية في الحكم والادارة يصح بحثها والاستفادة من الاثر الذي أحدثته في غيرها من الامم ، فإن ما نعموا به من حياة روحية فياضة ظهرت في الشعر وانتظمت في هذه القصائد الرائعة أمر يصح تقديره وبحثه ..

ولتجوز المقارنة بين أدب وآخر ، ولتجري على الاثنين أساليب النقـــد الحديث ، يجب ان تكون المقارنة بين أدبين عاشا معاً في زمن من الازمنـة ، وعهد من العهود ، وأما المقارنة بين أدب مضى وأدب حاضر ، فظلم بليغ للأدب الماضي لأننا نكلفه فوق طاقته ، ونحمله ما لا يجب ان يحمل ، ونطلب منه أن يطيق ما لا يستطيع ، وسبب ذلك ان لكل زمن وعهد ادباً خاصاً به ، ولوناً جديداً من ألوان الحياة ، لا يتصل بالعهد الآخر ، من قديم وحديث في كثير ولا قليل ، إلا على قدر ،وهذا القدر لا يشكل سبباً كافياً للمقارنة والملابسة والمخالطة ، كما يقول الدكتور طه حسين ..

فاذا أردنا ، والحالة هذه ، ان نقارن بين الأدب العربي وغيره من الآداب ، فهناك الأدب اليوناني القديم ، والأدب الروماني والأدب الفارسي ، هذه الآداب كلها تصلح للمقارنة ، لقرب عهدها من الأدب العربي القديم ، ولظهورها واياه في عهود متقاربة بعضها مع بعض بحيث تشكل جواً متسلسلاً متصلاً ..

ومن هذه المقارنة يخرج المحقق بامور غاية في الخطورة والاهمية :

أولها : ان طبيعة العقل العربي لا تنظر الى الأشيـــاء نظرة عامة شاملة ، وليس في استطاعتها ذلك ، بخلاف العقل اليوناني الذي كان ينظر الى العالم نظرة عامة كاملة شاملة .

وكان اليوناني أول ما نطق بالفلسفة يسأل نفسه : كيف برز هذا العالم الى الوجود ؟ ولم هذا التبدل والتغير فيه ؟ وأمثال هذه الأسئلة .

وأما العربي فلم يتجه نظره الى شيء من هذا ، حتى ولا بعد الإسلام بقليل ، بل كان يطوّف فيما حوله ، فاذا رأى منظراً أعجبه تحرك له ، وجاش صدره بالبيت أو الأبيات من الشعر تذهب مذهب الأمثال والحكمة .

ثم انه كان اذا نظر الى الشيء الواحد ، لا يستغرقه تفكيره ، بل يقف فيه على مواطن خاصة تثير عجبه ، فيترك الشجرة ككل أو كمجموع ، وينظر الى استواء ساقها ، وجمال أغصانها ، فيصف هذا ويترك الأصل .

هذه الخاصة في العقل العربي هي السر الذي يكشف لك ما ترى في الأدب العربي — حتى في العصور الاسلامية — من نقص ، وما ترى من جمال .

فأما النقص فما تشعر به حين تقرأ قطعة أدبية — نظماً أو نثراً — من ضعف المنطق ، وعدم تسلسل الافكار تسلسلاً دقيقاً ، وقلة ارتباط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ، حتى لو عمدت الى القصيدة ، وخاصة في الشعر الجـــاهلي ، فحذفت منها جملة أبيات ، أو قدمت متأخراً ، أو أخرت متقدماً ، لم يلحظ القارىء أو السامع ذلك — وان كان أديباً — ما لم يكن قد قرأها من قبل ..

وتجد هذا النقص ظاهراً واضحاً فيما يكتب في الموضوعات الادبية ، وفي

غيرها من كتب الادب . خذ مثلاً كتاب الكامل للمبرد ، أو الاغاني أو البيان والتبيين والحيوان للجاحظ ، فانك لا تجد فيها موضوعاً واحداً ، ولكن هناك لمحة هنا ، ونادرة هناك ، تنتقل من باب الى باب آخر لا يتعلق به ولا يتصل فيه في قليل ولا كثير ، بحيث لا يستطيع الباحث الوصول الى الموضوع الذي يتكلف درسه بالسرعة التي يريدها ، مع ما في هذا التنقل من لذة وطلاوة لا توجد عند اليونان الذين يوجد عندهم العمق والشمول ، والتحليل الدقيق لما يصار الى بحثه ودرسه ..

تاريخ الشعر العربي

والتحدث عن الشعر العربي وتاريخه أمر شاق ، فليس في المصادر التي بين أيدينا ما يقرر تاريخ هذا الشعر على وجه مأمون موثوق ، وكل ما نعرفه اننا نجد هذا الشعر في القرن السادس الميلادي كاملاً منوعاً ينعم بشيء كثير من حسن الأسلوب وسمو المعنى .

والذين أرّخوا للشعر العربي قبل الإسلام أمثال ابن سلام والجاحظ وغيرهما رجعوا بالشعر الى ما قبل الاسلام بقرن ونصف قرن أو ربع قرن تقريباً ، وما وقع فيه العرب من حيث اضطرابهم في التاريخ لأولية الشعر العربي وقع فيه اليونان والرومان قبلهم ، فان هؤلاء أيضاً لم يوفقوا الى التأريخ لشعرهم على وجه يرضي المؤرخ المعاصر ، ويحمله على قبوله والرضاء به .

ومن المؤكد لدينا اليوم ان السبب في هذا... التقسيم الجغرافي الذي جعل من الجزيرة العربية اقساماً مستقلة بعضها عن بعض ، فلما نعم اليمنيون بالحضارة لم يصل الى شمالي الجزيرة شيء من هذه الحضارة .. ولما ظهرت الممالك المستقلة في شمالي الجزيرة كتدمر ، وعلى الحدود السورية والحدود العراقية بعد انهيار الحضارة اليمنية وتفرق قبائلها عنها ، لم يكن للشمال من اثر في حياة القبائل الضاربة حول اليمن وفي الجنوب ..

ثم لما ظهر الرومان وراء الغساسنة على الحدود السورية العربية ، والفرس وراء ملوك الحيرة على الحـــدود العربية العراقية ، ثم لما صار التزاحم بين اليهودية والمسيحية في اليمن ، والروم يؤيدون المسيحية والفرس يؤيدون اليهودية ، كل هذه الأمور خلقت في الجزيرة اضطراباً عقلياً ، جعل عرب الشمال مستقلين في تفكيرهم عن عرب الجنوب ، وجعل بين الشعبين هوة عظيمة ، فتعصب كل واحد منهما لقبائله ومن نشأ في مواطنه ، وانتقل هذا التعصب الى الشعر ، ومن الشعر الى السياسة ، وتدرج منهما من الجاهلية الى الإسلام ..

وأول ما ظهر هذا التعصب في الشعر لما راح كل من عرب الجنوب وعرب الشمال يدعون أولية الشعر ، فقال عرب الجنوب نحن أول من قال الشعر ، وقال عرب الشمال مثل ذلك ..

وتأثر الشعر العربي بهذا التعصب ما في ذلك شك ولا ريب ، وتأثر ايضاً بهذا النفوذ السيامي الذي كان يحاول الرومان والفرس إقراره في الجزيرة ، وتأثر ايضاً باليهودية والمسيحية وتعاليمهما التي كانت قوية في بعض الانحاء ، ضعيفة في بعض الأنحاء الأخرى ..

المؤثرات على الشعر العربي

فلما طلع القرن السابع الميلادي على الجزيرة العربية كان كل شيء فيها يدل على تبدل عظيم ، وسبب ذلك ان كثيراً من هذه القبائل العربية التي كانت تعيش لسنوات خلت حياة بدوية قد استقرت في مواطن عديدة ، فعلى أطراف الجزيرة مما يلي الفرس والروم أخذت بعض القبائل العربية تعيش في الشام والعراق ، وتحيا حياة رومية يونانية في الأولى ، وحياة فارسية في الثانيـــة ، وفي داخل الجزيرة العربية نرى طوائف أخرى قد انصرفت الى المدن وضواحيها تعيش عيشة حضرية متأثرة بصناعات المدن وأساليبها ..

ويقول الدكتور طه حسين :

« والى جانب هذا التبدل نرى تبدلاً آخر من جهة العقيدة والدين ،فالمسيحية أصبحت منظمة لها في (نجران) أسقفها وكنيستها ، وهي متصلة بالكنيسة الشرقية اليونانية ، واليهودية تنمو في الحجـــاز ، في يثرب – المدينة – وخيبر ، وغيرهما ، والبدويون أنفسهم ينقادون الى احدى الديانتين اللتين أخذتا تتفاعلان ويكون بينهما جهاد ظاهر في مكة والطائف وما حولها حتى كان ذلك مدعاة الى تنصر البعض من العرب فتحنف بعضهم تاركا الوثنية ساخطاً عليها . فرجل كأمية بن ابي الصلت أعرض عن وثنيته ، ولكنه لم يطمئن الى هاتين الديانتين لعدم ملاءمتها المزاج العربي ، ونرى ورقة بن نوفل الذي عرفه النبي ينصرف عن الديانات القديمة وينتظر شيئاً جديداً .. بل نرى الوثنيين أنفسهم الذين لم يتأثروا بالمسيحية أو اليهودية قد سئموا وثنيتهم وأحسوا قصورها عن حاجتهم النفسية فمالوا الى الشك والاباحة .. ورأوا في الحياة مهزلة غير مفهومة يجب ان تقضي في لهو ونعيم واستهتار ، نجد ذلك في شعر طرفة حيث يقول :

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى   وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي   فدعني ابادرها بما ملكت يدي

وحيث يقول :

متى تأتني أصبحك كأساً روية   وان كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد
كريم يروّي نفسه في حيـــاته   ستعلم ان متنا غداً اينا الصدي

تجدون في هذه الأبيات ان طرفة قد استيأس من الحياة وشك في الآخرة فخير له ترك الجبن الى اللهو وما يتصل باللهو ..

ثم نترك هذا الوثني اليائس الى وثني آخر أحسّ هذا الاحساس بقصور الديانات ولكنه لم يطمئن الى ان الحياة عبث لا خير فيها وان العالم خلق سدى . فأخذ يفكر في نهاية الحياة ويتعلق بفكرة الآخرة ، ذلـكم هو زهير حيث يقول :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم   لتخفي ومهما يكتم الله يعـــلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدّخر   ليوم حساب أو يعجل فينقم

فهو اذاً مطمئن الى شيء بعد الدنيا ، الى حساب وجزاء. ولكن هذا الفكر ضعيف لأنه لايعتمد على بحث قوي أو دين ظاهر ، لهذا تجده يقول بعد ذلك :

رأيت المنايا خبط عشواءمن تصب تمتـــه ومن تخطىء يعمر فيهرم

فهذا دليل الاضطراب واستبقاء العقيدة القديمة (الموت مصادفة) .. وبعد هذا نجد ان هؤلاء العرب لا يطمئنون أيضاً الى ما في ادبهم من مثل عليافقد أخذ شعرهم يستحيل ويتطور... فهناك فرق ظاهر بين شعر اوس بن حجر وشعر تلميذه زهير ، نجد اوساً غريب اللفظ ، وتحس فيه وفي معناه البـداوة والمادية وهو حريص على تمثيل البادية أصدق تمثيل ، وأما زهير فألفاظه أخـذت تخف وتلين والمعاني تدنو فتفهم .. وكذلك النابغة أحد تلاميذ هذه المدرسة الأوسية وغيره فيظهر ان هؤلاء قد اتصلوا بالامم المتحضرة وانتفعوا بحياتها فرقت اللغة عندهم ورق الأدب ايضاً ..

هذا يدلنا على ان الحياة العربية كانت آخر القرن السادس وأول السابـع المسيحي متغيرة ادباً وسياسة واجتماعاً وفكراً حتى تحولت السياسة في مكة الى نوع من النظام الجمهوري حيث تتغلب قوة الجـــاه والمال على الأكثرية المطلقة ، وحيث تقوى ضد التدخل الاجنبي ..

أحس القدماء من علماء المسلمين كل هـــذه الأشياء ورأوا فيها ارهاصات أو مقدمات لحدث جديد يظهر في هذه الأمة العربية ، ولم يخطئوا فيهذا التقدير إذ كل هذه الاشياء كانت دليلاً على ان شيئاً عظيماً سيحدث فيقلب الحياة العربية ثم يستقر بها أخيراً ، ذلك هو ظهور الاسلام ..

فلم يكد يبتدىء القرن السابع حتى ظهر الاسلام ، فلقي معارضة شديدة وهذا طبيعي من المشتركين من قريش وغيرهم ، من النصارى واليهود لأنه شيء جديد وغريب ومخالف لعقائد هؤلاء ..

ليس من شك في ان الاسلام قد جاء يمثل أدباً جديداً لم يكن يعرفه العرب ، فالمثل الأدبي الذي كان يعرفه العرب تمثله تلك القصيدة التي تبدأ بذكر الديار

والاحباب ثم تنتقل من هذا التمهيد الى الغرض المقصود من مدح أو رثاء أوغيرهما من الفنون الغنائية .. هذا المثل الأعلى هو الذي كان العرب يريدون ترقيته فيالفن الأدبي ، ولكن لم يخطر لهم ان يتركوا الشعر الى فن آخر من القول مخـــالف للشعر وفنونه ، ولم تكن الكتابة الخطية ذائعة في العرب حتى يعنوا بالنثر ، على ان النثر الأدبي ، لا ينضج إلا في حيـــاة عقلية مثقفة .. ولكن الإسلام فاجأهم بشيء جديد هو القرآن الذي عارضوه أولاً ثم اطمأنوا إليه بعد عجزهم عن مجاراته ..

المعلقـــات

وإذا كان ولا بد لنا من درس بعض صور الشعر في الجاهلية فلنبدأ بدرس المعلقات فهي بالتأكيد صورة موفقة لأجمل الشعر الجاهلي وأعذبه ..

لقد اختلف المؤرخون في سبب تسمية القصائد التي جمعها (حماد الراوية) باسم المعلقات ، وكان (حماد) أول من جمعها في أواخر عصر بني أمية وأوائل العصر العباسي ، وذلك انه رأى زهد الناس في الشعر – الشعر الجاهلي طبعاً – فجمع لهم هذه القصائد السبع ، وقال : هذه هي المشهورات.. فسميت القصائد المشهورة ..

واذاً فلم تكن هـــذه القصائد السبع تسمى المعلقات في عهد حماد .. وانما كانت تسمى بعد جمعه لها القصائد المشهورة ، فكيف والحالة هذه اطلق الناس عليها هذا الاسم (المعلقات) وتناسوا اسمها السابق .. ؟

بعض الكتاب يرى ان اللغة تسوغ اشتقاق هذا الاسم لتلك القصائد ، لأن الحفظ (تعليق) لما يحفظ بمحل حفظه ، ولكن غيرهم يرى غير هـــذا الرأي فيقولون ان الشعراء في الجاهلية كانوا يقصدون أسواق العرب التي كانوا يقيمونها كل سنة بجوار مكة فيتناشدون الأشعـــار ، وكان ينصب للشاعر فيها ربوة فيصعد إليها ، وتحدق به العيون ، وتشرئب إليه الأعناق ، فينشد قصيدةعليهم

حتى يأتي على آخره ، فلا يقاطعه أحد ولا يستوقفه ، فاذا ما احكم القول ، وبلغ من الفصاحة ما وقع اتفاقه على حسنه واجادته كتبوه بحروف الذهب على نفيس الديباج وعلقوه على الكعبة المشرفة ، تنويهاً بشأن صاحبه ، وتخليداً لذكره .

وممن قال بهذا أو نحوه في سبب تسمية تلك القصائد بالمعلقات .. احمد ابن عبد ربه القرطبي صاحب العقد الفريد ، وابن خلدون ، وابن رشيق . وقد قال ابن عبد ربه :

« وقد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له ان عمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم ، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة ، وعلقتها باستار الكعبة .. فمنه يقال مذهبة امرىء القيس ومذهبة زهير ، والمذهبات سبع يقال لها المعلقات » .

وقال ابن خلدون بعد كلام له في ذلك : « حتى انتهوا الى المباهاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام ، موضع حجهم ، وبيت ابيهم ابراهيم كما فعل امرؤ القيس ، وطرفة بن العبد ، وعلقمة الفحل ، والأعشى ، وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع » .

وقال ابن رشيق : « وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، ذلك انها اختيرت من سائر الشعر القديم ، فكتبت في (القباطي) بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال مذهبة فلان إذا كانت اجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء » .

وكان ابو جعفر النحاس المتوفي سنة ٣٣٨ هـ يخالف صاحب العقد ومن تابعه على هذا المذهب في علة تلك التسمية ، وكان ابو جعفر معاصراً لابن عبد ربه ، وهو من علماء المشرق ، أما ابن عبد ربه فمن علماء الأندلس والمغرب ، وقد ساح في بلاد المشرق وسمع من علمائه ، ثم رجع الى بلاده ..

وقد قال ابو جعفر في هذا من شرحه على تلك المعلقات :

« واختلفوا في جمع القصائد السبع ، وقيل ان العرب كانوا يجتمعون بعكاظ فيتناشدون الأشعار ، فإذا استحسن الملك قصيدة قال علقوا لنا هذه وأثبتوها في خزانتي ، وأما قول من قال انها علقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة » .

وقد ذهب بعض المؤرخين الى ان هذا الملك هو النعمان بن المنذر لأنه هو الذي كان يعنى من ملوك المناذرة بجمع اشعار العرب ، وكان عنده ديوان مكتوب جمع فيه اشعار الفحول من الشعراء ، وقد صار ذلك الديوان أو ما بقي منه الى بني مروان على ما رواه ابو عبد الله محمد بن سلام في كتابه طبقات الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، ولكن هذا الخبر يحتاج الى كثير من رحابة الصدر ليصار الى قبوله ، لانه من الصعب الافتراض ان ملكاً عربياً كالنعمان مثلاً كان يشهد سوق عكاظ ، والقول بأن هذا الملك الذي عناه ابو جعفر هو النعمان مجرد استنباط لا تؤكده المصادر ولا العقل ...

أما المستشرق (نولد كه) فيقول في دائرة المعارف البريطانية :

« ان قصة القول بأن هذه القصائد كتبت بالذهب ترجع الى تسميتها بالقصائد المذهبات ، وهي تسمية مجازية للدلالة على عظم امرها ، وكذلك يجب ان نؤول تسميتها بالمعلقات الى هذا الأساس نفسه ، فمن المحتمل جداً ان تعني هذه التسمية ان هذه القصائد قد سمت الى درجة خاصة مجيدة ، وان هناك اشتقاقاً آخر من المادة نفسها ، وهو كلمة « علق » ومعناها الشيء النفيس » .

ويرى الاستاذ كليمان هوار : « ان المعلقات جمع معلقة بمعنى القلادة بدليل انهم يسمونها ايضاً (السموط) بمعنى العقود والقلائد . »

والظاهر ان (المعلقات) قبل ان جمعها وأعلنها حماد الراوية لم يكن بعضها

يمتّ الى بعض ، بل كانت مغمورة في الشعر العربي الجاهلي مثل غيرها من القصائد الجاهلية ، ويقول (الخطيب التبريزي) على شرح المعلقات العشر :

« وذهب فريق الى أن أوجه تسميتها بالمعلقات علوقها بأذهان صغارهم وكبارهم ومرؤوسيهم ورؤسائهم وذلك لشدة اعتنائهم بها » .

وقد جمعت هذه القصائد السبع بعد جمع حماد لهـا جمعاً آخر مع قصائد اخرى يبلغ جميعها تسعاً واربعين قصيدة ، قال عنها المفضل الضبي :

« انها عيون أشعار العرب في الجاهلية والاسلام ، وأنفس شعر كل رجل منهم ، وهي التي جمعها أبو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي في كتابه : « جمهرة اشعار العرب » .

ويخالف (المفضل) حماداً في اصحاب هذه القصائد السبع ، فهم عند حماد : امرؤ القيس ، وطرفة ، وزهير ، وعمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، ولبيد بن ربيعة ، وعلقمة ..

وهم عند المفضل : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة . وقد تبع المفضل في هذا ابا عبيدة ، وقال عن الشعراء السبعة : « هؤلاء اصحاب السبع الطوال التي تسميهـا العرب السموط ، فمن قال ان السبع لغيرهم فقد خالف ما اجمع عليه أهل العلم والمعرفة » .

ثم ذكر بعد هذا السبع المجمهرات ، والسبع المنتقيات ، والسبع المذهبات ، والسبع المراثي ، والسبع المشوبات ، والسبع الملحمات .

واذا كان المفضل يخالف (حماداً) في هذا فهو يوافقه في انه لم يرد فيما رواه (ابو زيد القرشي) عنه تسمية هذه القصائد السبع بالمعلقات ، ولم يذكر إلا ان العرب تسميها السموط ، فاذا كان يعني العرب الاقدمين فهي تسمية جاهلية ، واذا كان يعني العرب في عصره فهي تسمية اسلامية . وقد كانت العرب قبل الاسلام تطلق هذا اللفظ على غير هـذه القصائد

السبع ، ومن ذلك ما رووا ان علقمة الفحل كان يأتي مكة فيعرض شعره على قريش ، وكانت العرب تعرض أشعارها عليهم فما قبلوا منها كان مقبولاً ، ومـا ردوا كان مردوداً ، فأتاهم مرة فعرض عليهم قصيدته :

هل ماعلمتَ وما استُودعتَ مكتومُ   أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فقالوا : هذا سمط الدهر ، ثم عاد اليهم في العـام المقبل فأنشدهم قصيدته في مدح الحارث الغساني ، وكان أسر أخاه شاسا فرحل إليه يطلبه :

طحا بك قلب في الحسان طروب   بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا : هاتان سمطا الدهر ..

ويمكننا بعد هذا ان نجزم بأن اسم (السموط) كان يطلق عند العرب على قصائد غير هذه القصائد السبع ، ولا يدل ما ذكره (المفضل) على حصر هذه التسمية (السموط) في هذه القصائد السبع ، وانما معناه انها كانت تسميها السموط فيما كانت تسميه بذلك من قصائدها ، فلا يدل ذلك على انها كانت مجموعة متميزة عند العرب بهذا الاسم قبل جمع (حماد) لها ، بل يتفق هذا ايضاً مع ما رجحه ابو جعفر النحاس من ان حمـاداً هو الذي جمعها ، ولا يخالفه في شيء من المخالفة ..

هذا وقد كانت وفاة حماد الراوية سنة ١٥٥ ه ، ووفاة المفضل الضبي سنة ١٦٨ ه ، ووفاة ابي زيد القرشي صاحب الجمهرة سنة ١٧٠ ه ، فنستطيع مع هذا ان نحكم بأن هذه القصائد السبع ما كانت تعرف باسم المعلقات الى سنة ١٧٠ ه ، وانما كانت تسمى القصائد المشهورة أخذا من قول (حماد) فيها بعد جمعها : « هذه هي القصائد المشهورة .. ».

وكان يقال لها (السموط) كما كان يقال لبعض قصائد أخرى ، فلم يكن هذا اسماً خاصاً بها ، وقد سماها (المفضل) السبع الطوال فيما نقله ابو زيد في الجمهرة عنه .

وفي المقدمة التي ذكرها ابو زيد في جمهرته قبل القصائد السابقة التي أوردها فيها ، لا يوجد ما يمكن ان يؤخذ منه ان السبع الاولى منها كانت تسمى في عصره باسم المعلقات ..

وكما اختلفوا في اسمها اختلفوا ايضاً في عددها وعدد اصحابها ، فبعضهم يجعلها ثمانياً ، وبعضهم عشراً ، والقول المشهور انها سبع ، وان أصحابها هم امرؤ القيس وزهير وطرفة ولبيد وعنترة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة..

وأخيراً فهي من خير شعر العرب وأدله على لغتهم وبلاغتهم ووصف حياتهم الاجتماعية ومناحيهم في الحياة ، عني العلماء بجمعها وشرحوها شروحاً مختلفة ، مختصرة ومطولة ، كما عني كثير من المستشرقين بترجمة بعضها الى لغاتهم والتعليق عليها .

وقد رأينا إتماماً للفائدة ، وزيادة في التدقيق والتحقيق ان نضم الى المعلقات السبع التي اختارها « الزوزني » .. المعلقات الثلاث الاخرى التي وقع عليها اختيار غيره من المؤرخين والأدباء القدامى .. لتعم فائدة هذا الكتاب ، وتنتظم كل روائع الشعر الجاهلي في كتاب واحد يكون القبلة والمصلى لطلاب الأدب في أرض العرب ..

ولقد اعتمدنا في هذه الطبعة على عدد من المصادر والوثائق التاريخية والأدبية ، وقدمنا لكل شاعر بكلمة مختارة ، ألمت بتاريخه وعرضت لمكانته ، ونوهت بخطره ، وتحدثت عن تأثيره وآثاره ..

دار مكتبة الحياة

امرؤ القيس

أولياته وشبابه وشعره

ملوك كنده

أشرف القرن الخامس الميلادي على الجزيرة العربية .. والشرق الأوسط تتنازعه امبراطوريتان ، امبراطورية الساسانيين ملوك الفرس وعاصمتهم المدائن ، وامبراطورية الروم البيزنطيين وعاصمتها القسطنطينية ، وقد أخذت كل واحدة تناجز الأخرى وتحاربها ، فتظفر هذه تارة ، وترتد أخرى .. حتى تمكنت الامبراطورية البيزنطية أخيراً وقبل ظهور الاسلام من رد الفرس عن سورية وفلسطين بقيادة الامبراطور هرقل الذي لم ينعم بانتصاره هذا ... إذ ما لبث العرب ان ظهروا عليه ، وردوه الى الاناضول ، وانتزعوا منه أجمل أمصار الامبراطورية من سورية وفلسطين الى مصر وشمالي أفريقيا ..

وكانت الدولتان الى هذا تتنازعان كل قطر ومصر يقوم على أطرافهما ، وكانت الجزيرة العربية تقع بين هذه الأطراف ، فما كان من الروم إلا ان أيدوا الغساسنة وهم قبيلة عربية كانت تنزل في سورية ، وبسطوا سلطانهم عليها لتساعدهم في حروبهم ضد المناذرة في الحيرة – العراق – الذين كان الفرس قد بسطوا نفوذهم عليهم وشملوهم بتأييدهم ومناصرتهم ..

وكان من سياسة الدولتين العربيتين بسط نفوذهما على القبائل العربية التي تضرب في الأرض القريبة منهما ، وكسب تأييد شيوخها وزعمائها ، وقد استولى ملوك الحيرة على بلاد بكر بن وائل بنجد تطبيقاً لهذه السياسة التي أشرنا إليها ..

فلما انتصف القرن الخامس قامت بنجد دولة عربية على رأسها ملوك كنديون من عرب الجنوب ، وكانوا قد تولوا بعض المناصب في عهد التبابعة ملوك حمير وكان اول هؤلاء الملوك حمير بن عمرو الكندي الملقب بآكل المرار الذي عينه حسان بن تبّع ملك حمير ملكاً على نجد .. فنزلها وحارب ملوك الحيرة بمساعدة قبائل بكر بن وائل ، حتى أجلاهم عن نجد وأزال نفوذهم واستقل بالحكم فيها ..

فلما آل الأمر الى (الحارث) حفيد حجر عظم سلطان ملوك كندة ، خصوصاً بعد أن أخذ الحارث يتودد ويتقرب من قباذ ملك الفرس ، لما تغير هذا على المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، حتى أحلّه قباذ مكان المنذر ، فعظم شأنه عندئذ ، وسارعت قبائل العرب المختلفة الى خطب وده ، فولى ابنه حجراً (والد امرىء القيس الشاعر) على بني أسد وغطفان ، وابنه شرحبيل على بكر بن وائل ، وابنه معدى كرب على قيس وكنانة ، وابنه سلمه على تغلب والنمر بن قاسط ..

ولما تولى كسرى انو شروان العرش مكان ابيه قباذ ، اعاد المنذر الى مكانه في الحيرة ففر الحارث الكندي هارباً خوفاً من بطشه فطارده المنذر حتى قتله ، ثم جعل يدس الدسائس على أولاده حتى قتل سلمه وشرحبيل ، كما تنكر بنو أسد لحجر والد امرىء القيس ، وامتنعوا عن دفع الإتاوة ، فحاربهم وسطا عليهم وحبس أشرافهم ، حتى شفع لهم شاعرهم عبيد بن الأبرص ، فعفا عنهم ، ولكنهم ما لبثوا ان عادوا للثورة عليه حتى قتلوه .. فقام ابنه امرؤ القيس يحاول استرجاع عرش أبيه ، فلم يوفق ..

أوليات الشاعر

ولقد شاهد امرؤ القيس النور في نجد سنة ٥٠٠ ميلادية على الارجح وعاش حياة مترفة يشرب الخمرة ، ويستمع للغنـــاء ويقول الشعر ، ولم يكن هذا من عادة ابناء الملوك فنهاه ابوه فلم ينته ، فابعده عنه فخرج يطوّف في أرض العرب مع جماعة من أمثاله سكراً وعربدة وشروداً ، وظل هذا شأنه حتى أتاه خبر مصرع أبيه فقال :

« ضيعني أبي صغيراً ، وحملني دمه كبيراً ، لاصحو اليوم ، ولاسكر غداً ، اليوم خمر وغداً أمر .. » .

وكان عند قوله فودع ماضيه ، وتوقف عن لهوه وشرابه ، وأخـــذ يتأهب للاخذ بثأر أبيه ، فلما سمع بنو أسد باستعداده عرضوا عليه دم اسرة منهم ، أو دية من النعم ، فرفض ، فطلبوا منـــه ان يمهلهم ريثما تضع الحوامل ويستعدون للحرب ، ففعل ، ثم حمل عليهم تسانده قبيلتا تغلب وبكر ، فأثخن في بني أسد ، فطلب منه التغلبيون والبكريون الاكتفاء بما ناله من النصر فقد بلغ غرضه ، ونال ثأره ، فأبى واعتبر ان إنتصاره هذا ليس كاملاً ، ولعله كان يريد فناء بني اسد ليرضى ..

وكان المنذر ملك الحيرة في هذه الاثناء يحاول الوصول اليه بعد ان شاهده لا يبرح يهاجم بني اسد ما وجد إلى هذا سبيلاً ، فاضطر امرؤ القيس إلى الهرب من وجهه والانتقال من حي عربي إلى حي يطلب منهم النصرة والمعونة ، حتى وصل به المطاف إلى السموأل بتيما ، فطلب منه ان يكتب إلى الحارث أمير الغساسنة في الشام ليساعـده في السفر إلى القسطنطينية ليستنصر قيصر الروم على عدوه ، فاجابه السموأل إلى مـا طلب ، فاودعه امرؤ القيس ابنته هند وسلاحه ودروعه ثم توجـه إلى القسطنطينية لمقابلة القيصر يوستنيانس ..

المؤرخون يؤكدون ان القيصر احسن وفادته وكتب إلى ملك الحبشة

ليساعده ، والواقع أن امرىء القيس لم يفد من هذه الرحلة ، ولا ظفر ظفر بتأييد القيصر عملياً لقضيته فعاد من القسطنطينية حزيناً يائساً حتى إذا وصل إلى انقره تفشى في جسده داء يشبه الجدري فسبب له قروحاً أودت بحياته في نحو سنة ٥٤٠ للميلاد .

الشـــاعر

للشاعر ديوان يحتوي على ٢٥ قصيدة هي كل مـا بقي من شعره ، إذ كان له شعر آخر يذكر غير ما في الديوان .

وأشهر قصائد هذا الديوان ثلاث :

المعلقة : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ..

ولامية مطلعها : ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي ..

وبائية أولها :

خليلي مرا بي على أم جندب   لتقضي لبانات الفؤاد المعذب[1]

والمعلقة اجمل قصائده وقد شرحها كثيرون ، وأفضل شروحها شرحا الزوزني والتبريزي .. وقد نظمها الشاعر في يوم دارة جلجل .. حيث ألتقى بعنيزة ابنة عمه شرحبيل – وكان محباً لها – تتنزه مع سرب من العذارى فذبح لها ولهن ناقته ، ثم أرّخ هذه الحادثة وحوادث أخرى في هذه المعلقة التي لا يبعد أن تكون قد نظمت على دفعات .

وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : الوقوف على الاطـــلال كما هي عادة العرب في اشعارهم .. ثم وصف المغامرة الغرامية في دارة جلجل وغيرها ، وأخيراً وصف تشرده وانتقاله في الأرض من مكان إلى آخر .

ثم يأتي بعد هذا كله وصف الليل والوادي يعوي فيـــه الذئب ..

---

(١) اللبانات : الحاجات .

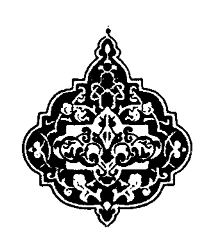
ووصف الفرس والصيد ، ثم البرق ، واخيراً وصف السيل ، أي أن الشاعر وصف كل ما كان يشاهده ويراه في طريقه أو في اثناء تنقلاته من مكان إلى آخر ..

وامرؤ القيس إلى هذا .. الشاعر الملك الذي يحسن وصف العواطف الانسانية كأحسن ما يكون الوصف .. والشاعر الذي يتغلغل في هذه العواطف إلى ابعد ما يكون التغلغل .

وهو الشاعر الذي يحسن اختيار الفاظه وينحتها نحتاً وفاقاً للموقف الذي هو فيه ، فهي خشنة حيناً ولينة حيناً آخر .. بحيث تؤكد لك انه ابن البادية حقاً ، وانه ابن الملوك ايضاً ..

ثم ان الشاعر صادق في وصفه وشعره ، يلقي كلامه على سجيته ، ويحسن التشبيه احساناً عظيماً ، ولكنه لا يحاول التبسط في وصفه ، وإنما يكتفي بالاشارة واللمحة ويترك للقارىء بعد هذا ان يتم الصورة في خياله وان يكمل اللوحة في ذهنه .

وأخيراً سوف ترى صوراً حلوة مما قدمناه ظاهرةً بارزةً في معلقته ، فلنبدأ بها ، ولنتمعن في ابياتها لنرى مصداق ما قدمناه وذكرناه ، ولنرى جمال الشعر الجاهلي في اروع صوره ، واحلى معانيه وأصدق وصفه .



مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني : هذا شرح القصائد السبع أمليته على حد الإيجاز والاقتصار على حسب ما اقتُرح علي ، مستعيناً بالله على إتمامه .

ذكر رواة أيام العرب أن امرأ القيس بن حُجر بن عمرو الكِندي كان يعشق عنيزة ابنة عمّه شرحبيل ، وكان لا يحظى بلقائها ووصالها ، فانتظر ظعن الحيّ وتخلّف عن الرجال حتى إذا ظعنت النساء سبقهن إلى الغدير المسمّى دارَة جُلجُل واستخفى لانه كان يعلم أنهن إذا وردن هذا الماء اغتسلن . فلما وردت العذارى اللواني كانت عنيزة فيهن ونضون ثيابهنّ وشرعن في الانغماس في الماء ظهر امرؤ القيس وجمع ثيابهن وجلس عليها ، ثم حلف أن لا يدفع إليهن ثيابهن إلاّ بعد أن يخرجن إليه عاريات ، فخاصمنه زمناً طويلاً من النهار فأبى إلا إبرار قسمه ، فخرجت إليه أوقحهن فرمى بثيابها إليها ، ثم تتابعن حتى بقيت عنيزة وأقسمت عليه فقال : يا ابنة الكرام ، لا بدّ لك من أن تفعلي مثل ما فعلن . فخرجت إليه فرآها مقبلة ومدبرة ، فلما لبسن ثيابهن أخذن في عذله وقلن : قد جوّعتنا وأخرتنا عن الحيّ .

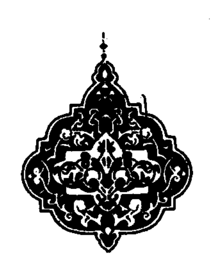
فقال لهنّ : لو عقرت راحلتي أتأكلن ؟

قلن : نعم .

فعقر راحلته ونحرها ، وجمعت الإماء الحطبَ وجعلن يشوين اللحم إلى أن شبعن . وكانت معه ركوةٌ فيها خمر فسقاهنّ منها ، فلما ارتحلن قسمن أمتعته فبقي هو دون راحلة ، فقال لعنيزة :

– يا ابنة الكرام ، لا بدّ لك من أن تحمليني .

وألحت عليها صواحبها أن تحمله على مُقدَّم هودجها ، فحملته ، فجعل يُدخل رأسه في الهودج يقبلها ويشمها ، وقد ذكر هذه القصة في أثناء القصيدة .



المعلّقة

قفانبْكِ من ذِكرى حَبيبٍ و منزلِ   بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخول فحَوْمَلِ[1]

١– قيل : خاطب صاحبيه ، وقيل بل خاطب واحداً وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع الاثنين ، لأن العرب من عادتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع ، فمن ذلك قول الشاعر :

فإن تزجراني يا ابن عفّان أنزجر ، وإن ترعياني أحمِ عرضاً ممنّعا

خاطب الواحد خطاب الاثنين ، وإنما فعلت العرب ذلك لأن الرجل يكون أدنى أعوانه اثنين : راعي إبله وراعي غنمه ، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة ، فجرى خطاب الاثنين على الواحد لمرور ألسنتهم عليه ، ويجوز ان يكون المراد به : قف قف ، فإلحاق الألف أمارة دالة على ان المراد تكرير اللفظ كما قال أبو عثمان المازني في قوله تعالى : « قال رب ارجعون » المراد منه : أرجعني أرجعني أرجعني ، جُعلت الواو علماً مشعراً بأن المعنى تكرير اللفظ مراراً ، وقيل : أراد قِفن على جهة التأكيد فقلب النون ألفاً في حال الوصل ، لأن هذه النون تقلب ألفاً في حال الوقف ، فحمل الوصل على الوقف ، ألا ترى انك لو وقفت على قوله تعالى : « لنسفعن » قلت : لنسفعاً . ومنه قول الأعشى :

وصلّ على حين العشيّات والضحى   ولا تحمد المثرين والله فاحمدا

فتُوضِحَ فالِمقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها لما نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمْأَلِ [1]

أراد فاحمدن ، فقلب نون التأكيد ألفاً ، يقال : بكى يبكي بكاء وبكىً ، ممدوداً ومقصوراً ، أنشد ابن الأنباري لحسان بن ثابت شاهداً له :

بكت عيني وحق لها بكاها ، وما يغني البكاء ولا العويل

فجمع بين اللغتين : السقط : منقطع الرمل حيث يستدق من طرفه ، والسقط أيضاً ما يتطاير من النار ، والسقط أيضاً المولود لغير تمام ، وفيه ثلاث لغات : سَقط وسِقط وسُقط في هذه المعاني الثلاثة .

اللوى : رمل يعوجُّ ويلتوي . الدخول وحومل : موضعان . يقول : قفا وأسعداني وأعيناني ، أو : قف واسعدني على البكاء عند تذكري حبيباً فارقته ومنزلا خرجت منه ، وذلك المنزل ، أو ذلك الحبيب أو ذلك البكاء بمنقطع الرمل المعوج بين هذين الموضعين .

١– توضح والمقراة موضعان ، وسقط اللوى بين هذه المواضع الأربعة . قوله : لم يعف رسمها ، أي لم ينمح أثرها . الرسم : ما لصق بالأرض من آثار الدار مثل البعر والرماد وغيرهما ، والجمع أرسُم ورسوم . قوله : وشمأل ، فيها ست لغات : شمال وشمأل وشأمل وشمول وشَمْل وشَمَل . نسج الريحين : اختلافهما عليها وستر إحداهما إياها بالتراب وكشف الأخرى التراب عنها . يقول : لم ينمح ولم يذهب أثرها ، لأنه إذا غطتها إحدى الريحين بالتراب كشفت الأخرى التراب عنها ، وقيل : بل معناه لم يقتصر سبب محوها على نسج الريحين بل كان له أسباب منها : هذا السبب ومرُّ السنين ، وترادف الأمطار وغيرها . وقيل بل معناه لم يعف رسم حبها من قلبي وإن نسجتها الريحان ؛ والمعنيان الأولان أظهر من الثالث ، وقد ذكرها كلها أبو بكر بن الأنباري .

ترى بَعَرَ الأَرْآمِ في عَرَصاتِها   وقيعانِها كأنّهُ حَبُّ فُلْفُلِ [1]

كأني غَداةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمّلوا   لدى سَمُراتِ الحيّ ناقِفُ حَنْظَلِ [2]

١– الأرآم : الظباء البيض الخالصة البياض ، واحدها رئم ، بالكسر ، وهي تسكن الرمل . عرصات ، في المصباح : عرصة الدار ساحتها ، وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء ، والجمع عراص مثل كلبة وكلاب ، وعرصات مثل سجدة وسجْدات ، وعن الثعالبي : كل بقعة ليس فيها بناء فهي عرصة ، وفي التهذيب : سُميت ساحة الدار عرصة لأن الصبيان يعرصون فيها أي يلعبون ويمرحون . قيعان : جمع قاع وهو المستوي من الأرض ، وقيعة مثل القاع ، وبعضهم يقول هو جمع ، وقاعة الدار : ساحتها . الفلفل قال في القاموس : كهدهد وزبرج ، حب هندي اﻫ . ونسب الصاغاني الكسر للعامة . وفي المصباح ، الفلفل : بضم الفاءين ، من الأبزار ، قالوا : لا يجوز فيه الكسر . يقول : انظر بعينيك تر هذه الديار التي كانت مأهولة بأهلها مأنوسة بهم خصبة الأرض كيف غادرها أهلها وأقفرت من بعدهم أرضها ، وسكنت رملها الظباء ونثرت في ساحتها بعرها حتى تراه كأنه حب الفلفل في مستوى رحباتها . (هذا الشرح ليس للزوزني) .

٢– غداة : في المصباح ، الغداة : الضحوة ، وهي مؤنثة ، قال ابن الأنباري : ولم يسمع تذكيرها ، ولو حملها حامل على معنى أول النهار جاز له التذكير ، والجمع غدوات . البين : الفرقة ، وهو المراد هنا ، وفي القاموس : البين يكون فرقة ووصلا ، قال الشارح : بان يبين بيناً وبينونة ، وهو من الأضداد . اليوم : معروف ، مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها ، وقد يراد باليوم الوقت مطلقاً ،

وُقوفاً بها صَحْبي عَليَّ مَطِيَّهُمْ ، يقولونَ لا تَهلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ [١]

ومنـــه الحديث : تلك أيام الهرج ، أي وقتـه ، ولا يختص بالنهار دون الليل . تحملوا واحتملوا : بمعنى . ارتحلوا . لدى : بمعنى عند . سمرات جمع سمرة ، بضم الميم : من شجر الطلح . الحي : القبيلة من الأعراب ، والجمع أحياء .. نقف الحنظل : شقة عن الهبيد ، وهو الحب ، كالإنقاف والانتقاف ، وهو ، أي الحنظل ، نقيف ومنقوف ، وناقفه الذي يشقه . والشاعر يقول : كأني عند سمرات الحي يوم رحيلهم ناقف حنظل ، يريد ، وقفت بعد رحيلهم في حيرة وقفة جاني الحنظلة ينقفها بظفره ليستخرج منها حبها . (هذا الشرح ليس للزوزني) .

١ـ نصب وقوفاً على الحال : يريد ، قفا نبك في حال وقف أصحابي مطيّهم علي ، والوقوف جمع واقف بمنزلة الشهود والركوع في جمع شاهد وراكع . الصحب : جمع صاحب ، ويجمع الصاحب على الأصحاب والصحْب والصّحاب والصُّحابة والصُّحبة والصُّحبان ، ثم يجمع الأصحاب على الأصاحيب أيضاً ، ثم يخفف فيقـال الأصاحب . المطي : المراكب ، واحـــدتها مطية ، وتجمع المطية على المطايا والمطي والمطيات ، سميت مطية لأنه يركب مطاها أي ظهرها ، وقيل : بل هي مشتقة من المطـْو وهو المد في السير ، يقال : مطاه يمطوه ، فسميت الرواحل به لأنها تمد في السير . نصب أسى لأنه مفعول له .

يقول : لقد وقفوا علي ، أي لأجلي ، أو على رأسي ، وأنا قاعد عند رواحلهم ومراكبهم ، يقولون لي لا تهلك من فرط الحزن وشدة الجزع وتجمل بالصبر . وتلخيص المعنى : انهم وقفوا عليه رواحلهم يأمرونه بالصبر وينهونه عن الجزع .

وإنّ شِفائي عَبْرَةٌ مُهرَاقَةٌ فهلْ عندَ رَسْمٍ دارِسٍ من مُعَوَّلِ[1]

كَدأبكَ من أمّ الُحوَيْرِثِ قبْلَها وجارَتِها أمّ الرَّبابِ بمَأْسَلِ[2]

١– المهراق والمراق : المصبوب ، وقد أرقت الماء وهرقته وأهرقته أي صببته . المعول : المبكى ، وقد أعول الرجل وعوّل إذا بكى رافعاً صوته به ، والمعول : المعتمَد والمتكل عليه أيضاً . العبرة : الدمع ، وجمعها عبرات ، وحكى ثعلب في جمعها العبر مثل بدرة وبِدَر .

يقول : وإن برئي من دائي ومما أصابني وتخلصي مما دهمني يكون بدمع أصبُّه ، ثم قال : وهل من معتمد ومفزع عند رسم قد درس ، أو هل موضع بكاء عند رسم دارس ؟ وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار ، والمعنى عند التحقيق : ولا طائل في البكاء في هذا الموضع ، لأنه لا يرد حبيباً ولا يجدي على صاحبه بخير ، أو لا أحد يعول عليه ويُفزَع إليه في هذا الموضع . وتلخيص المعنى : وإن مخلصي مما بي بكائي ، ثم قال : ولا ينفع البكاء عند رسم دارس ، أو ولا معتمد عند رسم دارس .

٢– الدأب والدأَب ، بتسكين الهمزة وفتحها : العادة ، وأصلها متابعة العمل والجد في السعي ، يقال : دأب يدأب دأباً ودئاباً ودُؤوباً ، وأدأبت السير : تابعته . مأسَل ، بفتح السين : جبل بعينه . ومأسِل ، بكسر السين : ماء بعينه ، والرواية فتح السين .

يقول : عادتك في حب هذه كعادتك من تيْنك ، أي قلة حظك من وصال هذه ومعاناتك الوجد بها كقلة حظك من وصالهما ومعاناتك الوجد بهما . قوله : قبلها ، أي قبل هذه التي شغفت بها الآن .

إذا قامَتا تَضَوّعَ المِسْكُ مِنْهُما ... نَسيمَ الصَّبا جاءَتْ برَيّا القَرَنْفُلِ[1]
ففاضَتْ دُموعُ العَينِ منّي صَبابَةً ... على النّحْرِ حتى بلّ دمعيَ مِحْمَلي[2]
ألا رُبّ يوْمٍ لكَ مِنْهُنّ صالِحٍ ... ولا سيّما يومٍ بدارَةِ جُلْجُلِ[3]

١– ضاع الطيب وتضوع : انتشرت رائحته . الريا : الرائحة الطيبة .

يقول : إذا قامت أم الحويرث وأم الرباب فاحت ريح المسك منهما كنسيم الصبا إذا جاءت بعرف القرنفل ونشره . شبه طيب رياهما بطيب نسيم هب على قرنفل وأتى برياه ، ثم لما وصفهما بالجمال وطيب النشر وصف حاله بعد بعدهما .

٢– الصبابة : رقة الشوق ، وقد صب الرجل يصب صبابة فهو صب ، والأصل صبب فسكنت العين وأدغمت في اللام . المحمل : حمالة السيف ، والجمع المحامل ، والحمائل جمع الحمالة .

يقول : فسالت دموع عيني من فرط وجدي بهما وشدة حنيني إليهما حتى بل دمعي حمالة سيفي . ونصب صبابة على أنه مفعول له كقولك : زرتك طمعاً في برك ، قال الله تعالى : « من الصواعق حذر الموت » ، أي لحذر الموت ، وكذلك زرتك للطمع في برك ، وفاضت دموع العين مني للصبابة .

٣– في ربّ لغات : وهي رُبْ ورُبّ ورُبُ ورَبّ ، ثم تلحق التاء فتقول ربّة وربّت ، ورب موضوع في كلام العرب للتقليل وكم موضوع للتكثير ، ثم ربما حملت رب على كم في المعنى فيراد بها التكثير ، وربما حملت كم على رب في المعنى فيراد بها التقليل ، ويروى : ألا رب « يوم » كان منهن صالح . والسي : المثل ، يقال : هما سيان أي مثلان . ويجوز في يوم الرفع والجر ، فمن رفع جعل ما موصولة بمعنى الذي ، والتقدير : ولا سي اليوم

وَيَوْمَ عَقَرْتُ للْعَذارى مَطيّتي فيا عَجَباً من كورِها المُتَحَمَّلِ[1]

الذي هو بدارة جلجل ، ومن خفض جعل ما زائدة وخفضه بإضافة سي إليه فكأنه قال : ولا سي يوم أي ولا مثل يوم . دارة جلجل : غدير بعينه . يقول : رب يوم فزت فيه بوصال النساء وظفرت بعيش صالح ناعم منهن ولا يومٌ من تلك الأيام مثل يوم دارة جلجل ، يريد أن ذلك اليوم كان أحسَن الأيام وأتمها ، فأفادت ولا سيا التفضيل والتخصيص .

١– العذراء من النساء : البكر التي لم تفتض ، والجمع العذارى . الكور : الرحل بأداته ، والجمع الأكوار والكيران ، ويروى : من رحلها المتحمل : الحمل . فتح يوم مع كونه معطوفاً على مجرور أو مرفوع وهو يومٌ أو يومٍ بدارة جلجل ، لأنه بناه على الفتح لما اضافه إلى مبني وهو الفعل الماضي ، وذلك قوله: عقرت. وقد يبنى المعرب إذا أضيف إلى مبني، ومنه قوله تعالى : « إنه لحق مثل ما انكم تنطقون » ، فبنى مثل على الفتح مع كونه نعتاً لمرفوع لمّا اضافه إلى ما وكانت مبنية ، ومنه قراءة من قرأ : « ومن خزي يومئذ » ، بنى يوم على الفتح لما اضافه إلى إذ وهي مبنية وإن كان مضافاً إليه ، ومثله قول النابغة الذبياني :

على حينَ عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألمّا تصحُ والشيب وازع

بنى حين على الفتح لما اضافه إلى الفعل الماضي ، فضل يوم دارة جلجل ويوم عقر مطيته للأبكار على سائر الأيام الصالحة التي فاز بهـا من حبائبه ، ثم تعجب من حملهن رحْل مِطيته واداته بعد عقرها واقتسامهن متاعه بعد ذلك . قوله : فيا عجباً ، الألف فيه بدل من ياء الإضافة ، وكان الأصل هو فيا عجبي ،وياء الإضافة يجوز قلبها الفاً في النداء نحو يا غلاماً في يا غلامي ، فإن قيل : كيف نادى العجب وليس مما يعقل ؟ قيل في جوابه : إن المنادى محذوف ، والتقدير : يا هؤلاء، او يا قوم ، اشهدوا عجبي من كورها

المتحمل ، فتعجبوا منه ، فإنه قد جاور المدى والغاية القصوى ، وقيل : بل نادى العجب اتساعاً ومجازاً ، فكأنه قال : يا عجبي تعال واحضر فإن هذا أوان إتيانك وحضورك(١) .

شروح المعلقات وشرح الزوزني

١ــ للمعلقات شروح كثيرة وكان أول من شرحها ابو محمد ابي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفي (٣٢٧ هـ .. ٩٣٩ م .) . وتوجد نسخة من هذا الشرح في مكاتب استانبول : « اسعد افندي .. وينى جامع .. ونور عثمانية » ..

وأما الشارح الثاني فهو محمد بن احمد بن كيسان المتوفى سنة ٣٢٠ ــ ٩٣٣ ، وقد شرح معلقات امرىء القيس وطرفة ولبيد وعمرو والحارث ، وهذا الشرح موجود في مكتبة برلين : ويوجد شرحه لمعلقة امرىء القيس فقط في المكتب الهندي (اول ٨٠٠) .. ونشر شلوسنجر . شرحه لمعلقة عمرو بن كلثوم عن مخطوط برلين ..

والشرح الثالث لأحمد بن محمد النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ ــ ٩٥٠ .. وتوجد نسخ كثيرة من هذه المخطوطة في المتحف البريطاني والفاتيكان والاسكوريال والقاهرة واياصوفيا وينى احمد خان ومكتبة شيخ الاسلام.. ونشر (هاوسهير) معلقة زهير بشرح النحاس في برلين سنة ١٩٠٥ ..

والشارح الرابع هو الزوزني شارح هذه المعلقات السبع التي تنشر هنا في هذا الكتاب ونضيف اليها الثلاث الباقيات تعميماً للفائدة وتسوية للخلاف القائم حول عدد اصحاب المعلقات بعد ان نشرها (حماد) منذ نيف والف سنة .. واعلنها للناس .

وقد توفي (الزوزني) سنة ٤٨٦ ــ ١٠٩٣ وتوجد نسخ من مخطوطه هذا في كل مكان ، وكثيراً ما أعدت اعداد مناسباً للدراسة كما في طبعة (ارنولد) في (ليبزيغ) ١٨٥٠ وقد نشرها وطبعها على النحو الذي اظهرها فيه الزوزني نفسه .

فظلّ العذارى يَرْتَمِينَ بلَحْمِها وَشحمٍ كهُدَّابِ الدّمَقْسِ المُفتَّلِ[1]

ولهذه المخطوطة طبعة على الحجر طبعها يوحنا بن اسعد الصعبي في لبنان ١٢٦٩ — ١٨٥٣ ، كما طبعت في القاهرة ١٢٧٧ ، وفي الاسكندرية ١٢٨٨ . ثم في القاهرة ١٣١١، ١٣١٥، ١٣١٩ ، ١٣٢٨ ، هجرية .. مع قصيدة الاعشى: ما بكاء الكبير بالأطلال .. وثلاث قصائد للنابغة .. وطبعت مع تعليقات هندية في دلهي سنة ١٨٩٥ .

ثم جاء التبريزي المتوفي سنة ٥٠٢ — ١١٠٩ فشرح المعلقات واعلنها عشراً لا سبعاً . وخير الشروح بالاجماع شرحا الزوزني والتبريزي .. ويمتاز الزوزني عن غيره من الشراح في كونه اكثر اهتماماً في اللغة ، وما اختلف عليه الادباء في عهده وقبل عهده من وجوه الكلام والتعليقات في تفسير بعض الابيات ، فاذا اطلت النظر في تفسيره وجدته يمدك بمادة لغوية حسنة ، وتفسير هين سهل صادق ، واساوب متين رائع .. وتعليقات نحوية وصرفية مفيدة جداً ، بحيث يخرج القارىء من مطالعة هذا الكتاب بمادة لغوية لا يجد لها مثيلاً في كتاب آخر ولو صرف الكثير من الوقت ، واتبعه بالأكثر من الجهد ..

١— يقال : ظل زيد قائماً إذا اتى عليه النهار وهو قائم ، وبات زيد نائماً إذا اتى عليه الليل وهو نائم، وطفِق زيد يقرأ القرآن إذا اخذ فيه ليلا ونهاراً. الهداب والهدب : اسمان لما استرسل من الشيء نحو ما استرسل من الأشفار من الشعر ومن اطراف الأثواب ، الواحدة ُهدابة وهُدبة ، ويجمع الهدب على الأهداب . الدمقس والمدقس : الإبريسم ، وقيل هو الأبيض منه خاصة .

يقول : فجعلن يلقي بعضهن إلى بعض شواء المطية استطابة او توسعاً فيه طول نهارهن ، وشبّه شحمها بالإبريسم الذي أُجيد فتله وبولغ فيه ، وقيل هو القز . الشحم : السمن .

ويومَ دخلتُ الخِدرَ خدرَ عُنَيزَةٍ   فقالتْ لكَ الوَيلاتُ إنّكَ مُرْجِلي [1]

١- الخدر : الهودج ، والجمع الخدور ، ويستعار للستر والحجلة وغيرهما ، ومنه قولهم : خدرت الجارية وجارية مخدرة أي مقصورة في خدرها لا تبرز منه ، ومن قولهم: خدر الأسد يخدر خدراً وأخدر إخداراً إذا لزم عرينه؛ ومنه قول ليلى الأخيلية :

فتى كان أحيا من فتاة حيية   وأشجع من ليث بخفان خادر

وقول الشاعر :

كالأسد الورد غدا من مخدره

والمراد بالخدر في البيت الهودج . عنيزة : اسم عشيقته وهي ابنة عمه ، وقيل هو لقب لها واسمها فاطمة ، وقيل بل اسمها عنيزة ، وفاطمة غيرها . قوله : فقالت لك الويلات ، أكثرُ الناس على أن هذا دعاء منها عليه ؛ والويلات : جمع ويلة ، والويلة والويل : شدة العذاب ، وزعم بعضهم أنه دعاء منها له في معرض الدعاء عليه ، والعرب تفعل ذلك صَرفاً لعين الكمال عن المدعوّ عليه . ومنه قولهم : قاتله الله ما أفصحه ! ومنه قول جميل :

رمى الله في عينيْ بثينة بالقذى   وفي الغرّ من انيابها بالقوادح

ويقال : رجل الرجل يرجل رجلا فهو راجل ، وأرجلته أنا صيرته راجلا . خدر عنيزة بدل من الخدر الأول ، والمعنى : ويوم دخلتُ خدر عنيزة ، وهذا مثل قوله تعالى : « لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات » ومنه قول الشاعر :

يا تيم تيم عديٍّ لا أبا لكمو   لا يُلفينكمو في سوأةٍ عمر

وصرف عنيزة لضرورة الشعر وهي لا تنصرف في غير الشعر وذلك للتأنيث والتعريف .

يقول : ويوم دخلت هودج عنيزة فدعتْ علي أو دعت لي في معرض الدعاء علي ، وقالت : إنك تصيرني راجلة لعقرك ظهر بعيري ، يريد أن هذا اليوم كان من محاسن الأيام الصالحة التي نلتها منهن أيضاً .

تقولُ وقد مالَ الغَبيطُ بنا معاً عقَرْتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ [1]

فقلتُ لها سيري وأرْخي زِمامَهُ ولا تُبْعديني منْ جَناكِ المُعَلَّلِ [2]

فمِثلِكِ حُبلى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ فألهيْتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِلِ [3]

١– الغبيط : ضرب من الرحال ، وقيل بل ضرب من الهوادج . الباء في قوله بنا للتعدية وقد أمالنا الغبيط جميعاً . عقرت بعيري : أدبرت ظهره ، من قولهم : كلب عقور ، ولا يقال في ذي الروح إلا عقور .

يقول : كانت هذه المرأة تقول لي في حال إمالة الهودج أو الرحل إيانا : قد أدبرت ظهر بعيري فانزلْ عن البعير .

٢– جعل العشيقة بمنزلة الشجرة ، وجعل ما نال من عناقها وتقبيلها وشمها بمنزلة الثمرة ليتناسب الكلام . المعلل : المكرر ، من قولهم : علّه يُعله إذا كرر سقيه ، وعلله للتكثير والتكرير. المعلل : الملهّى ، من قولك : عللت الصبي بفاكهة أي ألهيته بها ؛ وقد روي اللفظ في البيت بكسر اللام وفتحها ، والمعنى على ما ذكرنا .

يقول : فقلت للعشيقة بعد أمرها إياي بالنزول : سيري وأرخي زمام البعير ولا تبعديني مما أنال من عناقك وشمك وتقبيلك الذي يلهيني أو الذي أكرره. ويقال لمن على الدابة سار يسير ، كما يقال للماشي كذلك ؛ قال سيري وهي راكبة . الجنى : اسم لما يجتنى من الشجر ، والجنى المصدر ، يقال : جنيت الثمرة واجتنيتها .

٣– فمثلك حبلى بإضمار ربَّ ... أراد فرب امرأة حبلى . الطروق : الإتيان ليلا ، والفعل طرق يطرق . المرضع : التي لها ولد رضيع ، إذا بنيت على الفعل انثت فقيل : أرضعت فهي مرضعة ، وإذا حملوها على أنها بمعنى ذات إرضاع أو ذات رضيع لم تلحقها تاء التأنيث ، ومثلها حائض وطالق وحامل ، لا فصل بين هذه الأسماء فيما ذكرنا ، وإذا حملت على أنها من

المنسوبات لم تلحقها علامة التأنيث ، وإذا حملت على الفعل لحقتها علامة التأنيث ، ومعنى المنسوب في هذا الباب أن يكون الاسم بمعنى ذي كذا أو ذات كذا، والاسم إذا كان من هذا القبيل عرّته العرب من علامة التأنيث كما قالوا: امرأة لابن تامر.. أي ذات لبن وذات تمر، ورجل لابن وتامر.. أي ذو لبن وذو تمر ، ومنه قوله تعالى : « السماء منفطر به » نص الخليل على أن المعنى : السماء ذات انفطار به ، لذلك تجرد لفظ منفطر عن علامة التأنيث. وقوله تعالى : « لا فارضٌ ولا بكر عوان » أي لا ذات فرض ، وتقول العرب : جمل ضامر وناقة ضامر ، وجمل شائل وناقة شائل ، ومنه قول الأعشى :

عهدي بها في الحيّ قد سربلت بيضاء مثل المهرة الضامر

أي ذات الضمور ، وقول الآخر :

وغررتني وزعمت أنك لابن في الصيف تامر

أي ذات لبن وذات تمر ؛ وقول الآخر :

ورابعتْني تحت ليل ضارب بساعد فعم وكفّ خاضب

أي ذات خضاب ؛ وقال ايضاً :

يا ليت أم العمر كانت صاحبي مكان من أمسى على الركائب

أي ذات صحبتي ؛ وأنشد النحويون :

وقد تخذت رحلي لدى جنب غرزها نسيفاً كأفحوص القطاة المطرق

أي ذات الطريق . والمعول في هذا الباب على السماع إذ هو غير منقاد للقياس . لهيت عن الشيء ألهى عنه لهياً إذا شغلت عنه وسلوت ، وألهيته إلهاء إذا شغلته . التميمة : العوذة ، والجمع التمائم . يقال : احول الصبي إذا تم له حول فهو محول ؛ ويروى : عن ذي تمائم مغيل ؛ يقال : غالت المرأة ولدها تغيل غيلا وأغالت تغيل إغيالا إذا أرضعته وهي حبلى . ويروى : ومرضع بالعطف على حبل. ويروى: ومرضعاً على تقدير طرقتها، ومرضعاً تكون معطوفة على ضمير المفعول .

إذا ما بكى من خلفها انْصَرَفَتْ لهُ ... بشِقٍّ وَتحتي شِقها لم يُحَوَّلِ[1]

وَيَوْماً على ظَهر الكَثيبِ تَعذّرَتْ ... عَليّ وَآلَتْ حَلْفَةً لم تَحَلَّلِ[2]

يقول : فرب امرأة حبلى قد أتيتها ليلا ، ورب امرأة ذات رضيع أتيتها ليلاً فشغلتها عن ولدها الذي علقت عليه العوذة وقد أتى عليه حول كامل أو قد حبلت أمه بغيره فهي ترضعه على حبلها ، وإنما خص الحبلى والمرضع لأنها أزهد النساء في الرجال وأقلهن شغفاً بهم وحرصاً عليهم ، فقال : خدعت مثلهما مع اشتغالهما بأنفسهما فكيف تتخلصين مني ؟ قوله : فمثلك ، يريد به فرب امرأة مثل عنيزة في ميله إليها وحبه لها ، لأن عنيزة في هذا الوقت كانت عذراء غير حبلى ولا مرضع .

١- شق الشيء : نصفه . يقول : إذا ما بكى الصبي من خلف المرضع انصرفت إليه بنصفها الأعلى فأرضعته وأرضته بينما تحتي نصفها الأسفل لم تحوله عني ، وصف غاية ميلها إليه وكلفها به حيث لم يشغلها عن مرامه ما يشغل الأمهات عن كل شيء .

٢- الكثيب : رمل كثير ، والجمع أكثبة وكثُب وكثبان . التعذر : التشدد والالتواء . الإيلاء والائتلاء والتألي : الحلف ، يقال : آلى وائتلى وتألّى إذا حلف ، واسم اليمين الأليّة والالوة معاً ، والحلف المصدر ، والحلف بكسر اللام ، الاسم . الحلفة : المرة التخلل في اليمين : الاستثناء . نصب حلفة لأنها حلت محل الإيلاء كأنه قال : وآلت إيلاء ، والفعل يعمل فيما وافق مصدره في المعنى كعمله في مصدره نحو قولهم : إني لأشنؤه بغضاً وإني لأبغضه كراهية . يقول : وقد تشددت العشيقة والتوت وساءت عشرتها يوماً على ظهر الكثيب المعروف وحلفت حلفاً لم تستثن فيه أنها تصارمني وتهاجرني ، هـــذا ويحتمل أن يكون صفة حال اتفقت له مع عنيزة ، ويحتمل أنها مع المرضع التي وصفها .

أفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هذا التَّدَلُّلِ وَإنْ كنتِ قد أزمعْتِ صَرْمي فأجْمِلي[1]
أغَرَّكِ منّي أنّ حبَّكِ قاتِلي وَأنّكِ مهما تأمري القلبَ يَفْعَلِ[2]

١- مهـــلا : أي رفقاً . الإدلال والتدليل : أن يثق الإنسان بحب غيره إياه فيؤذيه على حسب ثقته به ، والاسم الدله والدال والدلال . أزمعت الأمر وأزمعت عليه : وطنت نفسي عليه .

يقول : يا فاطمة دعي بعض دلالك وإن كنت وطنت نفسك على فراقي فأجملي الهجران . نصب بعض لأن مهلا ينوب منـــاب دع . الصرم : المصدر ، يقال : صرمت الرجل أصرمه صرماً إذا قطعت كلامه ، والصرم الاسم . فاطمة : اسم المرضع واسم عنيزة ، وعنيزة لقب لهـــا فيما قيل .

٢- يقول : قد غرك مني كون حبك قاتلي وكون قلبي منقـــاداً لك بحيث مهما أمرته بشيء فعله . وألف الاستفهام دخلت على هذا القول للتقرير لا للاستفهام والاستخبار ، ومنه قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ

يريد أنهم خير هؤلاء ؛ وقيل : بل معناه قد غرك مني أنك علمت أن حبك مذللي ، والقتل التذليل ، وأنك تملكين فؤادك فمهما أمرت قلبك بشيء أسرع إلى مرادك فتحسبين أني أملك عنان قلبي كما ملكت عنان قلبك حتى سهل علي فراقك كما سهل عليك فراقي ؛ ومن الناس من حمله على مقتضى الظاهر وقال : معنى البيت : أتوهمت وحسبت أن حبك يقتلني أو أنك مهما أمرت قلبي بشيء فعله ؟ قال : يريد أن الأمر ليس على ما خيل إليك فإني مالك زمام قلبي ؛ والوجه الأمثل هو الوجه الأول وهذا القول أرذل الأقوال لأن مثل هذا الكلام لا يستحسن في النسيب بالحبيب .

وَإنْ تَكُ قد ساءتكِ مني خَليقة   فسُلّي ثيابي من ثيابِكِ تَنْسُلِ[1]
وَما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلّا لتضرِبي   بِسَهْمَيْكِ في أعشارِ قلْبٍ مُقَتَّلِ[2]

١– من الناس من جعل الثياب في هذا البيت بمعنى القلب ، كما حملت الثياب على القلب في قول عنترة :

فشككت بالرمح الأصم ثيابه   ليس الكريم على القنا بمحرّم

وقد حملت الثياب في قوله تعالى : « وثيابك فطهر » على أن المراد به القلب ، فالمعنى على هـــذا القول : إن ساءك خلق من أخلاقي وكرهت خصلة من خصالي فردي علي قلبي أفارقك ، والمعنى على هذا القول : استخرجي قلبي من قلبك يفارقه . النسول : سقوط الريش والوبر والصوف والشعر ، يقال : نسل ريش الطائر ينسل نسولا ، واسم ما سقط النسيل والنسال ، ومنهم من رواه تنسلي وجعـــل الانسلاء بمعنى التسلي ، والرواية الأولى أولاهما بالصواب ، ومن الناس من حمل الثياب في البيت على الثياب الملبوسة وقال : كنى بتباين الثياب وتباعدها عن تباعدهما ؛ وقال : إن ساءك شيء من أخلاقي فاستخرجي ثيابي من ثيابك أي ففارقيني وصارميني كما تحبين ، فإني لا أؤثر إلا مـــا آثرت ولا أختار إلا ما اخترت لانقيادي لك وميلي إليك ، فإذا آثرت فراقي آثرته وإن كان سبب هلاكي وجالب موتي .

٢– ذرف الدمع يذرف ذريفاً وذرفاناً وتذرافاً إذا سال ، ثم يقال ذرفت كما يقال دمعت عينه ، وللأئمة في البيت قولان، قال الأكثرون : استعار للحظ عينيها ودمعهما اسم السهم لتأثيرهما في القلوب وجرحها إياها كما أن السهام تجرح الأجسام وتؤثر فيها . الأعشار من قولهم : برمة أعشار إذا كانت قطعاً ، ولا واحد لها من لفظها . المقتل : المذلل غاية التذليل ، والقتل في الكلام التذليل ، ومنه قولهم : قتلت الشراب إذا قللت غرْبَ سوْرته

وَبَيْضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤُها   تَمَتَّعْتُ من لَهْوٍ بها غيرَ مُعجَلِ [1]

بالمزاج ، ومنه قول الأخطل :

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها   وحب بها مقتولة حين تقتل

وقال حسان :

إن التي ناولتني فرددتها   قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

ومنه : قتلت أرض جاهلها وقتل أرضاً عالمها ، ومنه قوله تعالى : « وما قتلوه يقيناً » عند أكثر الأئمة : أي ما ذللوا قولهم بالعلم اليقين . وتلخيص المعنى على هذا القول : وما دمعت عيناك وما بكيت إلا لتصيدي قلبي بسهمي دمع عينيك وتجرحي قطع قلبي الذي ذللته بعشقك غاية التذليل ، أي نكايتها في قلبي نكاية السهم في المرمى ، وقال آخرون : أراد بالسهمين المعلى والرقيب من سهام الميسر والجزور يقسم على عشرة أجزاء ، فللمعلّى سبعة أجزاء وللرقيب ثلاثة أجزاء ، فمن فاز بهذين القدحين فقد فاز بجميع الأجزاء وظفر بالجزور ، وتلخيص المعنى على هذا القول : وما بكيت إلا لتملكي قلبي كله وتفوزي بجميع أعشاره وتذهبي بكله ، والأعشار على هذا القول جمع عشر لأن أجزاء الجزور عشرة ، والله أعلم .

١— أي ورب بيضة خدر ، يعني : ورب امرأة لزمت خدرها ، ثم شبهها بالبيض ، والنساء يشبَّهن بالبيض من ثلاثة أوجه : أحدها بالصحة والسلامة عن الطمث ، ومنه قول الفرزدق :

خرجن إلي لم يطمثن قبلي   وهن أصحُّ من بيض النعام

ويروى : دُفعن إلي ، ويروى : برزن إلي . والثاني في الصيانة والستر لأن الطائر يصون بيضه ويحضنه . والثالث في صفاء اللون ونقائه لأن البيض يكون صافي اللون نقيه إذا كان تحت الطائر ، وربما شبهت النساء ببيض

تجاوَزتُ أحْراساً إلَيْها ومَعْشَراً   عليّ حِراصاً لَوْ يُسرّونَ مقتَلي[1]

النعام ، وأريد أنهن بيض تشوب ألوانهن صفرة يسيرة وكذلك لون بيض النعام ، ومنه قول ذي الرمّة :

كأنها فضة قد مسّها الذهب

الروم : الطلب ، والفعل منه يروم . الخباء : البيت إذا كان من قطن أو وبر أو صوف أو شعر ، والجمع الأخبية . التمتع : الانتفاع . وغير ، يروى بالنصب والجر ، فالجر على صفة لهو والنصب على الحال من التاء في تمتعت . يقول : ورب امرأة كالبيض في سلامتها من الافتضاض او في الصون والستر أو في صفاء اللون ونقائه أو بياضها المشوب بصفرة يسيرة ـ ملازمةٍ خدرها غير خراجة ولّاجة انتفعت باللهو فيها على تمكّثُ وتلبث لم اعجل عنها ولم أُشغل عنها بغيرها .

١ـ الأحراس : يجوز ان يكون جمع حارس بمنزلة صاحب وأصحاب وناصر وأنصار وشاهد واشهاد ، ويجوز ان يكون جمع حرس بمنزلة جبل واجبال وحجر واحجار ، ثم يكون الحرس جمع حارس بمنزلة خادم وخدم وغائب وغيب وطالب وطلب وعابد وعبد . المعشر : القوم ، والجمع المعاشر . الحراص : جمع حريص ، مثل ظراف وكرام ولئام في جمع ظريف وكريم ولئيم . الإسرار : الإظهار والإضمار جميعاً ، وهو من الأضداد ، ويروى : لو يشرون مقتلي ، بالشين المعجمة ، وهو الإظهار لا غير .

يقول : تجاوزت في ذهابي اليها وزيارتي إياها أهوالا كثيرة وقوماً يحرسونها وقوماً حراصاً على قتلي لو قدروا عليه في خفية لأنهم لا يجترئون على قتلي جهاراً ، او حراصاً على قتلي لو أمكنهم قتلي ظـــاهراً لينزجر ويرتدع

إذا ما الثُّرَيّا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ   تَعَرُّضَ أَثْناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ[1]

فجِئْتُ وقد نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثيابَها   لدى السِّترِ إلّا لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ[2]

غيري عن مثل صنيعي ، وحمله على الأول أولى لأنه كان ملكاً والملوك لا يُقدر على قتلهم علانية .

١– التعرض : الاستقبال ، والتعرض إبداء العرض ، وهو الناحية ، والتعرض الأخذ في الذهاب عرضاً . الأثناء : النواحي ، والأثناء الأوساط ، واحدها ثنى مثل عصى وثنْي مثل معي وثني بوزن فعل مثل نحي ، وكذلك الآناء بمعنى الأوقات والآلاء بمعنى النعم في واحدها ، هذه اللغـات الثلاث ذكرها كلها ابن الأنباري . المفصل : الذي فُصل بين خرزه بالذهب او غيره .

يقول : تجاوزت إليها في وقت إبداء الثريا عرضها في السماء كإبداء الوشاح الذي فصل بين جواهره وخرزه بالذهب او غيره عرضة .

يقول : أتيتها عند رؤية نواحي كواكب الثريا في الأفق الشرقي ، ثم شبه نواحيها بنواحي جواهر الوشاح ، هذا احسن الأقوال في تفسير البيت ، ومنهم من قال شبّه كواكب الثريا بجواهر الوشاح لأن الثريا تأخذ وسط السماء كما ان الوشاح يأخذ وسط المرأة المتوشحة ، ومنهم من زعم انه اراد الجوزاء فغلط وقال الثريا لأن التعرض للجوزاء دون الثريا ، وهذا قول محمد ابن سلام الجمحي ، وقال بعضهم : تعرُّض الثريا – انها إذا بلغت كبد السماء أخذت في العرض ذاهبة ساعة كما ان الوشاح يقع مائلاً إلى أحـد شقي المتوشحة به .

٢– نضا الثياب ينضوها نضواً إذا خلعها ، ونضاها ينضيها إذا اراد المبالغة . اللبسة : حالة اللابس وهيئة لبسه الثياب بمنزلة الجلسة والقعدة والركبة

فقالتْ : يَمينَ اللهِ ما لكَ حِيلَةٌ   وَما إنْ أرى عنكَ الغَوايَةَ تَنْجلي[1]
خَرَجْتُ بها أمشي تَجُرُّ وَراءنَا   على أثَرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ[2]

والردية والازرة . المتفضل : اللابس ثوباً واحداً إذا اراد الخفة في العمل ، والفضلة والفضل اسمان لذلك .

يقول اتيتها وقد خلعت ثيابها عند النوم غير ثوب واحد تنام فيه وقد وقفت عند الستر مترقبة ومنتظرة لي وإنما خلعت الثياب لتري اهلها انها تريد النوم .

١—اليمين : الحلف . الغواية والغي : الضلالة ، والفعل غوي يغوي غواية ، ويروى العماية وهي العمى . الانجلاء: الانكشاف ، وجلوته كشفتُه فانجلى. الحيلة اصلها حولة فأبدلت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها . وإنْ في قوله وما إن زائدة ، وهي تزاد مع ما النافية ، ومنه قول الشاعر :

وما إن طبّنا جبن ولكن   منايانا ودولة آخرينا

يقول : فقالت الحبيبة احلف بالله ما لك حيلة اي ما لي لدفعك عني حيلة ، وقيل : بل معناه ما لك حجة في ان تفضحني بطروقك إياي وزيارتك ليلاً ، يقال : ما له حيلة اي ما له عذر وحجة ، وما أرى ضلال العشق وعماه منكشفاً عنك ، وتحرير المعنى انها قالت : ما لي سبيل إلى دفعك او ما لك عذر في زيارتي وما اراك نازعاً عن هواك وغيك ، ونصب يمين الله كقولهم : الله لأقومن ، على إضمار الفعل ، وقال الرواة : هذا أغنج بيت في الشعر .

٢—خرجتُ بها ، افادت الباء تعدي الفعل ، والمعنى : اخرجتها من خدرها . الأثر والإثر واحد ، وامّا الأثر ، بفتح الهمزة وسكون الثاء : فهو فرند السيف ، ويروى : على إثرها اذيال ، والذيل يجمع على الأذيال والذيول .

فلمّا أجزْنا ساحَةَ الحيِّ وَانْتَحَى ... بنا بطنُ خَبْتٍ ذي حِقافٍ عَقَنْقَلِ [1]

المرط عند العرب : كساء من خز او مرعزى او من صوف ، وقد تسمى الملاءة مرطاً ايضاً ، والجمع المروط . المرحل : المنقش بنقوش تشبه رحال الإبل ، يقال : ثوب مرحل وفي هذا الثوب ترحيل .

يقول : فأخرجتها من خدرها وهي تمشي وتجر مرطها على اثرنا لتعفي به آثار اقدامنا ، والمرط كان موشى بأمثال الرحال ، ويروى : نير مرط ، والنير : علم الثوب .

١ــ يقال : اجزت المكان وجُزته إذا قطعته إجازة وجوازاً . الساحة تجمع على الساحات والسوح مثل قارة وقارات وقار وقور ، والقارة: الجبيل الصغير . الحي : القبيلة ، والجمع الأحياء ، وقد تسمى الحلة حياً . الانتحاء والتنحي والنحو : الاعتماد على الشيء ، ذكره ابن الأعرابي . البطن : مكان مطمئن حوله أماكن مرتفعة ، والجمع ابطن وبطون وبطنان . الخبت : أرض مطمئنة . الحقف : رمل مشرف معوج ، والجمع أحقاف وحقاف ويروى : ذي قفاف ، وهي جمع قف ، وهو ما غلظ وارتفع من الأرض ولم يبلغ ان يكون جبلا . العقنقل : الرمل المنعقد المتلبد . وأصله من العقل وهو الشد . وزعم ابو عبيدة واكثر الكوفيين ان الواو في وانتحى ــ مقحمة زائدة . وهو عندهم جوابُ لما ، وكذلك قولهم في الواو في قوله تعالى : «وناديناه ان يا ابراهيم» والواو لا تقحم زائدة في جواب لمّا عند البصريين ، والجواب يكون محذوفاً في مثل هذا الموضع تقديره في البيت : فلما كان كذا وكذا تنعمت وتمتعت بها ، او الجواب قوله هصرت ، وفي الآية فازا وظفرا بما احبا ، وحذف جواب لما كثير في التنزيل وكلام العرب .

يقول : فلما جاوزنا ساحه الحلة وخرجنا من بين البيوت وصرنا الى ارض مطمئنة بين حقاف ، يريد مكاناً مطمئناً أحاطت به حقاف او قفاف

هَصَرْتُ بفَـوْدَيْ رأْسِها فَتمايَلَتْ   علي هَضيمَ ٱلكَشْحِ رَيّا المُخلخَلِ[1]

منعقدة، والعقنقل من صفة الخبت لذلك لم يؤنثه، ومنهم من جعله من صفة الحقاف وأحلّه محـــل الأسماء وعطله من علامة التأنيث لذلك . وقوله : وانتحى بنا بطن خبت ، أسند الفعل إلى بطن خبت ، والفعل عند التحقيق لهما ولكنه ضرْب من الاتساع في الكلام ، والمعنى صرنا إلى مثـــل هذا المكان ، وتلخيص المعنى : فلما خرجنا من مجمع بيوت القبيلة وصرنا الى مثل هذا الموضع طاب حالنا وراق عيشنا .

١ـ الهصر : الجذب ، والفعل هصر يهصر . الفودان . جانبا الرأس . تمايلت أي مالت .ويروى . بغصني دومة ، والدوم . شجر المقل ، واحدتهـــا دومة ، شبّهها بشجرة الدوم وشبه ذؤابتيها بغصنين وجعل ما نال منهـا كالثمر الذي يجتنى من الشجر ، ويروى : إذا قلت هاتي ناوليني تمايلت ، والنول والإنالة والتنويل: الإعطاء ، ومنه قيل للعطية نوال. هضيم الكشح: ضامر الكشح ، والكشح : منقطع الاضلاع ، والجمع كشوح ، وأصـــل الهضم الكسر ، والفعل هضم يهضم ، وإنما قيل لضامر البطن هضيم الكشح لأنه يدق بذلك الموضع من جسده فكأنه هضيم عن قرار الردف والجنبين والوركين . ريا : تأنيث الريان . المخلخل : موضع الخلخال من الساق ، والمسوّر : موضع السوار من الذراع ، والمقلد : موضع القلادة من العنق ، والمقرط : موضع القرط من الأذن . عبر عن كثرة لحم الساقين وامتلائها بالري . هصرت : جواب لمّا من البيت السابق عند البصريين ، وأما الرواية الثالثة وهي إذا قلت فإن الجواب مضمر محذوف على تلك الرواية على ما مر ذكره في البيت الذي قبله..

يقول : لما خرجنا من الحلة وأمنا الرقباء جذبت ذؤابتيها إلي فطاوعتني فيما رمت منها ومالت علي مسعفة بطلبتي في حال ضمور كشحيها وامتلاء

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ غيرُ مُفاضَةٍ ترائبُها مَصْقولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ [1]
كَبِكْرِ المُقاناةِ البَياضَ بصُفْرَةٍ غذاها نَميرُ الماءِ غيرُ المُحَلَّلِ [2]

ساقيها باللحم ، والتفسير على الرواية الثالثة : إذا طلبت منها ما أحببت وقلت أعطيني سؤلي كان ما ذكرنا ، ونصب هضيم الكشح على الحال ولم يقل هضيمة الكشح لأن فعيلاً إذا كان بمعنى مفعول لم تلاحقه علامة التأنيث للفصل بين فعيل إذا كان بمعنى الفاعل وبين فعيل إذا كان بمعنى المفعول ، ومنه قوله تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » .

١ – المهفهفة : اللطيفة الخصر الضامرة البطن . المفاضة : المرأة العظيمة البطن المسترخية اللحم . الترائب جمع التريبة : وهي موضع القلادة من الصدر . السقل والصقل ، بالسين والصاد : إزالة الصدإ والدنس وغيرهما ، والفعل منه سقل يسقل وصقل يصقل . السجنجل : المرآة ، لغة رومية عربتها العرب ، وقيل بل هو قطع الذهب والفضة .
يقول : هي امرأة دقيقة الخصر ضامرة البطن غير عظيمة البطن ولا مسترخيته وصدرها براق اللون متلألىء الصفاء كتلألؤ المرآة .

٢ – البكر من كل صنف : ما لم يسبقه مثله . المقاناة : الخلط ، يقال : قانيت بين الشيئين إذا خلطت أحدهما بالآخر ، والمقاناة في البيت مصوغة للمفعول دون المصدر . النمير : الماء النامي في الجسد . المحلل : ذكر أنه من الحلول وذكر أنه من الحل ، ثم إن للأئمة في تفسير البيت ثلاثة أقوال : أحدها أن المعنى كبكر البيض التي قوني بياضها بصفرة ، يعني بيض النعام وهي بيض تخالط بياضها صفرة يسيرة ، شبه لون العشيقة بلون بيض النعام في أن في كل منهما بياضاً خالطته صفرة ، ثم رجع الى صفتها فقال : غذاها ماء نمير عذب لم يكثر حلول النـاس عليه فيكدره ذلك ، يريد أنه عذب صاف ،

تصُدّ وتُبْدي عن أسيلٍ وتَتَّقي   بناظرةٍ من وَحش وَجرةَ مُطْفِلِ[١]

وإنما شرط هذا لأن الماء من أكثر الأشياء تأثيراً في الغذاء لفرط الحاجة إليه فإذا عذُب وصفا حسن موقعه في غذاء شاربه ، وتلخيص المعنى على هذا القول : إنها بيضاء تشوب بياضها صفرة وقد غذاها ماء نمير عذب صاف ، والبياض شابته صفرة هو أحسن ألوان النساء عند العرب . والثاني أن المعنى كبكر الصدفة التي خولط بياضها بصفرة ، وأراد ببكرها درتها التي لم ير مثلها ، ثم قال : قد غذا هذه الدرة ماء نمير وهي غير محللة لمن رامها لأنها في قعر البحر لا تصل إليها الأيدي ، وتلخيص المعنى على هذا القول : انه شبهها في صفاء اللون ونقائه بدرة فريدة تضمنتها صدفة بيضاء شابت بياضها صفرة وكذلك لون الصدفة ، ثم ذكر أن الدرة التي أشبهتها حصلت في ماء نمير لا تصل إليها أيدي طلابها ، وإنما شرط النمير والدر لا يكون إلا في الماء الملح لأن الملح له بمنزلة العذب لنا إذ صار سبب نمائه كما صار العذب سبب نمائنا . والثالث أنه أراد كبكر البردي التي شاب بياضها صفرة وقد غذا البردي ماء نمير لم يكثر حلول الناس عليه ، وشرط ذلك ليسلم الماء عن الكدر واذا كان كذلك لم يغير لون البردي ، والتشبيه من حيث أن بياض العشيقة خالطته صفرة كما خالطت بياض البردي . ويروى البيت بنصب البياض وخفضه ، وهما جيدان ، بمنزلة قولهم : زيد الحسن الوجه ، والحسن الوجه ، بالخفض على الإضافة والنصب على التشبيه كقولهم : زيد الضارب الرجل .

١- الصد والصدود : الإعراض ، والصد أيضا الصرف والدفع ، والفعل منه صد يصد ، والإصداد الصرف ايضاً . الإبداء : الإظهار . الأسالة : امتداد وطول الخد ، وقد أسل أسالة فهو أسيل . الاتقاء : الحجز بين الشيئين ، يقال : اتقيته بترس أي جعلت الترس حاجزاً بيني وبينه . وجرة : موضع.

وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ ليْسَ بفاحشٍ إذا هيَ نَصّتْهُ ولا بمُعَطَّلِ[1]
وفَرْعٍ يَزِينُ المَتنَ أسْودَ فاحِمٍ أثيثٍ كَقِنْوِ النّخلةِ المُتَعَثْكِلِ[2]

المطفل : التي لها طفل . الوحش . جمع وحشي مثل زنج وزنجي وروم ورومي . يقول : تعرض العشيقة عني وتظهر خداً أسيلاً وتجعل بيني وبينها عيناً ناظرة من نواظر وحش هذا الموضع التي لها أطفال ، شبهها في حسن عينيها بظبية مطفل أو بمهاة مطفل ، وتلخيص المعنى : انها تعرض عني فتظهر في أعراضها خداً أسيلاً وتستقبلني بعين مثل عيون ظباء وجرة أو مهاها اللواتي لها أطفال ، وخصهن لنظرهن الى أولادهن بالعطف والشفقة وهي أحسن عيوناً في تلك الحال منهن في سائر الأحوال . قوله : عن أسيل ، أي عن خد أسيل ، فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه كقولك . مررت بعاقل ، أي بإنسان عاقل ، وقوله : من وحش وجرة ، أي من نواظر وحش وجرة ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه كقوله تعالى : « واسأل القرية » أي أهل القرية .

١– الرئم . الظبي الأبيض الخالص البياض ، والجمع آرام . النص : الرفع ،ومنه سمي ما تجلى عليه العروس منصة ، ومنه النص في السير وهو حمل البعير على سير شديد ، ونصصت الحديث أنصه نصاً : رفعته . الفاحش : ما جاوز القدر المحمود من كل شيء .
يقول . وتبدي عن عنق كعنق الظبي غير متجاوز قدره المحمود اذا مارفعت عنقها وهو غير معطل عن الحلي ، فشبه عنقها بعنق الظبية في حال رفعها عنقها ، ثم ذكر انه لا يشبه عنق الظبي في التعطل عن الحلي .

٢– الفرع : الشعر التام ، والجمع فروع ، ورجل أفرع وامرأة فرعاء . الفاحم : الشديد السواد مشتق من الفحم ، يقال : هو فاحم بيّن الفحومة . الأثيث :

غدائرُه مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلا تَضِلّ العِقاصُ في مُثَنّى ومُرْسَلِ [1]
وكَشْحٍ لطيفٍ كالجديلِ مُخَصَّرٍ وسَاقٍ كأُنبوبِ السَّقيّ المُذَلَّلِ [2]

الكثير ، والأثاثة الكثرة ، يقـال : أث الشعر والنبت . القنو يجمع على الأقناء والقنوان . العثكول والعثكال قد يكونان بمعنى القنو وقد يكونان بمعنى قطعة من القنو ، والنخلة المتعثكلة . التي خرجت عثاكيلها أي قنوانها .

يقول : وتبدي عن شعر طويل تام يزين ظهرها اذا أرسلته عليه ، ثم شبه ذؤابتيها بقنو نخلة خرجت قنواتها ، والذوائب تشبه بالعناقيد ، والقنوان يراد به تجعدها وأثاثتها .

١– الغدائر جمع الغديرة : وهي الخصلة من الشعر . الاستشزار : الارتفاع والرفع جميعاً ، فيكون الفعل منه مرة لازماً ومرة متعدياً ، فمن روى مستشزرات بكسر الزاي جعله من اللازم ، ومن روى بفتح الزاي جعله من المتعدي . العقيصة : الخصلة المجموعة من الشعر ، والجمع عقص وعقائص . والفعل من الضلال والضلالة ضل يضل .

يقول : ذوائبها وغدائرها مرفوعات أو مرتفعات الى فوق ، يراد به شدها على الرأس بخيوط ، ثم قال : تغيب تعاقيصها في شعر بعضه مثنى وبعضه مرسل ، أراد به وفور شعرها . والتعقيص التجعيد .

٢– الجديل : خطام يتخذ من الأدم ، والجمع جدُل . المخصر : الدقيق الوسط ، ومنه نعل مخصرة . الأنبوب . ما بين العقيدتين من القصب وغيره ، والجمع الانابيب . السقي ها هنا . بمعنى المسقي كالجريح بمعنى المجروح ، والجني بمعنى المجني .

يقول . وتبدي عن كشح ضامر يحكي في دقته خطاماً متخذاً من الادم وعن

وَتضحي فتيتُ المسكِ فوقَ فراشها   نؤومُ الضُّحى لم تَنْتَطِقْ عن تفضُّلِ [1]

ساق يحكي في صفاء لونه أنابيب بردي بين نخل قد ذللت بكثرة الحمل فأظلت أغصانها هذا البردي ، شبه ضمور بطنها بمثل هذا الخطام ، وشبه صفاء لون ساقها ببردي بين نخيل تظله أغصانها ، وإنما شرط ذلك ليكون أصفى لوناً وأنقى رونقاً ، وتقدير قوله كأنبوب السقي كأنبوب النخل المسقي ، ومنهم من جعل السقي نعتاً للبردي ايضاً ، والمعنى على هـــذا القول : كأنبوب البردي المسقي المذلل بالإرواء .

١ـ الإضحاء . مصادفة الضحى ، وقد يكون بمعنى الصيرورة ايضاً ، يقال : أضحى زيد غنياً أي صار ، ولا يراد به أنه صادف الضحى على صفة الغنى ، ومنه قول عدي بن زيد :

ثم أضحوا كأنهم ورق جفّ   فألوتْ به الصبـــا والدبور

أي صاروا . الفتيت والفتات . اسم لدقاق الشيء الحاصل بالفت . قوله . نؤوم الضحى ، عطل نؤوماً عن علامة التأنيث لأن فعولاً إذا كان بمعنى الفاعل يستوي لفظ صفة المذكر والمؤنث فيه ، يقال . رجل ظلوم وامرأة ظلوم ، ومنه قوله تعالى : « توبة نصوحاً » . قوله . لم تنتطق عن تفضل ، أي بعد تفضل ، كما يقال . استغنى فلان عن فقره أي بعد فقره ، والتفضل . لبس الفضلة ، وهي ثوب واحد يلبس للخفة في العمل .

يقول . تصادف العشيقة الضحى ودقاق المسك فوق فراشها الذي باتت عليه وهي كثيرة النوم في وقت الضحى ولا تشد وسطها بنطاق بعد لبسها ثوب المهنة ، يريد انها مخدومة منعمة تُخدم ولا تخدم ، وتلخيص المعنى . أن فتات المسك يكثر على فراشها وانها تُكفى أمورها فلا تباشر عملاً بنفسها . وصفها بالدعة والنعمة وخفض العيش وان لها من يخدمها ويكفيها أمورها .

وَتَعْطو بِرَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنهُ أساريعُ ظَبْيٍ أوْ مساويكُ إسْحِلِ [1]
تُضيءُ الظَّلامَ بالعِشاءِ كأنَّها مَنارَةُ مُمْسَى راهِبٍ مُتَبَتِّلِ [2]

---

١ —العطو : التناول ، والفعل عطا يعطو عطواً ، والإعطاء المناولة ، والتعاطي التناول ، والمعطاة الخدمة ، والتعطية مثلها . الرخص : اللين الناعم . الشثن . الغليظ الكز ، وقد شثن شثونة. الاسروع واليسروع.دود يكون في البقل والأماكن الندية ، تشبه أنامل النساء به ، والجمع الاساريع واليساريع . ظبي : موضع بعينه . المساويك : جمع المسواك . الإسحل : شجرة.تدق أغصانها في استواء ، تشبه الاصابع بها في الدقة والاستواء .
يقول : وتتناول الاشياء ببنان رخص لين ناعم غير غليظ ولا كز كأن تلك الانامل تشبه هذا الصنف من الدود أو هذا الضرب من المساويك وهو المتخذ من أغصان هذا الشجر المخصوص المعين .

٢ —الإضاءة : قد يكون الفعل المشتق منها لازماً وقد يكون متعدياً ، تقول . أضاء الله الصبح فأضاء ، والضوء والضوء واحد ، والفعل ضاء يضوء ضوءاً ، وهو لازم . المنارة : المسرجة ، والجمع المناور والمنائر . الممسى . بمعنى الإمساء والوقت جميعاً ، ومنه قول أمية :

الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبّحنا ربي ومسانا

الراهب يجمع على الرهبان مثل راكب وركبان وراعٍ ورعيان ،وقد يكون الرهبان واحداً ويجمع حينئذ على الرهابنة والرهابين كما يجمع السلطان على السلاطنة والسلاطين ، انشد الفراء :

لو ابصرتْ رهبان دير في جبل لانحدر الرهبان يسعى ويُصلّ

جعل الرهبان واحداً ، لذلك قال يسعى ولم يقل يسعون . المتبتل : المنقطع إلى الله بنيّته وعمله ، والبتل : القطع ، ومنه قيل مريم البتول لانقطاعها عن

إلى مِثلِها يَرنو الحَليمُ صَبابَةً إذا ما اسبَكَرّتْ بينَ درْعٍ ومِجْوَلِ[1]

الرجال واختصاصها بطاعة الله تعالى ، فالتبتل إذنْ الانقطاع عن الخلق والاختصاص بطاعة الله تعالى ، ومنه قوله تعالى : « وتبتّل إليه تبتيلا » .
يقول : تضيء العشيقة بنور وجهها ظلام الليل فكأنها مصباح راهب منقطع عن الناس ، وخص مصباح الراهب لأنه يوقده ليهتدي به عند الضلال فهو يضيئه أشد الإضاءة ، يريد ان نور وجهها يغلب ظلام الليل ، كما ان نور مصباح الراهب يغلبه [1] .

حياة امرىء القيس

(١) حفلت حياة امرىء القيس كما نقلها إلينا بعض المؤرخين القدامى ممن كتبوا في الادب أو تعرضوا للتأريخ له ، باخبار مختلفة لا أساس لها من الصحة ..

فقد زعموا مثلاً ان والده حجراً أراد قتله لما جرى الشعر على لسانه . وانه بعثه مع أحد رجاله لهذه الغاية ، ولكن رسوله خشى العاقبة ، واحتفظ بالشاب وادعى انه قتله ، فلما شاهد غضب الوالد عليه انبأه بانه لم يفعل ..

وكذلك الخبر الذي يقول ان ملك الروم (جوستنيان) دعاه الى القسطنطينية وجعله اميراً على قبائل فلسطين ليستعين به على الفرس ..

ومثل هذا ما قيل عن حبه لاحدى بنات ملك الروم ، وان الملك امر بقتله في انقره بسبب ذلك ..

وأخيراً ما قيل عن سبب موته بسبب حلة مسمومة لبسها ..

ويرى النقاد العرب ان امرؤ القيس أول من استعمل النسيب وغيره من معاني الشعر في أسلوب القصائد ..

ومن الخصائص العروضية في شعره كثرة استعمال الضرب المقبوض في الطويل وكثرة الاقواء في القافية وكثرة التصريع في أول القصيدة.. كما يقول «قدامه» في كتابه : « نقد الشعر » ..

---

١ ـ الاسكرار : الطول والامتداد . الدرع : هو قميص المرأة ، وهو مذكر ،

تَسَلَّتْ عَماياتُ الرّجالِ عَنِ الصِّبا وليسَ فُؤادي عن هواكِ بِمُنْسَلِ [1]
أَلا رُبَّ خَصْمٍ فيكِ أَلْوَى رَدَدْتُه نصيحٍ على تَعذالِه غيرِ مُؤْتَلِ [2]

ودرع الحديد مؤنثة ، والجمع أدرع ودروع . المجول : ثوب تلبسه الجارية الصغيرة .

يقول : إلى مثلها ينبغي أن ينظر العاقل كلفاً بها وحنيناً إليها إذا طال قدها وامتدت قامتها بين من تلبس الدرع وبين من تلبس المجول ، أي بين اللواتي أدركن الحلم وبين اللواتي لم يدركن الحلم ، يريد أنها طويلة القدمديدة القامة وهي بعد لم تدرك الحلم وقد ارتفعت عن سن الجواري الصغار . قوله — بين درع ومجول ، تقديره — بين لابسة درع ولابسة مجول ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

١— سلا فلان حبيبه يسلو سلواً ، وسلي يسلى سلياً ، وتسلى تسلياً ، وانسلى انسلاء أي زال حبه من قلبه أو زال حزنه . العماية والعمى واحد ، والفعل عمي يعمى . زعم أكثر الائمة أن في البيت قلباً تقديره . تسلت الرجالات عن عمايات الصبا أي خرجوا من ظلماته وليس فؤادي بخارج من هواها .
وزعم بعضهم أن عن في البيت بمعنى بَعْدَ ، تقديره : انكشفت وبطلت ضلالات الرجال بعد مضي صباهم ، بينما ظل فؤادي في ضلالة هواها ، وتلخيص المعنى : أنه زعم أن عشق العشاق قد بطل وزال وعشقه إياها باقٍ ثابت لا يزول ولا يبطل .

٢— الخصم لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث في لغة شطر من العرب ، ومنه قوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب » ، ويثنى ويجمع في لغة الشطر الآخر من العرب ، ويجمع على الخصام والخصوم . الألوى : الشديد

وَلَيلٍ كَمَوْجِ ٱلبَحرِ أَرْخى سُدولَهُ عليَّ بأَنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلي[1]
فَقلْت لَهُ لّما تَمطّى بصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَازاًوَناءبكَلْكَلِ[2]

الخصومة كأنه يلوي خصمه عن دعواه . النصيح : الناصح . التعـذال والعذل : اللوم ، والفعل عذل يعذل . الألو والائتلاء : التقصير ، والفعل ألا ، يألو وائتلى يأتلي .

يقول : ألا رب خصم شديد الخصومة كان ينصحني على فرط لومه إياي على هواك غير مقصر في النصيحة واللوم رددته ولم أنزجر عن هواك بعذله ونصحه . وتحرير المعنى : أنه يخبرها ببلوغ حبه إياها الغاية القصوى حتى انه لا يرتدع عنه بردع ناصح ولا ينجح فيه لوم لائم ، وتقدير لفظ البيت : ألا رب خصم ألوى نصيح على تعذاله غير مؤتل – رددته .

١– شبه ظلام الليل في هوله وصعوبته ونكارة أمره بأمواج البحر . السدول : الستور ، الواحد منها سدل . الإرخاء : إرسال السدل وغيره . الابتلاء : الاختبار . الهموم : جمع الهم ، بمعنى الحزن وبمعنى الهمة . الباء في قوله : بأنواع الهموم ، بمعنى مع .

يقول :ورب ليل يحاكي أمواج البحر في توحشه ونكارة أمره وقد أرخى علي ستور ظلامه مع أنواع الأحزان ، أو مع فنون الهم ، ليختبرني أأصبر على ضروب الشدائد وفنون النوائب أم أجزع منها . ولقد أمعن الشاعر في النسيب من أول القصيدة إلى هنا حيث انتقل منه إلى التمدح بالصبر والجلد.

٢– تمطى أي تمدّد ، ويجوز ان يكون التمطي مأخوذاً من المطا ، وهو الظهر ، فيكون التمطي مد الظهر ، ويجوز ان يكون منقولاً من التمطط فقلبت إحدى الطاءين ياء كما قالوا ، تظنى تظنياً والأصل تظنن تظنناً ، وقالوا :

ألا أيُّها اللَّيْلُ الطَّويلُ ألا انْجَلي　　　بصُبْحٍ وما الإصْباحُ مِنكَ بأمْثَل[1]

تقضى البازي تقضياً أي تقضض تقضضاً ، والتمطط التفعُّل من المط ، وهو المد . وفي الصُّلب ثلاث لغـــات مشهورة ، وهي : الصلب ، بضم الصاد وسكون اللام ، والصلب بضمها ، والصلب ، بفتحها ، ومنه قول العجاج يصف جارية :

ريا العظام فخمة المخـــدَّم　　　في صلبٍ مثل العنان المؤدم

ولغة غريبة وهي الصالب ، وقال العباس عم النبي صلى الله عليـــه وسلم ، يمدح النبي ، عليه السلام :

تنقَّل من صالب إلى رحمْ　　　إذا مضى عـــالم بدا طبق

الإرداف : الإتباع والاتباع وهو بمعنى الأول ها هنا . الأعجاز : المآخير ، الواحد عجُز . ناء : مقلوب نأى بمعنى بعُد ، كما قالوا راء بمعنى رأى وشاء بمعنى شأى . الكلكل : الصدر ، والجمع كلاكل . الباء في قوله ناء بكلكل للتعدية ، وكذلك هي في قوله تمطى بصلبه ، استعار لليل صلباً واستعار لطوله لفظ التمطي ليلائم الصلب ، واستعار لأوائله لفظ الكلكل ولمآخيره الأعجاز . يقول : فقلت لليل لما مد صلبه يعني لما أفرط طوله ، وأردف أعجازاً يعني ازدادت مآخيره امتداداً وتطاولاً ، وناء بكلكل يعني أبعد صـدره ، أي بعُد العهد بأوله ، وتلخيص المعنى : قلت لليل لما أفرط طوله وناءت أوائله وازدادت أواخره تطاولاً ، وطول الليل ينبىء عن مقاساة الأحزان والشدائد والسهر المتولد منهـــا ، لأن المهموم يستطيل ليله ، والمسرور يستقصر ليله .

١– الانجلاء : الانكشاف ، يقال : جلوتــه فانجلى أي كشفته **فانكشف** . الأمثل : الأفضل ، والمثلى الفضلى ، والأماثل الأفاضل .

فيا لكَ مِن لَيْلٍ كأنّ نُجومَهُ   بأمْراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جندَلِ [1]

يقول: قلت له ألا أيهاالليل الطويل انكشف وتنح بصبح ، أي لِيزُلْ ظلامك بضياء من الصبح ، ثم قال : وليس الصبح بأفضل منك عندي لأني أقاسي الهموم نهاراً كما أعانيها ليلاً ، أو لأن نهاري أظلمَ في عيني –لازدحام الهموم علي حتى حكى الليل ، وهذا إذا رويت – وما الإصباح منك بأمثل ، وإن رويت (فيك بأفضل) كان المعنى : وما الإصباح في جنبك أو في الإضافة إليك أفضل منك ، لما ذكرنا من المعنى لما ضجر بتطاول ليله خاطبه وسأله الانكشاف . وخطابه ما لا يعقل يدل على فرط الوله وشدة التحير ، وإنما يستحسن هذا الضرب في النسيب والمرائي وما يوجب حزناً وكآبة ووجداً وصبابة .

١– الامراس جمع مرس : وهو الحبل ، وقد يكون المرس جمع مرسة وهو الحبل أيضاً فتكون الامراس حينئذ جمع الجمع ،وقوله : بأمراس كتان ، من إضافة البعض إلى الكل ، أي بأمراس من كتـــان ، كقولهم : باب حديد ، وخاتم فضة ، وجبة خز ، الأصم : الصلب ، وتأنيثه الصماء ، والجمع الصُّم . الجندل : الصخرة ، والجمع جنادل .
يقول مخاطباً الليل : فياعجباً لك من ليل كأن نجومه ُشدت بحبـــال من الكتـــان إلى صخور صلاب ، وذلك أنه استطال الليلَ فيقول إن نجومه لا تزول من أماكنها ولا تغرب فكأنها مشدودة بحبال الى صخور صلبة ، وإنما استطال الشاعر الليل لمعاناته الهموم ومقاساته الأحزان فيه . وقوله : بأمراس كتان ، يعني ُربطت ، فحذف الفعل لدلالة الكلام على حـــذفه ، ومنه قول الشاعر :

مسسنا من الآباء شيئاً فكلُّنا   إلى حسبٍ في قومه غير واضع

يعني فكلنا يعتزي أو ينتمي أو ينتسب الى حسب ، فحذف الفعل لدلالة

وَقِرْبَةِ أقْوامٍ جَعَلْتُ عِصَامَها على كاهِلٍ منّي ذَلُولٍ مُرَحَّلِ[1]

وَوَادٍ كجَوْفِ ٱلْعَيرِ قَفْرٍ قطَعْتُهُ بهِ الذئبُ يَعوي كالخَليعِ المُعَيَّلِ[2]

باقي الكلام عليه . ويروى : كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل ، وهذا أعرف الروايتين وأسيرهما . الإغارة : إحكام الفتل . يذبل : جبل بعينه.

يقول : كأن نجومه قد شدت الى يذبل بكل حبل محكم الفتل .

١ –لم يرو جمهور الائمة هذه الأبيات الأربعة في هذه القصيدة وزعموا أنها لتأبّط شراً ، أعني: وقربة أقوام .. إلى قوله وقد اغتدي .. ورواها بعضهم في هذه القصيدة هنا . العصام : وكاء القربة ، والجمع العصم . الكاهل : أعلى الظهر عند مركب العنق فيه.، والجمع الكواهل . الترحيل: مبالغة الرحل، يقال : رحلته إذا كررت رحله .

يقول : ورب قربة أقوام جعلت وكاءها على كاهل ذلول قد رحل مرة بعد مرة أخرى مني ، وفي معنى البيت قولان : أحدهما انه تمدّح بتحمل أثقال الحقوق ونوائب الأقوام من قرى الأضياف وإعطاء العفاة والعقل عن القاتلين وغير ذلك ، وزعم انه قد تعود التحمل للحقوق والنوائب، واستعار حمل القربة لتحمل الحقوق ، ثم ذكر الكاهل لأنه موضع القربة من حاملها، وعبر بكون الكاهل ذلولا مرحلاً عن اعتياده تحمل الحقوق . والقول الآخر انه تمدح بخدمته الرفقاء في السفر وحمله سقاء الماء على كاهل قد مرن عليه .

٢– الوادي يجمع على الأودية والأوديات . الجوف : باطن الشيء ، والجمع أجواف . العير : الحمار ، والجمع الأعيار . القفر : المكان الخالي ، والجمع

فقُلتُ لهُ لما عَوى : إن شأنَنا قليلُ ٱلغِنى إنْ كنتَ لَّما تَموَّلِ [1]

القفار ، ويقال : أقفر المكان إقفاراً إذا خلا ، ومنه خبزقفار لا إدام معه. الذئب يجمع على الذئاب والذياب والذؤبان ، ومنه قيل ذؤبان العرب للخبثاء المتلصصين ، وأرض مذأبة : كثيرة الذئاب ، وقد تذأبت الريح وتذاءبت إذا هبت من كل ناحية كالذئب إذا حُذر من ناحية أتى من غيرها . الخليع : الذي قد خلعه أهله لخبثه ، وكان الرجل منهم يأتي بابنه الى الموسم ويقول : ألا إني قد خلعت ابني فإن جرّ لم أضمن وان جُرَّ عليه لم أطلب ، فلايؤخذ بجرائره ، وزعم الائمة ان الخليع في هذا البيت المقامر . المعيل : الكثير العيال ، وقد عيّل تعييلاً فهو معيل إذا كثر عياله . العواء : صوت الذئب وما أشبهه من السباع ، والفعل عوى يعوي عُواء ، زعم صنف من الائمة انه شبه الوادي في خلائه من الإنس ببطن العير ، وهو الحمار الوحشي ، إذا خلا من العلف ، وقيل : بل شبهه في قلة الانتفاع به بجوف العير لأنه لا يركب ولا يكون له در ، وزعم صنف منهم انه أراد كجوف الحمار فغيّر اللفظ الى ما وافقه في المعنى لإقامة الوزن ، وزعموا ان حماراً كان رجلاً من بقية عادٍ وكان متمسكاً بالتوحيد فسافر بنوه فأصابتهم صاعقة فأهلكتهم وعندئذ أشرك بالله وكفر بعد التوحيد ، فأحرق الله أمواله وواديه الذي كان يسكن فيه فلم يُنبت بعده شيئاً ، فشبه امرؤ القيس هذا الوادي بواديه في الخلاء من النبات والإنس .

يقول : ورب واد يشبه وادي الحمار في الخلاء من النبات والانس أو يشبه بطن الحمار فيما ذكرنا طويتُه سيراً وقطعته بينا كان الذئب يعوي فيه من فرط الجوع كالمقامر الذي كثر عياله ويطالبونه بالنفقة وهو يصيح بهم ويخاصمهم إذ لا يجد ما يرضيهم به .

١ــ قوله : ان شأننا قليل الغنى ، يريد : ان شأننا وأمرنا قليل الغنى : ومن

كِلانا إذا ما نالَ شيْئاً أفاتَهُ   ومَنْ يحترِثْ حرْثي وحرْثَك يهزِلِ[1]
وقدْ أغتدي والطّيرُ في وُكُناتِها   بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هيكلِ[2]

روى طويل الغنى فمعناه طويل طلب الغنى . وقد تمول الرجل إذا صار ذا مال . لما : بمعنى لم في البيت كما كانت في قوله : « ولمـا يعلم الله الذين جاهدوا منكم » .
كذلك يقول : قلت للذئب لما صاح إن شأننا وأمرنا أننا يقلُّ غنانا إن كنت غير متمول ، كما كنتُ غير متمول . وإذا روي ، طويل الغنى ، فالمعنى: قلت له إن شأننا اننا نطلب الغنى طويلا ثم لا نظفر به إن كنت قليل المال كما كنتُ قليل المال .

١– أصل الحرث إصلاح الأرض وإلقاء البذر فيها ، ثم يستعار للسعي والكسب كقوله تعالى : « من كان يريدحرث الآخرة » الآية . وهوفي البيت مستعار. والاحتراث والحرث واحد .
يقول : كل واحد منا إذا ظفر بشيء فوته على نفسه ، أي إذاملك شيئاً أنفقه وبذره ، ثم قال : ومن سعى سعيي وسعيك افتقر وعاش مهزول العيش .

٢– غدا يغدو غدواً ، واغتدى اغتداء ، واحد . جمع طائرمثل الشرب في جمع شارب والتجْر في جمع تاجر والركب فيجمع راكب . ثم يجمع على الطيور مثل بيت وبيوت وشيخ وشيوخ . الوكنات : مواقع الطير ، واحدتهـا وكنة ، وتقلب الواو همزة فيقال أكنة ، ثم تجمع الوكنة على الوكنات ، بضم الفاء والعين ، وعلى الوكنات ، بضم الفاء وفتح العين ، وعلى الوكنات ، بضم الفاء وسكون العين ، وتكسر على الوكن ، وهكذا حكم على فِعْلة ، نحو ظلمة وظلمات وظلمات وظلمات وظلم . المنجرد : الماضي في السير ،

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً   كَجُلْمُودِ صَخرٍ حطَّهُ السَّيْلُ مِن عَلِ [1]

وقيل : بل هو القليل الشعر . الأوابد : الوحوش ، وقد أبد الوحش يأبد أبوداً ومنه تأبد الموضع إذا توحش وخلا من القطان ، ومنه قيل للفذ آبدة لتوحشه عن الطباع . الهيكل ، قال ابن دريد : هو الفرس العظيم الجرم ، والجمع الهياكل .

يقول : وقد اغتدي والطير بعد مستقرة على مواقعها التي باتت عليها على فرس ماضٍ في السير قليل الشعر يقيد الوحوش بسرعة لحاقه إياها ، كما أنه عظيم الألواح والجرم ، وتحرير المعنى : انه تمدح بمعاناة دجى الليل وأهواله ، ثم تمدح بتحمل حقوق العفاة والأضياف والزوار ، ثم تمدح بطي الفيافي والأدوية ، ثم أنشأ الآن يتمدح بالفروسية .يقول :وربما باكرت الصيد قبل نهوض الطير من أوكارها على فرس هذه صفته . وقوله ، قيد الأوابد ، جعله لسرعة إدراكه الصيد كالقيد لها لأنها لا يمكنها الفوت منه ، كما ان المقيّد غير متمكن من الفوت والهرب .

١ـ الكر : العطف ، يقال : كر فرسه على عدوه ، أي عطفه عليه ، والكر والكرور جميعاً الرجوع ، يقال : كر عن قرنه يكر كراً وكروراً ، والمكر مفعل من كرَّ يكر ، ومِفعَل يتضمن مبالغة كقولهم : فلان مسعر حرب وفلان مقول ومصقع ، وإنما جعلوه متضمناً مبالغة لأن مفعلاً قد يكون من أسماء الأدوات نحو المعول والمخرز ، فجعل كأنه اداة للكرور وآلة لتسعير الحرب وغير ذلك . مفر : مفعل من فر يفر فراراً ، والكلام فيه نحو الكلام في مكر . الجلمود : الحجر العظيم الصلب ، والجمع جلامد وجلاميد. الصخر : الحجر ، الواحدة صخرة ، وجمع الصخر صخور . الحط : إلقاء الشيء من علو الى سفل ، يقال : حطه : حطه يحطه فانحط . وقوله : من علِ أي من فوق ، وفيه سبع لغات ، يقال : أتيته من عل ، مضمومة

كُمَيْتٍ يَزِلّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِه   كما زَلّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَزّلِ [1]

اللام ، ومن علو ، بفتح الواو وضمها وكسرها ، ومن علي ، بياء ساكنة ، ومن عال مثل قاض ، ومن معال مثل معاد ، ولغة ثامنة يقال من علا ، وأنشد الفرّاء :

باتت تنوش الحوضَ نوشاً من علا   نوشاً به تقطع أجوان الفلا

وقوله : كجلمود صخر ، من إضافة بعض الشيء الى كله مثل باب حديد وجبة خز ، أي كجلمود من صخر .
يقول : هذا الفرس مكر اذا اريد منه الكرر ومفر إذا أريد منه الفر ومقبل اذا أريد منه اقباله ومدبر اذا أريد منه إدباره . وقوله: معاً ، يعني أن الكر والفر والاقبال والادبار مجتمعة في قوته لا في فعله لأن فيها تضاداً ، ثم شبهه في سرعة مره وصلابة خلقه بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال الى حضيض .

١ـ زال الشيء يزل زليلاً وأزللته أنا . الحال : مقعد الفارس من ظهر الفرس . الصفواء والصفوان والصفا : الحجر الصلب . الباء في قوله بالمتنزل للتعدية . يقول : هذا الفرس الكميت يزل لبده عن متنه لانملاس ظهره واكتناز لحمه ، وهما يحمدان من الفرس ، كما يزل الحجر الصلب الأملس المطرَ النازل عليه ، وقيل : بل أراد الانسان النازل عليه ، والتنزل والنزول واحد ، والمتنزل في البيت صفة لمحذوف وتقديره : بالمطر المتنزل أو بالإنسان المتنزل ، وتحرير المعنى : انه لاكتناز لحمه وانملاس صلبه يزل لبده عن متنه ، كما ان الحجر الصلب يزل المطر أو الانسان عن نفسه . وجر كميتاً وما قبله من الأوصاف لأنها نعوت لمنجرد .

على الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كَأَنَّ اهتزامَهُ إذا جاشَ فيه حميُهُ غَليُ مِرْجَلِ[1]

مِسَحٍّ إذا ما السَّابحاتُ على الوَنَى أَثَرْنَ الغُبارَ بالكَديدِ المُرَكَّلِ[2]

١– الذبل والذبول واحد ، والفعل ذبل يذبل . الجياش : مبالغة جائش وهو فاعل من جاشت القِدر تجيش جيشاً وجيشاناً إذا غلت ، وجائشٌ البحر جيشاً وجيشاناً إذا هاجت أمواجه . الاهتزام : التكسر . الحمي : حرارة القيظ وغيره ، والفعل حمي يحمى . المرجل : القدر من صفر أو حديد أو نحاس أو شبهه ، والجمع المراجل ، وروى ابن الأنباري وابن مجاهد عن ثعلب أنه قال : كل قدر من حديد أو صفر أو حجر أو خزف أو نحاس أو غيرها فهو مرجل .

يقول : تغلي فيه حرارة نشاطه على ذبول خلقه وضمر بطنه ، ثم شبّه تكسُّر صهيله في صدره بغليان القدر .

٢– سح يسحّ : قد يكون بمعنى صب يصب وقد يكون بمعنى انصب ينصب ، فيكون مرة لازماً ومرة متعدياً ، ومصدره إذا كان متعدياًالسح والسحوح ، تقول : سح الماء فسح هو ، ومسح مفعل من المتعدي ، وقد قررنا أن مفعلاً في الصفات يقتضي مبالغة ، فالمعنى انه يصب الجري والعدو صباً بعد صب . السابح من الخيل : الذي يمد يديه في عدوه ، ُشبّه بالسابح في الماء . الونى : الفتور ، والفعل ونى يني ونياً وونى . الكديد : الأرض الصلبة المطمئنة . المركل من الركل : وهو الدفع بالرجل والضرب بها ، والفعل منه ركل يركل ، ومنه قوله ، عليه الصلاة والسلام : « فركلني جبريل » . والتركيل التكرير والتشديد ، والمركل : الذي يركل مرة بعد أخرى .

يقول : هذا الفرس عدوه وجريه صباً بعد صب ، أي يجيء به شيئاً بعد شيء ، إذا أثارت جياد الخيل التي تمد أيديها في عدوها الغبار في الأرض الصلبة التي وُطئت بالاقدام والمناسم والحوافر مرة بعد أخرى في حال

يُزِلّ ٱلغُلامَ الخِفَّ عَن صَهَواتِهِ   وَيُلْوي بأَثْوابِ ٱلعَنيفِ المُثَقَّلِ[1]

فتورها في السير وكلاها ، وتحرير المعنى : انه يجيء يجري بعد جري إذا كلّت الخيل السوابح وأعيت وأثارت الغبار في مثل هـذا الموضع . وجر مسحاً لأنه صفة الفرس المنجرد ، ولو رفع لـكان صواباً ، وكان حينئذ خبر مبتدإ محذوف تقديره هو مسح ، ولو نصب لـكان صواباًايضاًوكان انتصابه على المدح والتقدير : أذكر مسحاً أو أعني مسحاً ، وكذلك القول فيما قبله من الصفات نحو كميت : يجوز في كلهذه الألفاظ الأوجه الثلاثة منالإعراب. ويروى المرحل .

١- الخف : الخفيف . الصهوة: مقعد الفارس من ظهر الفرس ، والجمعالصهوات، وفعلة تجمع على فعلات ، بفتح العين ، إذا كانت اسماً ، نحو شعرة وشعرات وضربة وضربات ، إلا إذا كانت عينها واواً أو ياء أو مدغمة في اللام فإنها تسكن حينئذ ، نحو بيضة وبيضات وعورة وعورات وحبة وحبات ، فإذا كانت صفة تجمع على فعلات ، مسكنة العين أيضاً ، نحو ضخمة وضخمات وخدلة وخدلات . ألوى بالشيء : رمى به ، وألوى به ذهب به. العنيف : ضد الرفيق .

يقول : ان هذا الفرس يزل ويزلق الغلامَ الخفيف عن مقعده منظهره ويرمي بثياب الرجل العنيف الثقيل ، يريد انه يزلق عن ظهره من لم يكن جيـد الفروسية عالماً بها ويرمي بأثواب الماهر الحاذق في الفروسية لشدة عـدوه وفرط مرحه في جريه ، وإنما عبر بصهواته ولا يكون له إلا صهوة واحدة، لأنه لا لبس فيه فجرى الجمع والتوحيد مجرى واحداً عند الاتساع لأن إضافتها الى ضمير الواحد تزيل اللبس كما يقال : رجل عظيم المناكب وغليظ المشافر ، ولا يكون له إلا منكبان وشفتان ، ورجل شديد مجامع الكتفين ،ولا يكون له الا مجمع واحد.ويروى : يطير الغلامَ ، أي يطيره..

دَرِيرٍ كَخُذْروفِ ٱلْوَلِيدِ أَمَرَّهُ   تَتابُعُ كَفَّيْهِ بخَيْطٍ مُوَصَّلِ [1]

ويروى : يزل الغلام الخف ، بفتح الياء من يزل ورفع الغلام ، فيكون فعلاً لازماً .

١ – الدرير : من درّ يدر ، وقد يكون در لازماً ومتعدياً يقال : درت الناقة اللبن فدر اللبن ، ثم الدرير ههنا يجوز أن يكون بمعنى الدار من در إذا كان متعدياً ، والفعيل يكثر مجيئه بمعنى الفاعل نحو قادر وقدير وعالم وعليم ، ويجوز أن يكون بمعنى المدر من الإدرار ، وهو جعل الشيء داراً ، وقد يكثر الفعيل بمعنى المفعل كالحكيم بمعنى المحكم والسميع بمعنى المسمِع ، ومنه قول عمرو بن معد يكرب :

أمن ريحانة الداعي السميع   يؤرقني وأصحابي هجوع

أي المسمع . الخذروف : حصاة مثقوبة يجعل الصبيان فيها خيطاً فيديرها الصبي على رأسه . شبه سرعة هذا الفرس بسرعة دوران الحصاة على رأس الصبي . الوليد : الصبي ، والجمع الولدان ، وجمع خذروف خذاريف ، والوليدة : الصبية ، وقد يستعار للأمة ، والجمع : الولائد . الإمرار : إحكام الفتل .

يقول : هو يدر العدو والجري أي يديمها ويواصلها ويتابعها ويسرع فيها إسراع خذروف الصبي إذا أحكم فتل خيطه وتتابعت كفاه في فتله وإدارته بخيط قد انقطع ثم وصل ، وذلك أشد لدورانه لانملاسه ومرونه على ذلك ، وتحرير المعنى : انه مديم السير والعدو متابع لهما ، ثم شبهه في سرعة مرّه وشدة عدوه بالخذروف في دورانه إذا بولغ في فتل خيطه وكان الخيط موصلا . ويسوغ في إعراب درير ما ساغ في إعراب مسحّ من الأوجه الثلاثة .

لَهُ أَيْطَلا ظَبيٍ وَساقا نَعامَةٍ   وَإِرْخاءُ سِرْحانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ[1]
ضليعٍ إذا استَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ   بضافٍ فُوَيْقَ الأَرْضِ ليسَ بأعزَلِ[2]

١- الأيطل والأطل : الخاصرة ، والجمع الأياطل والآطال ، أجمع البصريون على انه لم يأت على فعِل من الاسماء إلا إبل ، ومن الصفات الا بلز وهي الجارية التارة السمينة الضخمة ، وحكى الكوفيون إطلاً من الأسماء ايضاً مثل إبل ، فقد اتفق الفريقان على اقتصار فعِل على هذه الثلاثة . الظبي : ويجمع على أظب وظباء ، والساق على الاسؤق والسوق ، والنعامة تجمع على النعامات والنعام والنعائم . الإرخاء : ضرب من عدو الذئب يشبه خبب الدواب . السرحان : الذئب . التقريب : وضع الرجلين موضع اليدين في العدو . التتفل : ولد الثعلب . شبه خاصرتي هذا الفرس بخاصرتي الظبي في الضمر ، وشبه ساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب ، وتقريبه بتقريب ولد الثعلب ، فجمع أربعة تشبيهات في هذا البيت .

٢- الضليع : العظيم الاضلاع المنتفخ الجنبين ، والجمع الضلعاء ، والمصدر الضلاعة ، والفعل ضلع يضلُع : الاستدبار : النظر الى دبر الشيء ، وهو مؤخره ، وتتبع دبر الشيء . الفرج : الفضاء بين اليدين والرجلين ، والجمع الفروج . الضفو : السبوغ والتمام ، والفعل ضفا يضفو ، أراد بذنب ضاف فحذف الموصوف اجتزاء بدلالة الصفة عليه ، كقولهم : مررت بكريم ، أي بإنسان كريم . فويق : تصغير فوق وهو تصغير التقريب مثل قبيل وبعيد في تصغير قبل وبعد . الاعزل : الذي يميل عظم ذنبه الى أحد الشقين.

يقول : هذا الفرس عظيم الاضلاع منتفخ الجنبين اذا نظرت اليه من خلفه رأيته قد سد الفضاء الذي بين رجليه بذنبه السابغ التام الذي قرب من

كأنَّ على المَتْنَينِ منهُ إذا انْتَحَى   مَداكُ عَروسٍ أَوْ صَلايَةَ حنظل[1]

كأنَّ دِماءَ الهادِياتِ بِنَحْرِهِ   عُصارَةُ حِنَّاءٍ بشَيْبٍ مُرَجَّل[2]

الأرض وهو غير مائل الى أحد الشقين ، فسبوغ ذنبه من دلائل عتقه وكرمه ، وشرَطَ كونه فويق الأرض لأنه إذا بلغ الأرض وطئه برجليه، وذلك عيب ، لأنه ربما عثر به ، واستواء عسيب ذنبه أيضاً من دلائل العتق والكرم .

١– المتنان: تثنية متن وهما ما عن يمين الفقار وشماله ، الانتحاء : الاعتماد والقصد . المداك : الحجر الذي يسحق به الطيب وغيره ، والذي يسحق عليه أيضاً مداك ، والدوْك : السحق ، والفعل منه داك يدوك دوكاً . الصلاية : الحجر الأملس الذي يسحق عليه شيء كالهبيد وهوحب الحنظل. ويروى : كأن سراته لدى البيت قائماً . السراة : أعلى الظهر ، والجمع السروات ، ويستعار لعلية الناس ، وسراة النهار أعلى مداه ، والسرو الارتفاع في المجد والشرف ، والفعل منه سرا يسرو وسرى يسري وسرو يسرو ، ونصب قائماً على الحال . شبه انملاس ظهره واكتنازه باللحم بالحجر الذي تسحق العروس به أو عليه الطيب ،أو بالحجر الذي يكسر عليه الحنظل ويستخرج حبه ، وخص مداك العروس لحدثان عهدها بالسحق للطيب .

٢ –تثنية الدم الدمان والدميان ، ومنه قول الشاعر :

فلو انـّا على حجر ذبحنا   جرى الدميان بالخبر اليقين

والجمع دماء ودمى ، والتصغير دمى ، والقطعة منه دمة ، حكاها الليث ، وقد دميَ الشيء يدمى اذا تلطخ بالدم ، وأدميته أنا ودمّيته . الهاديات :

فَعَنَّ لنا سِرْبٌ كأنَّ نِعاجَهُ عَذارَى دَوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ [1]
فأدْبَرْنَ كالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ بجيدِ مُعَمٍّ في ٱلعَشيرَةِ مُخْوَلِ [2]

المتقدمات والاوائل ، وسمي المتقدم هادياً لأن هادي القوم يتقدمهم ، ومنه قيل لعنق الفرس هادٍ ، لأنه يتقدم على سائر جسده . عصارة الشيء : ماخرج منه عند عصره . الترجيل : تسريح الشعر. المرجل: المسرّح بالمشط. يقول : كأن دماء أوائل الصيد والوحوش على نحر هذا الفرس عصارة حناء على شعر الأشيب ، وأتى بالمرجل لإقامة القافية .

١– عنّ : أي عرض وظهر . السرب : القطيع من الظباء أوالنساء أو القطا أو المها أو البقر أو الخيل ، والجمع الأسراب . النعاج : اسم لإناث الضأن وبقر الوحش وشاء الجبل ، الواحدة نعجة ، وجمع التصحيح نعجات ، والمراد بالنعاج في هذا البيت إناث بقر الوحوش ، وبالسرب القطيع منها.العذراء: البكر التي لم تمس ، والجمع عذارى . الدوار : حجر كان أهل الجاهلية ينصبونه ويطوفون حوله تشبيهاًبالطائفين حول الكعبة إذا نأوا عن الكعبة. الملاء : جمع ملاءة ، وإنما تسمى ملاءة إذا كانت لِفقين . المذيل : الذي أطيل ذيله وأرخي .
يقول : فعرض لنا وظهر قطيع من بقر الوحش كأن إناث ذلك القطيع نساء عذارى يطفن حول حجر منصوب يطاف حوله في ملاء طويل ذيولها ، وشبه المها في بياض ألوانها بالعذارى لأنهن مصونات في الخدور لا يغير ألوانهن حر الشمس وغيره ، وشبه طول أذيالها وسبوغ شعرها بالملاء المذيل ، وشبه حسن مشيها بحسن تبختر العذارى في مشيهن .

٢– الجزع : الخرز اليماني . الجيد : العنق ، والجمع الأجياد ، ورجل أجيَد ، يعني طويل العنق ، وجمعه جِيد. المعم : الكريم الأعمام . المخول : الكريم

فألحقَنا بالهـــاديات ِ ودُونَهُ جَواحِرُها في صَرَّةٍ لم تُزَيَّلِ [1]
فَعادى عِداءً بينَ ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ دِراكاً ولم يَنْضَحْ بماءٍ فيُغسَلِ [2]

الأخوال ، وقد أعم وأخول إذا كرم أعمامه وأخواله ، وهذان من الشواذا لأن القياس من أفعل فهو مفعل أما في حالها فهو : افعل فهو مفعَل .
يقول : فأدبرت النعاج كالخرز اليماني الذي فصل بينه بغيره من الجواهر في عنق صبي كرم أعمامه وأخواله ، شبه بقر الوحش بالخرز اليماني لأنه يسوّد طرفه وسائره أبيض ، وكذلك بقر الوحش نسود أكارعها وخدودهـــا وسائرها أبيض ، وشرط كونه في جيد معم مخول لأن جواهر قلادة مثل هذا الصبي أعظم من جواهر قلادة غيره ، وشرط كونه مفصلاً لتفرقهن عند رؤيته .

١ـ الهاديات : الاوائل المتقدمات . الجواحر : المتخلفـــات ، وقد جحر أي تخلف . الصرة : الجمـــاعة ، والصرة الصيحة ، ومنه صرير القلم وغيره .
الزيل والتزييل : التفريق ، والتزيل والانزيال التفرق .
يقول : فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش ومتقدماته وجاوز بنا متخلفاته فهي دونه أي أقرب منه في جماعة لم تتفرق أو في صيحة ، وتلخيص المعنى : أنه يُلحقنا بأوائل الوحش ويدع متخلفاته ثقة بشدة جريه فيدرك أوائلها وأواخرها مجتمعة لم تتفرق بعد ، يريد انه يدرك أوائلهـــا قبل تفرق جماعتها ، يصفه بشدة عدوه .

١ـ المعاداة والعداء : الموالاة . الثور يجمع على الثيران والثيرة والثورة والثيرات والأثوار والثيار . الدراك : المتابعة :
يقول : فوالى بين ثور ونعجة من بقر الوحش في طلق واحد ، ولم يعرق عرقاً مفرطاً يغسل جسده ، يريد أنه أدركهما وقتلهما في طلق واحد قبل أن

فظلّ طُهاةُ اللّحمِ من بَينِ مُنْضِجٍ صَفيفَ شِواءٍ أوْ قَديرٍ مُعَجَّلِ [1]
ورُحنا يكادُ الطَّرْفُ يقصُرُ دونَهُ مَتى ما تَرَقَّ العَينُ فيه تَسَفَّلِ [2]

يعرق عرقاً مفرطاً ، أي أدركها دون معاناة مشقة ومقاساة شدة ، نسب فعل الفارس الى الفارس لأنه حامله وموصله الى مرامه ، يقول : صاد هذا الفرس ثوراً ونعجة في طلق واحد . ودراكاً أي مداركة .

١– الطهو والطهي « الانضاج ، والفعل طها يطهو ويطهي ، والطهاة جمع طاه كالقضاة جمع قاض والكفاة جمع كاف . الإنضاج : يشتمل على طبخ اللحم وشيه . الصفيف : المصفوف على الحجارة لينضج . القدير : اللحم المطبوخ في القدر .
يقول : ظل المنضجون اللحم وهم صنفان صنف ينضجون شواء مصفوفاً على الحجارة في النار وصنف يطبخون اللحم في القدر ؛ يقول : كثر الصيد فأخصب القوم فطبخوا واشتووا ؛ ومن في قوله : من بين منضج ، للتفصيل والتفسير ، كقولهم : هم من بين عالم وزاهد ، يريد أنهم لا يعدون الصنفين ، كذلك أراد لم يعد طهاة اللحم الشاوين والطابخين .

٢– الطرف : اسم لما يتحرك من أشفار العين ، وأصله التحرك ، والفعل منه طرف يطرف. القصور: العجز ، والفعل قصريقصر. الترقي والارتقاء والرقي واحد ، والفعل من الرقي رقي يرقى ، وأما رقى يرقي فهو من الرقية ، وقد رقيته أنا ، أي حملته على الرقي .
يقول : ثم أمسينا وتكاد عيوننا تعجز عن ضبط حسنه واستقصاء محاسن خلقه ومتى ما ترقت العين في أعالي خلقه وشخصه نظرت إلى قوائمه ، وتلخيص المعنى : انه كامل الحسن رائع الصورة وتكاد العيون تقصر عن

فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَلِجامُهُ   وباتَ بعَيْني قائِماً غيرَ مُرْسَلِ [1]
أَصاحِ تَرَى بَرْقاً أُريكَ وَمِيضَهُ   كَلَمْعِ اليَدَينِ في حَبِيٍّ مكلَّلِ [2]

كنه حسنه ومهما نظرت العيون الى أعالي خلقه اشتهت النظر إلى أسافله .

١– يقول : بات مسرجاً ملجماً قائماً بين يدي غير مرسل الى المرعى .

٢– أصاح : أراد أصاحب أي يا صاحب فرخم ، كما تقول في ترخيم حارث ياحار وفي ترخيم مالك يا مال ، ومنه قراءة من قرأ : « ونادوا يا مال ليقض علينا ربك » ، ومنه قول زهير :

ياحار لا أرمين منكم بداهية   لم يقلها سوقة قبلي ولا ملك

أراد يا حارِث ، والألف نداء للقريب دون البعيد ، فقول : أزيد إذا كان زيد حاضراً قريباً منك ، ويانداء للبعيد والقريب ، وأي وأيا وهيا لنداء البعيد دون القريب . الوميض والإيماض : اللمعان ، تقول : تقول ومض البرق يمض وأومض إذا لمع وتلألأ . اللمع التحريك والتحرك جميعاً . الحبي : السحاب المتراكم ، سمي بذلك لأنه حبا بعضه الى بعض فتراكم ، وجعله مكللاً لأنه صار أعلاه كالإكليل لها ، ويروي مكلل ، بكسر اللام ، وقد كلل تكليلاً ، وانكل انكلالاً إذا تبسم .

يقول: يا صاحبي هل ترى برقاً أريك لمعانه وتلألؤه وتألقه في سحاب متراكم صار أعلاه كالإكليل لأسفله أو في سحاب متبسم بالبرق يشبه برقه تحريك اليدين ؟ أراد أنه يتحرك تحركهما ؛ وتقدير البيت : أريك وميضه في حبي مكلل كلمع اليدين ؛ شبه لمعان البرق وتحركه بتحرك اليدين . فرغ من وصف الفرس ، والآن قد أخذ في وصف المطر . فقال : يضيء ...

يُضيءُ سَناهُ أَوْ مَصابيحُ راهِبٍ أَمالَ السّليطَ بالذُّبالِ المُفَتَّلِ [1]

قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتي بينَ ضارجٍ وَبينَ العُذَيبِ بَعْدَ ما مُتَأَمَّلي [2]

١– السنا : الضوء ، والسناء : الرفعة . السليط : الزيت ، ودهن السمسم سليط أيضاً ، وإنما سميا سليطاً لأضاءتها السراج ، ومنه السلطان لوضوح أمره . الذبال : جمع ذبالة وهي الفتيلة ، وقد يثقل فيقال ذبّال .

يقول : هذا البرق يتلألأ ضوؤه فهو يشبه في تحركه لمع اليدين أو مصابيح الرهبان أميلت فتائلها بصب الزيت عليها في الإضاءة ، يريد أن تحرك البرق يحكي تحرك اليدين وضوءه يحكي ضوء مصباح الراهب إذا أفعم صب الزيت عليه فيضيء . وزعم أكثر الناس أن قوله أمال السليط بالذبال المفتل من المقلوب ، وتقديره : أمال الذبال بالسليط إذا صبه عليه ، وقال بعضهم : ان تقديره أمال السليط مع الذبال المفتل ، يريد انه يميل المصباح إلى جانب فيكون أشد إضاءة لتلك الناحية من غيرها .

٢– ضارج والعذيب : موضعان ، بعدما : أصله بعُدما فخففه فقال بعد ، وما زائدة ، وتقديره بعُد متأملي .

يقول : قعدت وأصحابي للنظر الى السحاب بين هذين الموضعين وكنت معهم فبعُد متأملي وهو المنظور إليه ، أي بُعد السحاب الذي كنت أنظر إليه وأرقب مطره وأشيم برقه ، يريد أنه نظر الى هذا السحاب من مكان بعيد فتعجب من بعـــد نظره ، وقال بعضهم : إن ما في البيت بمعنى الذي ، وتقديره .بعُد ماهو متأملي ، فحذف المبتدأ الذي هو هو ، وتقديره علىهذا القول : بعُد السحاب الذي هو متأملي .

على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ على ٱلسِّتارِ فَيُذْبُلِ [1]
فأَضْحَى يَسُحُّ الماءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ يكُبُّ على الأَذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ [2]

١– ويروى : علا قطناً ، من علا يعلو علواً ، أي هذا السحاب . القطن :جبل، وكذلك الستار ويذبل جبلان ، وبينهما وبين قطن مسافة بعيدة . الصوب : المطر ، وأصله مصدر صاب يصوب صوباً أي نزل من علو الى اسفل . الشيم : النظر الى البرق مع ترقب المطر .
يقول : أيمن هذا السحاب على قطن وأيسره على الستار ويذبل ، يصف عظم السحاب وغزارته وعموم جوده ، وقوله : بالشيم ، أراد : إني إنما أحكم به حدساً وتقديراً لأنه لا يرى ستار ويذبل وقطن معاً .

٢– الكب : إلقـاء الشيء على وجهه ، والفعل كب يكب . وأما الإكباب فهو خرور الشيء على وجهه ؛ وهذا من النوادر ، لأن أصله متعد الى المفعول به ثم لما نقل بالهمزة الى باب الافعال قصر عن الوصول الى المفعول به ، وهذا عكس القياس المطرد لأن ما لم يتعد إلى المفعول في الأصل يتعدى إليه عند النقل بالهمزة الى باب الأفعال ، نحو : قعد وأقعدته وقام وأقمته وجلس وأجلسته ، ونظير كب وأكب عرض وأعرض ، لأن عرض متعد الى المفعول به لأن معناه أظهر ، وأعرض لازم لأن معناه ظهر ولاح ، ومنه قول عمرو بن كلثوم :

فأعرضت اليمامة واشمخرت كأسياف بأيدي مصلتينا

الذقن : مجتمع اللحيين ، والجمع الأذقان ، والأذقان مستعار في البيت للشجر .
الدوحة : الشجرة العظيمة ، والجمع دوح . الكنهبل ، بضم الباء وفتحها :

وَمَرَّ على القَنانِ مِنْ نَفَيانِهِ فأَنْزَلَ منه العُصْمَ من كلِّ منزِلِ [1]
وَتَيْماءَ لم يَتْرُكْ بها جِذْعَ نخلَةٍ وَلا أُطُماً إلاَّ مَشيداً بجَنْدَلِ [2]

ضرب من شجر البادية .
يقول : فأضحى هذا الغيث أو السحاب يصب الماء فوق هذا الموضع المسمى بكتيفة ويلقي الأشجار العظام من هذا الضرب الذي يسمى كنهبلا على رؤوسها ، وتلخيص المعنى : أن سيل هذا الغيث ينصب من الجبال والآكام فيقلع الشجر العظام . ويروى : يسح الماء من كل فيقة ، أي بعد كل فيقة ، والفيقة من الفواق : وهو مقـــدار ما بين الحلبتين ، ثم استعاره لما بين الدفعتين من المطر .

١- القنان : اسم جبل لبني أسد . النفيان : ما يتطاير من قطر المطر وقطر الدلو ومن الرمل عند الوطء ومن الصوف عند النفش وغير ذلك . العصم : جمع أعصم ، وهو الذي في إحدى يديه بياض من الاوعال وغيرها . المنزل : موضع الإنزال .
يقول : ومر على هذا الجبل مما تطاير وانتشر وتناثر من رشاش هذا الغيث فأنزل الأوعال العصم من كل موضع من هذا الجبل لهولها من وقع قطره على الجبل وفرط انصبابه .

٢- تيماء : قرية عادية في بلاد العرب . الجذع يجمع على الأجذاع والجذوع ، والنخلة على النخلات والنخل والنخيل . الأطم : القصر ، والأطم الأزج ، والجمع الآطام . الشيد : الجص ، والشيد الرفع وعلو البنيان ، والفعل منه شاد يشيد . الجندل : الصخر ، والجمع الجنادل .
يقول : لم يترك هذا الغيث شيئاً من جذوع النخل بقرية تيماء ولا شيئاً من القصور والابنية إلا ما كان منها مرفوعاً بالصخور أو مجصصاً ، يعني أنه قلع

كأنّ ثَبيراً في عَرانينِ وَبْلِهِ	كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ [1]
كأنَ ذُرَى رَأسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً	من السّيلِ وَالأَغْثاء فَلكةُ مِغزَلِ [2]

الأشجار وهدم الأبنية إلا ما كان منها مرفوعاً بالحجارة والجص .

١- ثبير : جبل بعينه . العرنين : الأنف ، وقال جمهور الأئمة : هو معظم الأنف، والجمع العرانين ، ثم استعار العرانين لأوائل المطر لأن الأنوف تتقدم الوجوه. البجاد : كساء مخطط ، والجمع البجد. التزميل: التلفيف بالثياب ، وقد زملته بثياب فتزمل بها أي لففته فتلفف بها ، وجر مزملاً على جوار بجاد وإلا فالقياس يقتضي رفعه لأنه وصف كبير أناس ، ومثله ما حكي عن العرب من قولهم : جحر ضب خرب ، جر خرب بمجاورة ضب ، ومنه قول الأخطل :

جزى الله عني الأعورين ملامة	وفروة ثغر الثورة المتضاجم

جر المتضاجم على جوار الثورة والقياس نصبه لأنه صفة ثغر ، ونظائرها كثيرة . الوبل : جمع وابل وهو المطر الغزير العظيم القطر ، ومثله شارب وشرب وراكب وركب وغيرهما ، والوبل ايضاً مصدر وبلت السماء تبل وبلاً إذا أتت بالوبل .
يقول : كأن ثبيراً في أوائل مطر هذا السحاب سيد أناس قد تلفف بكساء مخطط ، شبه تغطيته بالغثاء بتغطي هذا الرجل بالكساء .

٢- الذروة : أعلى الشيء ، والجمع الذرى . المجيمر : أكمة بعينها . الغُثــــاء : ما جاء به السيل من الحشيش والشجر والكلا والتراب وغير ذلك ، والجمع الإغثاء . المغزل بضم الميم وفتحها وكسرها معروف ، والجمع المغازل . فلكة مفتوحة الفاء .

وَألقى بصَحراءِ الغَبيطِ بَعاعهُ نزُولَ اليماني ذي العيابِ المحمَّلِ [1]
كأنّ مَكاكيّ الجواءِ غُديّةً صُبحنَ سُلافاً من رَحيقٍ مُفلْفَلِ [2]

يقول : كأن هذه الأكمة غدوة مما أحاط بها من أغثاء السيل فلكة مغزل ، شبه استدارة هذه الأكمة بما أحاط بها على الاغثاء باستدارة فلكة المغزل وإحاطتها بها بإحاطة المغزل .

١– الصحراء تجمع على الصحارى والصحاري معاً . الغبيط هنا : أكمة قد انخفض وسطها وارتفع طرفاها ، وسميت غبيطاً تشبيهاً بغبيط البعير . البعاع : الثقل . قوله : نزول اليماني ، أي نزول التاجر اليماني . العياب : جمع عيبة الثياب .

يقول : ألقى هذا الحيا ثقله بصحراء الغبيط فأنبت الكلأ وضروب الأزهار وألوان النبات فصار نزول المطر به كنزول التاجر اليماني صاحب العياب المحمل من الثياب حين نشر ثيابه يعرضها على المشترين ، شبه نزول هذا المطر بنزول التاجر ، وشبه ضروب النبات الناشئة من هذا المطر بصنوف الثياب التي نشرها التاجر عند عرضها للبيع ، وتقدير البيت : وألقى ثقله بصحراء الغبيط فنزل به نزولاً مثل نزول التاجر اليماني صاحب العياب من الثياب .

٢– المكاء : ضرب من الطير ، والجمع المكاكي . الجواء : الوادي ، والجمع الجوء. غدية : تصغير غدوة أو غداة . الصبح : سقي الصبوح ، والاصطباح والتصبح : شرب الصبوح . السلاف : أجود الخمر وهو ما انعصر من العنب من غير عصر . المفلفل : الذي ألقي فيه الفلفل ، يقال : فلفلت الشراب أفلفله فلفلة فأنا مفلفِل والشراب مفلفَل .

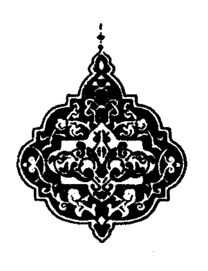
يقول : كأن هذا الضرب من الطير سقي هذا الضرب من الخمر صباحاً في هذه

كأنّ ٱلسِّباعَ فِيهِ غَرْقَى عَشِيَّةً بِأَرْجائِهِ القُصْوَى أَنابيشُ عُنْصُلِ[1]

الأودية ، وإنما جعلها كذلك لحدة ألسنتها وتتابع أصواتها ونشاطهـا في تغريدها لأن الشراب المفلفل يحذي اللسان ويسكر فجعل نشاط الطير كالسكر وتغريدها بحدة ألسنتها من حذي الشراب المفلفل إياها .

١– الغرقى : جمع غريق مثل مرضى ومريض وجرحى وجريح . العشي والعشية : ما بعد الزوال إلى طلوع الفجر ، وكذلك العشاء . الأرجاء : النواحي ، الواحد رجا ، مقصور ، والتثنية رجوان . القصوى والقصياء تأنيث الأقصى : وهو الابعد ، والياء لغة نجد ، والواو لغة سائر العرب . الأنابيش : أصول النبت ، سميت بذلك لأنها ينبش عنها ، واحدتها أنبوشة. العنصل : البصل البري .

يقول : كأن السباع حين غرقت في سيول هذا المطر عشياً أصول البصل البري ؛ شبه تلطخها بالطين والماء الكدر بأصول البصل البري لأنها متلطخة بالطين والتراب .



طرفة بن العبد

الشاعر العابث الشاب الذي قتله لسانه

أولياته وتاريخه وعبثه وشعره وقصته

الشاعر العابث

شاعر شاب ، خرج الى الدنيا من عائلة شريفة ، وجد وأبٍ وعمين يقرضون الشعر ، ويحسنونه ، فلماذا لا يقتفي الشاب أثرهم ، ولماذا لا يبزهم بشعره وقصيده ؟ ..

هذا هو طرفة بن العبد ، أو عمرو بن العبد الملقب بـ (طرفة) من بني بكر بن وائل ، الذي ولد حوالي سنة ٥٤٣ في البحرين على الخليج العربي ، من أبوين شريفين .. العبد البكري الشاعر ، ووردة بنت عبد المسيح .. أخت المتلمس وهو شاعر أيضاً ، كما كان أبوه العبد شقيق المرقش الأصغر ، وابن شقيق المرقش الأكبر ، وكلاهما من الشعراء ، فأعجب لهذه العائلة التي تطوّف بها ربة الشعر من جميع أطرافها ..

ولقد توفي والد طرفة وهو صغير مخلفاً وراءه أرملة بعيدة عن أهلها ، وصغاراً قد يكون طرفة أكبرهم ، وقد يكون شقيقه معبد الأكبر ، فكان لا معدى لطرفة بعد هذه النكبة من القيام بأمر أمه وأشقائه ، بعد ان

تنكر عماه لهم وأخذا يحاولان العبث بما لهم من مال ورزق ..

ويبدو ان عميه قد ضيّقوا عليه وأساءوا تأديبه وتربيته ، ولا بد ان هذا الظلم قد دفعه للاستمتاع بملذات الحياة فمضى يلهو ويلعب ويشرب ويسرف في كل هذا إسرافاً كبيراً ، مما اضطر قومه الى طرده ، وفي هذا يقول واصفاً حالته :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي
الى ان تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد

فمضى يطوّف في أرض الجزيرة لا يستقر في مكان ، حتى ضاق به الأمر ، واشتد به الشقاء ، فاضطر للعودة الى عشيرته ، تائباً نادماً على ما فرط منه .. ويبدو ان العشيرة قبلت توبته ، ولم تعترض على عودته ..

ولكنه لم يكن يملك شيئاً من المال والماشية ، لقد انفق كل شيء تركه له والده على سهره وعبثه ، فاضطر ليحصل على معاشه ان يرعى ابل أخيه معبد .. ويقال ان الابل كانت للأخوين ، ولكن طرفة لم يكن ممن يحسنون رعي الابل ، بعد أن فشل في رعاية نفسه ، فما لبث ان أهمل عمله إهمالاً أغضب معبداً ، فنهره وقال له :

— ترى انها إن أخذت ـ أي استلبت ـ تردها بشعرك هذا ؟ ..

فأجابه طرفة : لا أخرج فيها حتى تعلم أن شعري يردها ..

ولكن الأيام ما لبثت ان كذبته ، فقد أخذ قوم الابل ، ولم يستطع طرفة أن يردها بشعره كما وعد ان يفعل .. فالتجأ الى ان ابن عم له اسمه مالك ليساعده في استردادها من آخذيها ..

وكانوا من مضر ، فانتهره ابن عمه ورده ، فتأثر طرفة ، وحزن لفشله ، وكان شقيقه يشدّد عليه في استرداد الابل ، فقال عندئذ معلقته التي يصور فيها حاله :

ويشاء القدر ان ينقذه من هـذه الورطة ، وان يؤكد له ان شعره يستطيع ان يسترد له الابل ، فذكر في المعلقة سيدين من أقربائه هما قيس بن خالد وعمرو بن مرثد ، وامتدحهما بكثرة المال والولد ، فدعاه عمرو بن مرثد وقال له :

– يا ابن أخي .. أما الولد فالله يعطيكم .. وأما المال فسنجعلك فيـه أسوتنا ..

ثم دعا ولده وكانوا سبعة فدفع كل واحد الى طرفة عشراً من الابل ، ثم أمر ثلاثة من بنيه فأعطوه مثل ذلك ، فرد طرفة على أخيـه ما ضاع له من الابل ، وأقام ينفق الباقي على لهوه وعبثه وخمره .. حتى نفد ما معه ..

في بلاط الملوك

عزم طرفة بعد أن نفد ماله ان يقصد الحيرة ، حيث الملك عمرو بن هند ، وأخوه قابوس .. وعندهما صهر طرفة عبد عمرو بن بشر ، وخاله المتلمس ، فلما بلغ الحيرة استقبله عمرو بن هند، وقرّبه ، وضمه الى حاشيته ، ولو ملك طرفة نفسه وأعصابه لطال عمره ، وعاش عيشة رضيـة ، ولكنه كان تياهاً فخوراً بشبابه وشعره ونسبه .. والتيه في بلاط الملوك كثيراً ما يجلب النقمة والعقاب ..

وفي ذات يوم ، وبينما كان الملك وند ماؤه على الشراب ، أشرفت أخت الملك ، فشاهدها طرفة ، فقال فيها بيتين ، أغضبا عمرو بن هند ، ولكنه لم يقل شيئاً ، فلما انتهى المجلس قال المتلمس لابن أخيه :

– يا طرفة اني اخاف عليك من نظرته تلك ..

فلم يكترث طرفة لكلامه ..

وكان أول ما فعله الملك بعد ذلك ان أبعد طرفة وخاله عن مجلسه ، ونقلهما الى حاشية أخيه (قابوس) .. وكان ولي عهده ، وكان (قابوس) شاباً يحب الصيد ، فيخرجان معه ، فإذا عادا كانا في أشد حالات التعب والنصب ، وإذا جلس للشراب أوقفهما على باب السرادق الى المساء ، فضاقا ذرعاً بهذه الحياة ، وأخذا بهجائه وهجاء أخيــه ، وكان مما قاله طرفة :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تخور[1]
لعمرك ان قابوس بنَ هندٍ ليَخلطُ ملكَه نوكٌ كثيرُ[2]

ولما اختلفت أخت طرفة مع زوجها شكته لأخيها ، وكان زوجها من المقربين عند الملك ، وكان سميناً بادناً كثير المال .. فقال فيه طرفة :

ولا خير فيه غير ان له غنى وان له كشحاً اذا قام اهضما[3]

فبلغت الابيات عمرو بن هند ، ولم يكن احد قد نقل اليـــه ما قاله طرفة فيه .. ولما اجتمع الملك في الحمام مع عبد عمرو.. أو في الصيد ، كما تقول رواية اخرى .. ونظر الى كشحه السمين ضحك ، وقال :

– لقد كان ابن عمك طرفة رآك حين قال :

وان له كشحاً اذا قام اهضما ..

فاستبد الغضب بعبد عمرو وقال :

– لقد قال في الملك ما هو شر من هذا وأقبح ..

قال الملك : وما ذاك ؟

فندم عبد عمرو على الذي كان منـــه ، وحاول ان لا يسمع الملك

---

١ – رغوث : نعجة حلوب .
٢ – النوك : الحمق .
٣ – اهضم : النحيف .. يقول هذا متهكماً .

الابيات ، فقال الملك :

ـ اسمعنيها وطرفة آمن ..

فأسمعه الابيات .. فغضب ولكنه كظم غضبه ، وقرر قتلهما في اقرب فرصة ، وفي مكان بعيد عن الحيرة ..

قصة الرسالتين

ويحدثنا المفضل الضبي عن قصة الرسالتين فيقول :

« حدث المفضل بن محمد بن يعلى الضبي ان طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد .. بن علي بن بكر بن وائل . كان في حسب كريم وعدد كثير ، وكان شاعراً جريئاً على الشعر ، وكانت أخته عند (عبد عمرو بن بشر) وكان (عبد عمرو) سيد أهل زمانه ، وكان من اكرم الناس على عمرو بن هند الملك ، فشكت أخت طرفة شيئاً من امر زوجها الى طرفة فعاب عبد عمرو وهجاه ، وكان من هجائه اياه ان قال :

ولا خيرَ فيه غيرَ ان له غنىً وان له كشحاً اذا قام أهضمَا

تَظلّ نساءُ الحيّ يعكفنَ حوله يقلن: عسيبٌ من سرَارة ملهمَا[1]

فبلغ ذلك عمرو بن هند الملك وما رواه فخرج يتصيد ومعه عبد عمرو فرمى حماراً ، فعقره فقال لعبد عمرو :

ـ انزل فاذبحه ..

فعالجه فأعياه .. فضحك الملك وقال :

ـ لقد ابصرك طرفة حيث يقول ، وأنشد : ولا خير فيه ، وكان طرفة قد هجا قبل ذلك عمرو بن هند فقال فيه :

ـ يعكفن : أي يطفن . العسيب : اغصان النخل . سرارة الوادي : قرارته وانعمه واجوده نبتاً . الملهم : قرية باليمامة .

فليت لنا مكان الملك عمرو | رغوثاً حول قبتنا تخور
لعمرك ان قابوس بن هند | ليخلط ملكه نوك كثير
قسمت الدهر في زمن رخي | كذاك الحكم يقصد أو يجور

فلما قال عمرو بن هند لعبد عمرو ما قال طرفة قال :

– أبيت اللعن .. ما قال فيك اشد مما قال فيّ ، وانشده الأبيات ..

فقال عمرو بن هند :

– أو قد بلغ من أمره ان يقول فيّ ، مثل هذا الشعر ؟

فأمر عمرو فكتب الى رجل من عبد القيس بالبحرين وهو « المعلى » ليقتله ، فقال له بعض جلسائه :

– انك ان قتلت طرفة هجاك المتلمس ، رجل مسن مجرب .

وكان حليف طرفة وكان من بني ضبيعة .

فأرسل عمرو الى طرفة والمتلمس فأتياه فكتب لهما الى عامله بالبحرين ليقتلهما وأعطاهما هدية من عنده وحملهما وقال :

– قد كتبت لكما بحباء ..

المفاجأة :

فأقبلا حتى نزلا الحيرة ، فقال المتلمس لطرفة :

– تعلمن والله ان ارتياح عمرو لي ولك لأمر عندي مريب .. وان انطلاقي بصحيفة لا أدري ما فيها ..

فقال طرفة :

– انك لتسيء الظن ، وما نخاف من صحيفة ان كان فيها الذي وعدنا .. وإلا رجعنا فلم نترك منه شيئاً ؟ ..

وأبى أن يجيبه الى النظر فيها ، ففك المتلمس ختمها ثم جاء الى غلام من أهل الحيرة فقال له :

– أتقرأ يا غلام ؟

فقال : نعم ..

فاعطاه الصحيفة فقرأها فقال الغلام : أنت المتلمس ؟

قال : نعم ..

قال : النجاء.. قد أمر بقتلك ..

فأخذ الصحيفة فقذفها في البحيرة ، ثم انشأ يقول :

والقيتُها بالثِّني من جنب كافر　　كذلك ألقي كلّ رأي مُضَلّل

رضيتُ لها بالماءِ لما رأيتُها　　يجول بها التيارُ في كل جَدوَل

وقال المتلمس لطرفة : تعلمن والله ان الذي في كتابك مثل الذي في كتابي..

فقال طرفة : لئن كان اجترأ عليك ما كان بالذي يجترىء علي ..

وأبى أن يطيعه ، فسار المتلمس من فوره ذلك حتى أتى الشام فقال في ذلك :

من مُبلغُ الشعراءَ عن أخويهمُ　　نبأ فتَصدقهم بذاكَ الأنفسُ

أودى الذي علق الصحيفة منهما　　ونجا حذار حبـائه المتلمس

ألق الصحيفة — لا ابالك ـ إنه　　يخشى عليك من الحباء النقرس

وخرج طرفة حتى أتى صاحب البحرين بكتابه ، فقال له صاحب البحرين :

— انك في حسب كريم وبيني وبين اهلك اخاء قديم ، وقد أمرت بقتلك.. فاهرب اذا خرجت من عندي فإن كتابك ان قرىء لم أجد بداً من ان اقتلك ..

فأبى طرفة ان يفعل ، فجعل شبان عبد القيس يدعونه ويسقونه الخمر حتى قتل ..

وقد كان قال في ذلك قصيدته التي أولها: لخولة اطلال..وذكر (العتبي) سبباً

آخر في قتله ، وذلك انه كان ينادم عمرو بن هند يوماً فأشرفت أخته فرأى طرفة ظلها في الجام الذي في يده فقال :

ألا ياثاني الظـــبي　　　الذي يبرقُ شنفاهُ
ولولا الملك القاعـدُ　　　قد الثَمنَي فـــاه

فحقد ذلك عليه ، وكان من أحدث الشعراء سناً وأقلهم عمراً ، قتل وهو ابن عشرين سنة فيقال له ابن العشرين .. ورأيت أنا مكتوباً في قصته في موضع آخر انه لما قرأ العامل الصحيفة عرض عليه فقال :

— اختر قتلة اقتلك بها ..

فقال : اسقني خمراً ، فإذا ثملت فافصد اكحلي ..

ففعل حتى مات ، فقبره بالبحرين ، وكان له أخ يقال له معبد بن العبد فطالب بديته فأخذها من الحوافر ..

والواقع انه لم يقتل وهو ابن عشرين ، كما في هذه الرواية .. بل الأصح انه قتل وهو دون الثلاثين .. واذا أخذنا برثاء (الخرنق) أخت طرفة له ، كان موته ، وهو في السادسة والعشرين من العمر ..

عددنا له ستاً وعشرين حجة　　　فلما توفاها استوى سيداً ضخما
فُجعنا به لما رجونا إيابــه　　　على خير حال لا وليدا ولا قحما

آثار الشاعر

ولطرفة ديوان لا تقل أبياته عن ٦٥٧ بيتاً .. شرحه يعقوب بن السكيت في القرن التاسع ، والأعلم الشنمتري في القرن الحادي عشر ، وأشهر ما في ديوانه المعلقة التي شرحها (الزوزني) في هـــذا الكتاب (شرح المعلقات السبـــع) وهي دالية تقع في نيف ومائة بيت ..

ولقد نظمها الشاعر في أوقات مختلفة على الأرجح ، وهو يشكو من سوء معاملة أهله خصوصاً ابن عمه .. من تقصير وبخل وأثرة ، وكان ينتظر من الناس خصوصاً من كانوا في مثل مركزه ونسبه أن يكونوا مثله كرماً واخلاصاً وبذلا لمن حولهم من نسيب وصديق ..

ومن قراءة المعلقة يلمس القارىء اثر البادية فيها وتشرد الشاعر زمناً في صحراواتها .. فوصف الناقة وصف خبـــير عالم عاش مع الناقة فترة من الزمن .. ووصف اللهو لا بد انه كان في ايام النعمة .. ثم يأتي عتاب الشاعر لابن عمه بعد ان قصّر هذا في حقه ولم يلق بالاً لقرابته ..

وتعتبر المعلقة أحسن شعره ، ومن اجمل آثار العهد الجاهلي قبل الاسلام ، فهي قصيدة جامعة ، تضرب بسهم في التاريخ ، وتحاول شرحاً لذيذاً صادقاً لروح نفس شابة وقلب ثائر وعاطفة حارة ، وشاب عصر الحيـــاة وعصرته ، ولكنه لم يحسن الاستمتاع بها على النحو الطويل السعيد ، فخرجت منـــه هذه الصيحات المؤثرة الصادقة ، التي تؤكد قوة شخصية الشاعر واعتداده بنفسه الى أبعد الحدود ..

انه شاعر وصّاف كغيره من شعراء الجاهلية .. وهل كان عندهم في هذه الصحراء والواحات غير الوصف والتشبيه الصادق المستمد من الطبيعة نفسها ..؟
وهناك في المعلقة عتاب لين وشكوى رقيقة ، لا يخلوان من انفة ظاهرة بادية .. وغزل بدوي رقيق ، ثم صيحات من القلب تنطق بها هـــذه الأبيات الرائعة في الحكمة وبعد النظر ..

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

وفي هذين البيتين من رائع الشعر وحكمة الحياة وعذب الكلام ما يصح ان يقولها المتنبي .. فأعجب لشاب في عمر شاعرنا تصدر عنه هـــذه الفلتات

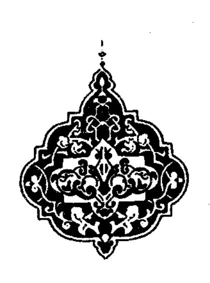
الفلسفية الحكيمة ، وهو من شرحنا .. نصفه في التشرد.. والنصف الآخر في عبث وخمر ولهو ..

كان لا يلقي بالاً للحياة .. وما دام هناك موت فلماذا لا يمضي هذه الأيام التي يقضيها على الأرض في عبث ولهو لينسى الموت المقبل ، ويستمتع بالأيام الحاضرة من الحياة ..

وهو الى هذا وثّاب طموح .. اذا دعاه داعي الواجب أسرع وأجاب .. أليس يقول :

اذا القوم قالوا : من فتى ؟ خلت انني ُعنيت فلم اكسل ولم اتبلد ..

ولا يخلو اسلوب طرفة في شعره من الخشونة والغرابة ، ولا غرابة في هذا فقد كانت لغة عرب الجاهلية كذلك .. وان لم يكن كل قصيده على هذا النحو ، فهناك ابيات بلغت من الرقة والجزالة مبلغ الاعجاز ..



المعلّقة

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ[1]
وُقوفاً بها صَحْبي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقولونَ لا تَهْلِكْ أَسىً وَتَجَلَّدِ[2]

١- خولة : اسم امرأة كلبية ، ذكر ذلك هشام بن الكلبي . الطلل : ما شخص من رسوم الدار ، والجمع أطلال وطلول . البرقة والأبرق والبرقاء : مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى ، والجمع الأبارق والبراق والبرق ، إذا حمل على معنى البقعة أو الأرض قيل البرقاء ، وإذا حمل على المكان أو الموضع قيل الأبرق . ثهمد : موضع . تلوح : تلمع ، واللوح اللمعان . الوشم : غرز ظاهر اليد وغيره بإبرة وحشو المغارز بالكحل أو النقش بالنيلج ، والفعل منه وشمّ يشم وشماً ، ثم جعل اسماً لتلك النقوش ، ويجمع بالوشام والوشوم. ومنه قوله ، عليه الصلاة والسلام : « لعن الله الواشمة والمستوشمة » فالواشمة هي التي تشم اليد ، والمستوشمة هي التي يفعل بها ذلك ، ثم تبالغ فتقول : وشّم يوشم توشيماً إذا تكرر ذلك منه وكثر .
يقول : لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذي يخالط أرضه حجارة وحصى من ثهمد فتلمع تلك الأطلال لمعان بقايا الوشم في ظاهر الكف ، شبه لمعان آثار ديارها ووضوحها بلمعان آثار الوشم في ظاهر الكف .

٢- تفسير البيت هنا كتفسيره في قصيدة امرىء القيس . التجلد : تكلف

كأنّ حُدوجَ المالكيّةِ غُدْوَةً   خَلايا سَفينٍ بالنّواصِفِ من دَدِ[1]
عَدَوْلِيّةٌ أوْ من سَفينِ ابنِ يامنٍ   يَجورُ بها المَلّاحُ طَوْراً ويَهْتَدي[2]

الجلادة ، وهو التصبر .

١– الحدج : مركب من مراكب النساء ، والجمع حدوج وأحداج ، والحداجة مثله ، جمعها حدائج . المالكية : منسوبة إلى بني مالك قبيلة من كلب . الخلايا : جمع الخلية وهي السفينة العظيمة . السفين : جمع سفينة ، ثم يجمع السفين على السفن ، وقد يكون السفين واحداً . وتجمع السفينة على السفائن. النواصف: جمع الناصفة ،وهي أماكن تتسع من نواحي الأودية مثال السكك وغيرها . دد ،قيل : هو اسم واد في هـذا البيت ، وقيل دد مثل يد ، وددا مثل عصا ، وددن مثل بدن ، وهذه الثلاثة بمعنى اللهو واللعب .

يقول : كأن مراكب العشيقة المالكية غدوة فراقها بنواحي وادي دد سفن عظام ، شبه الإبل وعليها الهوادج بالسفن العظام ، وقيل : بل حسبها سفناً عظاماً من فرط لهوه ووله ، وهذا إذا حملت دداً على اللهو ، وإن حملته على أنه واد بعينه فمعناه على القول الأول .

٢– عدولي : قبيلة من أهل البحرين ، وابن يا من : رجل من أهلها ، وروى أبو عبيدة بن نبتل ، وهو رجل آخر منها . الجور : العدول عن الطريق ، والباء هنا للتعدية . الطور : التارة ، والجمع الأطوار .

يقول : هذه السفن التي تشبهها هذه الإبل من هذه القبيلة أو من سفن هـذا الرجل ، والملاح يجريها مرة على استواء واهتداء ، وتارة يعدل بها فيميلها عن سنن الاستواء ، وكذلك الحداة تارة يسوقون هـذه الإبل على سمت الطريق ، وتارة يميلونها عن الطريق ليختصروا المسافة ، وخص سفن هذه

يَشُقّ حَبابَ الماءِ حيزُومُها بها كما قَسَمَ التُّربَ المُفايلُ باليَدِ [1]

وَفي الحَيِّ أحوَى يَنفضُ المرْدَشادِنٌ مُظاهرُ سِمْطَي لُؤلؤٍ وَزَبَرْجَدِ [2]

القبيلة وهذا الرجل لعظمها وضخمها ، ثم شبه سوق الإبل تارة على الطريق وتارة على غير الطريق بإجراء الملاح السفينة مرة على سمت الطريق ومرة عادلاً عن ذلك السمت .

١- حباب الماء : أمواجه ، الواحـــدة حبابة . الحيزوم : الصدر ، والجمع : الحيازيم . الترب والتراب والترباء والتورب والتيراب والتوراب واحد ، ثم يجمع التراب على اتربة وتربان وتربات ، والترباء على الترب ، ذكرهذا كله ابن الأنباري . الفيال : ضرب من اللعب ، وهو أن يجمع التراب فيدفن فيه شيء ، ثم يقسم التراب نصفين ، ويسأل عن الدفين في أيهما هو ، فمن أصاب قَـمر ومن أخطأ قُـمر . يقال : فايل هذا الرجل يفايل مفالة وفيالا إذا لعب بهذا الضرب من اللعب ، شبه شق السفن الماء بشق المفايل التراب المجموع بيده .

٢- الأحوى : الذي في شفتيه سمرة ، والأنثى الحواء ، والجمع الحو . وأيضاً الأحوى ظبي في لونه حوة ، والشادن أحوى لشدة سواد أجفانه ومقلتيه ، قال الأصمعي : الحوة : حمرة تضرب إلى السواد ، يقال : حوي الفرس مال إلى السواد ، فعل هذا شادن صفة أحوى ، وقيل بدل من أحوى ، وينفض المرد صفة أحوى.الشادن: الغزال الذي قوي واستغنى عن أمه. المظاهر : الذي لبس ثوباً فوق ثوب أو درعاً فوق درع أو عقداً فوق عقد . السمط : الخيط الذي نظمت فيه الجواهر ، والجمع سموط .

يقول : وفي الحي حبيب يشبه ظبياً أحوى في كحل العينين وسمرة الشفتين في حال نفض الظبي ثمر الأراك لأنه يمد عنقه في تلك الحال ، ثم صرح بأنه

خَذولٌ تُرَاعي رَبْرَباً بِخَميلَةٍ   تَناوَلُ أَطْرَافَ البَريرِ وَتَرْتَدي[1]
وَتَبْسِمُ عن أَلْمَى كَأَنَّ مُنَوَّراً   تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٍ له نَدِ[2]

يريد إنساناً ، وقال قد لبس عقدين أحدهما من اللؤلؤ والآخر من الزبرجد ، شبهه بالظبي في ثلاثة أشيـــاء : في كحل العينين ، وحوة الشفتين ، وحسن الجيد ، ثم أخبر أنه متحل بعقدين من لؤلؤ وزبرجد .

١– خذول: أي خذلت أولادها . تراعي ربرباً : أي ترعى معه . الربرب : القطيع من الظباء وبقر الوحش. الخميلة : رملة منبتة ، قال الأصمعي : هي أرض ذات شجر ، والجمـــع الخمائل . البرير : ثمر الأراك المدرك البالغ ، الواحدة بريرة. الارتداء والتردي : لبس الرداء .
يقول : هذه الظبية التي أشبهها الحبيب ظبية خذلت أولادهـا وذهبت مع صواحبها في قطيـع من الظباء ترعى معها في أرض ذات شجر أو ذات رملة منبتة تتناول أطراف الأراك وترتدي بأغصانه ، وإنما خص تلك الحال لمدها عنقها الى ثمر الشجرة ، شبه طول عنق الحبيب وحسنه بذلك .

٢– الألمى: الذي يضرب لون شفتيه إلى السواد ، والأنثى لمياء ، والجمع لمي ، والمصدر اللمى ، والفعل لمي يلمى. البسم والتبسم والابتسام واحد . كأن منواراً يعني أقحواناً منوراً ، فحذف الموصوف اجتزاء بدلالة الصفة عليه . نور النبت خرج نوره فهو منور . حر كل شيء: خالصه . الدعص: الكثيب من الرمل ، والجمع الادعاص . الندى يكون دون الابتلال ، والفعل ندي يندى ندى ، ونديته تندية .
يقول : وتبسم الحبيبة عن ثغر ألمى الشفتين كأنه أقحوان خرج نوره في دعص ند يكون ذلك الدعص فيما بين رمل خالص لا يخالطه تراب ، وإنما جعله ندياً ليكون الاقحوان غضاً ناضراً ، شبه به ثغرها وشرط لمى الشفتين

سَقَتْهُ إِياةُ الشَّمْسِ إِلاَّ لِثاتِهِ أُسِفَّ ولَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ[1]

وَوَجْهٍ كأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءها عَلَيْهِ نَقِيُّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدِ[2]

وَإِنِّي لأُمْضي الهَمَّ عندَ احْتِضَارِهِ بِعَوْجاءَ مِرْقالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدي[3]

ليكون أبلغ في بريق الثغر ، وشرط كون الاقحوان في دعص ندلما ذكرنا ، وتقدير الكلام كأنبه أقحواناً منوراً تخلل دعص له ند حر الرمل ثغرها ، فحذف الخبر .

١– إياة الشمس وإياها : شعاعها . اللثة : مغرز الأسنان ، والجمع اللثات . الإسفاف : إفعال سففت الشيء أسفه سفاً « الإثمد : الكحل . الكدم : العض . ثم وصف ثغرها فقال : سقاه شعاع الشمس ، أي كأن الشمس أعارته ضوءها . ثم قال : إلا لثاته ، يستثني اللثات لأنه لا يستحب بريقها . ثم قال : أسف عليه الأثمد ، أي ذر الإثمد على اللثة ، ولم تكدم بأسنانها على شيء يؤثر فيها ، وتقديره : أسف بإثمد ولم تكدم عليه بشيء، ونساء العرب تذر الإثمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد للمعان الأسنان .

٢– التخدد : التشنج والتغضن .
يقول : وتبسم عن وجه كأن الشمس كسته ضياءها وجمالها ، فاستعار لضياء الشمس اسم الرداء ، ثم ذكر أن وجهها نقي اللون غير متشنج متغضن ، وصف وجهها بكمال الضياء والنقاء والنضارة ، وجر الوجه عطفاً على ألمى .

٣- الاحتضار والحضور واحد . العوجاء : الناقة التي لا تستقيم في سيرها لفرط نشاطها . المرقال : مبالغة مرقل من الإرقال : وهو بين السير والعدو .
يقول : وإني لأمضي همي وأنفذ إرادتي عند حضورها بناقة نشيطة في سيرها

أمونٍ كألواحِ الإرانِ نَصأْتُها على لاحِبٍ كأنّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ[1]
جَمالِيَّةٍ وَجْنَاءَ تَرْدي كأنّها سَفَنّجَةٌ تَبْرِي لأَزْعَرَ أرْبَدِ[2]

تخب خبباً وتذمل ذميلاً في رواجها واعتدائها ، يريد أنها تصل سير الليل بسير النهار ، وسير النهـــار بسير الليل ؛ يقول : وإني لأنفذ همي عند حضوره بإتعاب ناقة مسرعة في سيرها .

١ـ الأمون : التي يؤمن عثارها . الإران : التابوت العظيم . نصأتها ، بالصاد . زجرتها . ونسأتها ، بالسين، أي ضربتها بالمنسأة ، وهي العصا . اللاحب : الطريق الواضح . البرجد : كساء مخطط .
يقول : هذه الناقة الموثقة الخلق يؤمن عثارها في سيرها وعدوها وعظامها كألواح التابوت العظيم ضربتها بالمنسأة على طريق واضح كأنه كساء مخطط في عرضه . يريد أنه يمضي همه بناقة موثقة الخلق يؤمن عثارهـــا ، ثم شبه عرض عظامها بألواح التابوت ، ثم ذكر سوقه إياها بالعصا ، ثم شبه الطريق بالكساء المخطط لأن فيه أمثال الخطوط العجيبة .

٢ـ الجمالية : الناقة التي تشبه الجمل في وثاقة الخلق . الوجناء : المكتنزة اللحم ، أخذت من الوجين وهي الأرض الصلبة ، والوجناء العظيمة الوجنات أيضاً. الرديان : عدو الحمار بين متمرغه وأربه ، هذا هو الاصل ثم يستعار للعدو ، والفعل ردى يردي . السفنجة : النعامة . تبري : تعرض ، والبري والانبراء واحد وكذلك التبري . الأزعر : القليل الشعر . الأربد : الذي لونه لون الرماد .
يقول : أمضي همي بناقة تشبه الجمل في وثاقة الخلق مكتنزة اللحم تعدو كأنها نعامة تعرض لظليم قليل الشعر يضرب لونه إلى لون الرماد . شبـــه عدوها بعدو النعامة في هذه الحال .

تُبارِي عِناقاً ناجِياتٍ وَأَتْبَعَتْ وَظيفاً وَظيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ [1]

تَرَبَّعَتِ القُفَّينِ فِي الشَّوْلِ تَرْتَعي حَدائِقَ مَوْلِيَّ الأَسِرَّةِ أَغْيَدِ [2]

١- باريت الرجل : فعلت مثل فعله مغالباً له . العتاق : جمع عتيق ، وهو الكريم . الناجيات : المسرعات في السير ، نجا ينجو نجاً ونجاء أي أسرع في السير . الوظيف : ما بين الرسغ إلى الركبة وهو وظيف كله . المور : الطريق . المعبد : المذلل ، والتعبيد : التذليل والتأثير .

يقول : هي تباري إبلاً كراماً مسرعات في السير وتتبع وظيف رجلها وظيف يدها فوق طريق مذلل بالسلوك والوطء وبالإقدام والحوافر والمناسم في السير .

٢- التربع : رعي الربيع والإقامة بالمكان واتخاذه ربعاً . القف : ما غلظ من الأرض وارتفع لم يبلغ ان يكون جبلاً ، والجمع قفاف . الشول : النوق التي جفت ضروعها وقلت ألبانها ، الواحدة شائلة ، بالتاء لا غير . وأما الشول جمع شائل ، من شال البعير بذنبه إذا رفعه ، يشول شولاً ، ويقال : ناقة شائل وجمع شائل . والشول : الارتفاع ، ويعدي بالباء ، والإشالة : الرفع . الارتعاء : الرعي ، إذا اقتصر على مفعول واحد عنى الرعي . الحدائق : جمع حديقة ، وهي كل روضة ارتفعت أطرافها وانخفض وسطها، والحديقة البستان أيضاً ، سميت بها لإحداق الحائط بها ، والإحداق : الإحاطة . المولي : الذي أصابه الولي وهو المطر الثاني من أمطار السنة ، سمي به لأنه يلي الاول، والاول الوسمي ، سمي به لأنه يسم الارض بالنبات، يقال : ولي المكان يولى فهو مولي إذا مطر الولي . سر الوادي وسراته : خسيره وأفضله كلأ ، والجمع الأسرة والاسرار . الأغيد : الناعم الخلق ، وتأنيثه غيداء ، والجمع الغيد ، ومصدره الغيد . يقول: قد رعت هذه الناقة

تَرِيعُ إلى صَوْتِ المُهيبِ وَتَتّقي بذي خُصَلٍ رَوْعاتِ أكلَفَ مُلبدِ[1]

كأنَّ جَناحَي مَضْرَحيٍّ تَكَنَّفا حِفافيهِ شُكّا في العَسيبِ بِمَسْرَدِ[2]

أيام الربيع كلأ القفين ، وأراد بها قفين معينين معروفين ، بين نوق جفت ضروعها وقلت ألبانها ترعى هي حدائق واد قد وليت أسرتها وهو مع ذلك ناعم التربة ، وصف الناقة برعيها أيام الربيع ليكون ذلك أوفر للحمها وأشد تأثيراً في سمنها ، ثم وصفها بأنها كانت في صواحب لها وهي إذا رأت صواحبها ترعى كان ذلك أدعى لها إلى الرعي ، ثم وصف مرعاها بأنه في واد اعتادته الامطار وهو مع ذلك طيب التربة ، وقوله : حدائق مولي الاسرة ، تقديره حدائق واد مولي الأسرة ، فحذف الموصوف ثقة بدلالة الصفة عليه .

١– الريع : الرجوع ، والفعل راع يريع . الإهابة : دعاء الإبل وغيرها ، يقال أهاب بناقته إذا دعاها . الاتقاء : الحجز بين شيئين ، يقال : اتقى قرنه بترسه إذا جعل حاجزاً بينه وبينه ، وقوله : بذي خصل ، أراد بذنب ذي خصل ، فحذف الموصوف اكتفاء بدلالة الصفة عليه ، والخصل جمع خصلة من الشعر وهي قطعة منه . الروع : الإفزاع ، والروعة فعلة منه ، وجمعها الروعات . الأكلف : الذي يضرب إلى السواد . الملبد : ذو وبر متلبد من البول والثلط وغيره . روعات فحل اكلف ، فحذف الموصوف .

يقول : هي ذكية القلب ترجع إلى راعيها وتجعل ذنبها حاجزاً بينها وبين فحل تضرب حمرته إلى السواد متلبد الوبر ، يريد أنها لا تمكنه من ضرابها لم تلقح وإذا لم يصل الفحل إلى ضرابها لم تلقح وإذا لم تلقح كانت مجتمعة القوى وافرة اللحم قوية على السير والعدو .

٢– المضرحي : الأبيض من النسور ، وقيل : هو العظيم منها . التكتف :

فَطَوْراً بهِ خَلْفَ الزَّميلِ وَتارَةً على حَشَفٍ كالشَّنِّ ذاوٍ مُجَدَّدِ [1]
لها فَخِذانِ أُكْمِلَ النَّحْضُ فيهما كأنَّهما بابا مُنيفٍ مُمَرَّدِ [2]

الكون في كتف الشيء وهو ناحيته . الحفاف : الجانب ، ، والجمع الأحفة . الشك : الغرز . العسيب : عظم الذنب ، والجمع العسب . والمسرد والمسراد : الإشفى ، والجمع المسارد والمساريد .

يقول : كأن جناحي نسر ابيض غرزا بإشفى في عظم ذنبها فصارا في ناحية ، شبه شعر ذنبها بجناحي نسر أبيض في الباطن .

١ – قوله : فطوراً به ، يعني فطوراً تضرب بالذنب . الزميل : الرديف . الحشف : الاخلاف التي جف لبنها فتشنجت ، الواحدة حشفة ، وهو مستعار من حشف التمر أو من الحشف وهو الثوب الخلق . الشن : القربة الخلق ، والجمع الشنان . الذوي : الذبول ، والفعل ذوى يذوي وذوي يذوي لغة أيضاً . المجدد : الذي جد لبنه أي قطع .

يقول : تارة تضرب هذه الناقة ذنبها على عجزها خلف رديف راكبها وتارة تضرب على اخلاف متشنجة خلقة كقربة بالية وقد انقطع لبنها .

٢ – النحض : اللحم . وقوله : بابا منيف ، أي بابا قصر منيف ، فحذف الموصوف ، والمنيف : العالي ، والإنافة العلو . الممرد : المملس ، من قولهم : وجه أمرد وغلام أمرد لا شعر عليه ، وشجرة مرداء لا ورق لها ، والممرد المطول ايضاً ، وقد أول قوله تعالى : « صرح ممرد من قوارير » بهما .
يقول : لهذه الناقة فخذان أكمل لحمها فشابها مصراعي باب قصر عال مملس أو مطول في العرض .

وَطَيٌّ مَحَالٍ كالحَنِيِّ خُلُوفُهُ   وَأَجْرِنَةٌ لُزَّتْ بِدَأْيٍ مُنَضَّدِ [1]
كأَنَّ كِناسَيْ ضَالَةٍ يُكْنِفانِها   وَأَطْرَ قِسِيٍّ تَحْتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ [2]
لها مِرْفَقانِ أَفْتَلانِ كأَنَّها   تَمُرُّ بِسَلْمَيْ دالِجٍ مُتَشَدِّدِ [3]

١– الطي : طي البئر . المحال : فقار الظهر ، الواحدة محالة وفقارة . الحني : القسي ، الواحدة حنية وتجمع أيضاً على حنايا . الخلوف : الأضلاع ، الواحد خلف . الأجرنة : جمع جران ، وهو باطن العنق . اللز : الضم . الدأي : خرز الظهر والعنق ، الواحدة دأية وتجمع أيضاً على الدأيات . التنضيد مبالغة النضد : وهو وضع الشيء على الشيء ، والمنضد أشد من المنضود .

يقول : ولها فقار مطوية متراصفة متداخلة كأن الاضلاع المتصلة بها قسي ولها باطن عنق ضم وقرن إلى خرز عنق قد نضد على بعض .

٢– الكناس : بيت يتخذه الوحش في أصل شجرة ، والجمع الكنس ؛ وقد كنس الوحش يكنس كنساً وكنوساً : دخل كناسه . الضال : ضرب من الشجر وهو السدر البري ، الواحدة ضالة . كنفت الشيء : صرت في ناحيته ، أكنفه كنفاً ، والكنف الناحية ، والجمع الأكناف . الأطر : العطف ، والائتطار الانعطاف . المؤيد : المقوى ، والتأييد التقوية ، من الأيد والاد وهما القوة ؛ شبه إبطيها في السعة ببيتين من بيوت الوحش في أصل شجرة ، وشبه أضلاعها بقسي معطوفة .

يقول : كأن بيتين من بيوت الوحش في أصل ضالة صارا في ناحيتي هذه الناقة وقسياً معطوفة تحت صلب مقوى . وسعة الإبط أبعد لها من العثار ، لذلك مدحها بها .

٣– الافتل : القوي الشديد ، وتأنيثه فتلاء . السلم : الدلو لها عروة واحدة

كَقَنْطَرَةِ الرّومِيّ أُقسمَ رَبّها لَتُكْتَنَفَنْ حتى تُشادَ بقَرْمَدِ ١

صُهابيّةُ العُثْنُونِ مُوجَدَةُ القَرَا بعيدةُ وَخْدِ الرِّجْلِ مَوّارَةُ اليَدِ ٢

مثل دلاء السقائين . الدالج : الذي يأخذ الدلو من البئر فيفرغها في الحوض . التشدد والاشتداد والشدة واحد ، يقال : شد يشد شدة إذا قوي ، والباء في قوله تمر بسلمي للتعدية ويجوز أن تكون بمعنى مع ايضاً .

يقول : لهذه الناقة مرفقان قويان. شديدان بائنان عن جنبيها فكأنها تمر مع دلوين من دلاء الدالجين الاقوياء ، شبهها بسقاء حمل دلوين إحداهما بيمناه والاخرى بيسراه فبانت يداه عن جنبيه ، شبه بعد مرفقيها عن جنبيها ببعد هاتين الدلوين عن جنبي حاملها القوي الشديد .

١–القرمد : الآجر ، وقيل هو الصاروج ، الواحدة قرمدة . الاكتناف : الكون في أكناف الشيء وهي نواحيه ؛ شبه الناقة في تراصف عظامها وتداخل أعضائها بقنطرة تبنى لرجل رومي قد حلف صاحبها ليحاطن بها حتى ترفع او تجصص بالصاروج او بالآجر . الشيد : الرفع والطلي بالشيد وهو الجص . قوله : كقنطرة الرومي ، أي كقنطرة الرجل الرومي . وقوله : لتكتنفن ، اي والله لتكتنفن.

٢–العثنون : شعرات تحت لحيها الاسفل . يقول : فيها صهبة اي حمرة . القرا : الظهر ، والجمع الأقراء . الموجدة : المقواة ، والإيجاد التقوية ، ومنه قولهم : بعير أجد أي شديد الخلق قوي . الوخد والوخدان والوخيد : الذميل ، والفعل وخد يخد . المور : الذهاب والمجيء ، والموارة مبالغة المائرة ، وقد مارت تمور موراً فهي مائرة .

يقول : في عثنونها صهبة وفي ظهرها قوة وشدة ويبعد ذميل رجليها ومور يديها في السير . ويجوز جر صهابية العثنون على الصفة لعوجاء ، ويجوز رفعها على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره : هي صهابية العثنون .

أُمِرَّتْ يَداها فَتْلَ شَزْرٍ وَأُجْنِحتْ	لها عَضُداها في سَقيفٍ مُسَنَّدِ[1]
جَنوحٌ دِفاقٌ عَنْدَلٌ ثمّ أُفرِعَتْ	لها كَتِفاها في مُعالىً مُصَعَّدِ[2]
كأَنَّ عُلوبَ النِّسْعِ في دَأَياتِها	مَوارِدُ من خلقاءَ في ظهرِ قَرْدَدِ[3]
تَلاقى وَأَحياناً تَبينُ كأَنّها	بَنائِقُ غُرٌّ في قَميصٍ مُقَدَّدِ

١- الإمرار : إحكام الفتل . الفتل الشزر : ما أدير عن الصدر ، والنظر الشزر والطعن الشزر ما كان في أحد الشقين . الأجناح : الأمالة، والجنوح : الميل. السقف والسقيف واحـــد ، والجمع السقف . المسند : الذي اسند بعضه إلى بعض .

٢- الجنوح مبالغة الجانحة : وهي التي تميل في احد الشقين لنشاطها في السير . الدفاق : المندفقة في سيرها اي المسرعة غاية الإسراع . العندل : العظيمة الرأس . الإفراع : التعلية ، يقال : فرعت الجبل أفرعه فرعاً إذا علوته ، وتفرعته ايضاً وأفرعته غيري اي جعلته يعلوه . المعالاة والإعلاء والتعلية واحد ، والتصعيد مثلها .
يقول : هذه الناقة شديدة الميلان عن سمت الطريق لفرط نشاطها في السير مسرعة غاية الإسراع عظيمة الرأس وقد عليت كتفاها في خلق معلى مصعد . وقوله : في معالى ، يريد في خلق معالى او ظهر معالى ، فحذف الموصوف اجتزاء بدلالة الصفة عليه . ويجوز في الجنوح الرفع والجر على ما مر .

٣- العلب : الأثر ، والجمع العلوب ، وقد علبت الشيء علباً إذا أثرت فيه . النسع : سير كهيئة العنان تشد به الأحمـــال ، وكذلك النسعة ، والجمع الانساع والنسوع والنسع . الموارد : جمع المورد وهو الماء الذي يورد .

وَأَتْلَعُ نَهّاضٌ إذا صَعّدَتْ بِهِ ... كسُكّانِ بوصيٍّ بدِجلَةَ مُصْعِدِ [1]

وَجُمْجُمَةٌ مِثْلُ ٱلعَلاةِ كأنّمَا ... وَعى المُلْتَقى منها إلى حرْفِ مِبْرَدِ [2]

وَخدٌّ كقِرْطاس ٱلشّآمي ومِشْفَرٌ ... كَسِبْتِ ٱليَماني قَدُّهُ لم يُجَرَّدِ [3]

الخلقاء : الملساء ، والأخلق الأملس ، وأراد من خلقاء ، اي من صخرة خلقاء ، فحذف الموصوف . القردد : الأرض الغليظة الصلبة التي فيها وهاد ونجاد . يقول : كأن آثار النسع في ظهر هذه الناقة وجنبيها نقر فيها ماء من صخرة ملساء في ارض غليظة متعادية فيها وهاد ونجاد . شبه آثار النسع او الانساع بالنقر التي فيها الماء في بياضها ، وجعل جنبها صلباً كالصخرة الملساء ، وجعل خلقها في الشدة والصلابة كالأرض الغليظة .

١ـ الأتلع : الطويل العنق . النهاض : مبالغة الناهض . البوصي : ضرب من السفن . السكان : ذنب السفينة .
يقول: هي طويلة العنق فاذا رفعت عنقها اشبه ذنب سفينة في دجلة تصعد . قوله : إذا صعدت به ، أي بالعنق ، والباء للتعدية ، جعل عنقهـا طويلاً سريع النهوض ، ثم شبه في الارتفاع والانتصاب بسكان السفينة في حال جريها في الماء .

٢ـ الوعي : الحفظ والاجتماع والانضمام ، وهو في البيت على المعنى الثاني . الحرف : الناحية ، والجمع الأحرف والحروف .
يقول : ولها جمجمة تشبه العلاة في الصلابة فكأنما انضم طرفها الى حد عظم يشبه المبرد في الحدة والصلابة . الملتقى : موضع الالتقاء وهو طرف الجمجمة لأنه يلتقي به فراش الرأس .

٣ـ قوله : كقرطاس الشآمي يعني كقرطاس الرجل الشآمي ، فحذف الموصوف

كمكحولتي

وَعَيْنَانِ كالمَاوِيَتَيْنِ اسْتَكَنَّتَا بكهفي حجَاجَيْ صَخْرَةٍ قلتِ موْرِدِ [1]
طَحورانِ عُوّارَ القَذَى فتراهُما كمكحولَتَيْ مذعورةٍ أُمِّ فرْقَدِ [2]
وَصَادِقتا سَمْعِ التَّوَجّسِ للسرى لِهَجْسٍ خفيٍّ أَوْ لصَوْتٍ مُنَدَّدِ [3]

اكتفاء بدلالة الصفة عليه . المشفر للبعير : بمنزلة الشفة للانسان ، والجمع المشافر . السبت : جلود البقر المدبوغة بالقرظ . وقوله : كسبت اليماني ، يريد كسبت الرجل اليماني . التجريد : اضطراب القطع وتفاوته .
شبه خدهــا في الانملاس بالقرطاس ومشفرها بالسبت في اللين واستقامة القطع .

١ــ الماوية : المرآة . الاستكنان : طلب الكن . الكهف : الغار . الحجاج : العظم المشرف على العين الذي هو منبت شعر الحاجب ، والجمع الاحجة . القلت : النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء ، والجمع القلات . المورد : الماء هنا . يقول : لها عينان تشبهان مرآتين في الصفاء والنقاء والبريق وتشبهان ماء في القلت في الصفاء ، وشبه عينيها بكهفين في غؤورهما ، وحجاجيهـا بالصخرة في الصلابة . قوله : حجاجي صخرة اي حجاجين من صخرة ، كقولهم : باب حديد اي باب من حديد .
يقول : عيناها تطرحان وتبعدان القذى عن أنفسهما ثم شبههما بعيني بقرة وحشية لها ولد وقد أفزعها صائد او غيره . وعين الوحشية في هذه الحالة احسن ما تكون .

٢ــ التوجس : التسمع . السرى : سير الليل . الهجس : الحركة . التنديد : رفع الصوت .
يقول : ولها أذنان صادقتا الاستماع في حال سير الليل لا يخفى عليهما السر الخفي ولا الصوت الرفيـع .

كسامعتي

مُؤَلَّلتانِ تَعرِفُ ٱلعِتْقَ فيهِما كسامِعَيْ شاةٍ بحَوْمَلَ مُفْرَدِ[1]
وَأرْوَعُ نَبَّاضٌ أحذُّ مُلَمْلَمٌ كمِرْداةِ صَخْرٍ في صَفيحٍ مصَمَّدِ[2]

١– التأليل : التحديد والتدقيق من الآلة وهي الحربة وجمعها آل وإلال ، وقد أله يؤله ألا إذا طعنه بالآلة ، والدقة والحدة تحمدان في آذان الإبل . العتق : الكرم والنجابة . السامعتان : الأذنان . الشاة : الثور الوحشي . حومل : موضع بعينه .

يقول : لها أذنان محددتان تحديد الآلة تعرف نجابتها فيها وهما كأذني ثور وحشي منفرد في الموضع المعين ، وخص المفرد لانه اشد فزعاً وتيقظاً واحترازاً .

٢– الأروع : الذي يرتاع لكل شيء لفرط ذكائه . النباض : الكثير الحركة ، مبالغة النابض من نبض ينبض نبضاناً . الأحذ : الخفيف السريع . الململم : المجتمع الخلق الشديد الصلب . المرداة : الصخرة التي تكسر بها الصخور . الصفيحة : الحجر العريض ، والجمع الصفائح والصفيح . المصمد : المحكم الموثق . يقول : لها قلب يرتاع لأدنى شيء لفرط ذكائه سريع الحركة خفيف صلب مجتمع الخلق يشبه صخرة يكسر بها الصخور في الصلابة فيما بين اضلاع تشبه حجارة عراضاً موثقة محكمة ، شبه القلب بين الاضلاع بحجر صلب بين حجارة عراض . وقوله : كمرداة صخر ، اي كمرداة من صخر ، مثل قولهم : هذا ثوب خز . وقوله: في صفيح ، اي فيما بين صفيح. والمصمد نعت للصفيح على لفظه دون معناه .

وَأَعْلَمُ مَخْرُوتٌ مِنَ الأَنْفِ مارِنٌ عَتيقٌ متى تَرْجُمْ به الأَرضَ تَزددِ[1]

وَإنْ شئتُ لم تُرْقِلْ وَإنْ شئتُ أُرْقِلتْ مَخافَةَ مَلْوِيٍّ مِنَ القَدِّ مُحصَدِ[2]

وَإنْ شئتُ سامى وَاسطَ الكورِ رَأْسُها وَعامَتْ بِضَبعَيها نَجاءَ الخَفَيْدَدِ[3]

على مِثْلِها أَمْضي إذا قالَ صاحبي : ألا لَيْتَني أفديكَ منها وَأَفْتَدي[4]

١– الاعلم : المشقوق الشفة العليـــا . المخروب : المثقوب ، والخرت الثقب .
المارن : ما لان من الانف .
يقول : ولها مشفر مشقوق ومارن انفها مثقوب وهي عندما ترمي الارض بأنفها ورأسها تزداد في سيرها .

٢– الإرقال : دون العدو وفوق السير ، الإحصاد : الإحكام والتوثيق .
يقول : هي مذللة مروضة فإن شئت اسرعت في سيرهـــا ، وإن شئت لم تسرع مخافة سوط ملوي من القد موثق .

٣– المساماة : المباراة في السمو وهو العلو . الكور : الرحل بأداته ، والجمـع الأكوار والكيران ، وواسط له كالقربوس للسرج . العوم : السباحة ، والفعل عام يعوم عوماً . الضبع : العضد . النجاء : الإسراع . الخفيدد : الظليم ، ذكر النعام .
يقول : إن شئت جعلت رأسهـــا موازياً لواسط رحلها في العلو من فرط نشاطها وجذبي زمامها إلي وأسرعت في سيرها حتى كأنها تسبح بعضديها إسراعاً مثل إسراع الظليم .

٤– يقول : على مثل هذه الناقة امضي في أسفاري حين بلـغ الأمر غايته ، يقول صاحبي : ألا ليتني افديك من مشقة هذه الشقة فأخلصك منهـــا وأنجي نفسي .

وَجاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفاً وَخاله مُصاباً وَلَوْ أمسَى على غيرِ مَرْصَدِ[1]

إذا القوْمُ قالوا مَنْ فتًى خِلْتُ أَنَّني عُنيتُ فلَم أَكسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ[2]

أَحلْتُ عَلَيْها بالقَطيعِ فأجْذَمتْ وَقدْ خَبَّ آلُ الأمعَزِ المُتوَقِّدِ[3]

فَذالتْ كَما ذالتْ وَليدَةُ مَجْلِسٍ تُرِي رَبَّها أذيالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ[4]

١- خاله : اي ظنه ، والخيلولة الظن . المرصد : الطريق ، والجمع المراصد ، وكذلك المرصاد . يقول : وارتفعت نفسه اي زال قلبه عن مستقره لفرط خوفه فظنه هالكاً وإن امسى على غير الطريق .
يقول : إن صعوبة هذه الفلوات جعلته يظن أنه هالك وإن لم يكن على طريق يخاف قطاع الطريق .

٢- يقول : إذا القوم قالوا من فتى يكفي مهماً او يدفع شراً ؟ خلت أنني المراد بقولهم فلم اكسل في كفاية المهم ودفع الشر ولم أتبلد فيهما . وعنيت من قولهم عنى يعني عنياً بمعنى اراد ، ومنه قولهم : يعني كذا اي يريده ، وايش تعني بهذا اي ايش تريد بهذا ، ومنه المعنى وهو المراد ، والجمع المعاني .

٣- الإحالة : الإقبال هنا . القطيع : السوط . الإجذام : الإسراع في السير .
الآل : ما يرى شبه السراب طرفي النهار ، والسراب ما كان نصف النهار .
الأمعز : مكان يخالط ترابه حجارة او حصى ، وإذا حمل على الارض او البقعة قيل المعزاء ، والجمع الأماعز .
يقول : أقبلت على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت في السير في حال خيب آل الأماكن التي اختلطت تربتها بالحجارة والحصى .

٤- الذيل : التبختر ، والفعل ذال يذيل . الوليد : الصبية والجارية ، وهي في البيت بمعنى الجارية . السحل : الثوب الابيض من القطن وغيره .

وَلَسْتُ بحَلّالِ التّلاع مَخافَة وَلكِنْ متى يَسْتَرْفِدِ القومُ أرْفِدِ[1]
فإنْ تبغني في حَلْقَةِ القَوْمِ تلقَني وَإنْ تَلْتَمسني في الحَوانيت تصْطدِ[2]
وَإنْ يلْتَقِ الحيُّ الجميعُ تُلاقِني إلى ذِرْوَةِ البَيتِ الشّريفِ المُصَمَّدِ[3]

يقول : فتبخترت هذه الناقة كما تتبختر جارية ترقص بين يدي سيدها فتريه ذيل ثوبها الابيض الطويل في رقصها ، شبه تبخترها في السير بتبختر الجارية في الرقص ، وشبه طول ذنبها بطول ذيلها .

١- الحلال : مبالغة الحال من الحلول . التلعة : ما ارتفع من مسيل الماء وانخفض عن الجبال او قرار الارض ، والجمع التلعات والتلاع . الرفد والإرفاد : الإعانة ، والاسترفاد الاستعانة .
يقول : أنا لا أحل التلاع مخافة حلول الأضياف بي او غزو الاعداء إياي ولكني أعين القوم إذا استعانوا بي إما في قرى الاضياف ، وإما في قتال الاعداء والحساد .

٢- البغاء : الطلب ، والفعل بغى يبغي . الحلقة تجمع على الحلق بفتح الحاء واللام وهذا من الشواذ ، وقد تجمع على الحلق مثل بدرة وبدر وثلة وثلل . الحانوت : بيت الخمار ، والجمع الحوانيت . الاصطياد : الاقتناص .
يقول: وإن تطلبني في محفل القوم تجدني هناك وإن تطلبني في بيوت الخمارين تصطدني هناك . يريد أنه يجمع بين الجد والهزل .

٣- الصمد : القصد ، والفعل صمد يصمد ، والتصميد مبالغة الصمد .
يقول : وإن اجتمع الحي للافتخار تلاقني أنتمي وأعتزي إلى ذروة البيت الشريف اي الى أعلى الشرف . يريد أنه أوفاهم حظاً من الحسب وأعلاهم سهماً من النسب . قوله : تلاقني إلى ، يريد أعتزي إلى فحذف الفعل لدلالة الحرف عليه .

نَدَامايَ بيضٌ كالنجومِ وَقَيْنَـةٌ   تَرُوحُ علينا بينَ بُرْدٍ وَمُجْسَدِ[1]
رَحيبٌ قِطابُ الجَيْبِ منْها رَقيقَةٌ   بِجَسِّ النَّـدامى بَضَّةُ المُتجَرَّدِ[2]

١- الندامى : جمع الندمان هو النديم ، وجمع النديم ندام وندمـــاء . وصفهم بالبياض تلويحاً الى أنهم احرار ولدتهم حرائر ولم تعرف الإماء فيهم فتورثهم ألوانهن ، أو وصفهم بالبيـــاض لإشراق ألوانهم وتلألؤ غررهم في الاندية والمقامات إذ لم يلحقهم عار يعيرون به فتتغير ألوانهم لذلك ، او وصفهم بالبياض لنقائهم من العيوب ، لان البياض يكون نقياً من الدرن والوسخ ، أو لاشتهارهم ، لان الفرس الاغر مشهور فيما بين الخيل . والمدح بالبياض في كلام العرب لا يخرج من هذه الوجوه . القينة : الجارية المغنية ، والجمـع القينات والقيان . المجسد : الثوب المصبوغ بالجساد والزعفران . ويقال بل الثوب الذي أشبـع صبغه فيكاد يقوم من إشباع صبغه ، والمجسد لغة فيه ، وقال جماعة من الائمة : بل المجسد الثوب الذي يلي الجسد ، والمجسد مـــا ذكرنا ، والجمع المجاسد .

يقول : ندامای احرار كرام تتلألأ ألوانهم وتشرق وجوههم ومغنية تأتينا رواحاً لابسة برداً او ثوباً مصبوغاً بالزعفران او ثوباً مشبـع الصبـغ .

٢- الرحب والرحيب واحد ، والفعل رحب رحباً ورحابة ورحباً . قطـــاب الجيب : مخرج الرأس منه . الغضاضة والبضاضة : نعومة البدن ورقة الجلد. والفعل غض يغض وبض يبض . المتجرد : حيث تجرد أي تعرى .

يقول : هذه القينة واسعة الجيب لإدخال الندامى ايديهم في جيبها للمسها ؛ ثم قال : هي رقيقة على جس الندامى إياها ، وما يعرى من جسدها ناعم اللحم رقيق الجلد صافي اللون . والجس : اللمس ، والفعـــل جس يجس جساً .

مطروفة

اذا نحنُ قُلنا أَسْمعينا انْبَرَتْ لنا على رِسْلِها مَطْرُوقَةً لم تَشَدَّدِ[1]

اذا رَجَّعتْ في صَوْتِها خِلْتَ صَوْتَها تَجاوُبَ أَظْآرٍ على رُبَعٍ رَدِ[2]

وما زالَ تَشْرَابي الخُمورَ وَلَذَّتي وَبَيْعِي وَإِنْفاقي طَريفي وَمُتْلَدي[3]

١– اسمعينا : اي غنينا . البري والانبراء والتبري : الاعتراض للشيء والاخذ فيه . على رسلها : اي على تؤدتها ووقارها . المطروقة : التي بهـا ضعف ، ويروى مطروفة ، وهي التي أصيب طرفها بشيء أي كأنها أصيب طرفها لفتور نظرها .
يقول : إذا سألناها الغناء عرضت تغنينا متئدة في غنائها على ضعف نغمتها لا تشدد فيها ، أراد لم تشدد فحذف إحدى التاءين استثقالا لهما في صدر الكلمة ومثله تنزل الملائكة وناراً تلظى وانت عنه تلهى وما أشبه ذلك .

٢– الترجيع : ترديد الصوت وتغريده . الظائر : التي لها ولد ، والجمع الاظآر الربع من ولد الإبل : ما ولد في أول النتاج . الردى : الهلاك ، والفعـل ردي يردي ، والإرداء الإهلاك ، والتردي مثل الردى .
يقول : إذا طربت في صوتها ورددت نغمتها حسبت صوتها اصوات نوق تصيح عند جؤارها على هالك ، شبه صوتها بصوتهن في التحزين ، ويجوز أن يكون الاظآر النساء ، والربع مستعار لولد الانسان ، فشبه صوتها في التحزين والترقيق بأصوات النوادب والنوائح على صبي هالك .

٣– التشراب : الشرب ، وتفعال من أوزان المصادر مثل التقتال بمعنى القتـل والتنقاد بمعنى النقد الطريف والطارف : الماو الحديث . التليد والتـلاد والمتلد : المال القديم الموروث .

إلى أنْ تحامَتْني ٱلعشيرَةُ كُلُّها وَأُفرِدْتُ إفرادَ ٱلبعيرِ المُعَبَّدِ [1]
رَأيْتُ بَني غَبراءَ لا يُنْكِرُونَني وَلا أهلُ هذاكَ ٱلطِّرافِ المُمَدَّدِ [2]
ألا أيُّهذا اللائمي أشهد الوَغى وأنْ أنهلَ اللذاتِ هلْ أنتَ مُخلِدي [3]

يقول : لم أزل أشرب الخمر وأشتغل باللذات وبيع الاعلاق النفيسة وإتلافها حتى كأن هذه الأشياء لي بمنزلة المال المستحدث الموروث ، يريد انه التزم القيام بهذه الأشياء لزوم غيره القيام باقتنائه المال لإصلاحه .

١– التحامي : التجنب والاعتزال . البعير المعبد : المذلل المطلي بالقطران ، والبعير يستلذ ذلك فيذل له .
يقول : فتجنبتني عشيرتي كما يتجنب البعير المطلي بالقطران وافردتني لما رأت أني لا أكف عن إتلاف المال والاشتغال باللذات .

٢– الغبراء : صفة الأرض جعلت كالاسم لها . الطراف : البيت من الأدم ، والجمع الطروف وكنى بتمديده عن عظمته .
يقول : لما أفردتني العشيرة ، رأيت الفقراء الذين لصقوا بالأرض من شدة الفقر لا ينكرون إحساني وإنعامي عليهم ، ورأيت الأغنياء الذين لهم بيوت الأدم لا ينكرونني لاستطابتهم صحبتي ومنادمتي .
يقول : إن هجرتني الاقارب وصلتني الأباعد ، وهم الفقراء والاغنياء ، فهؤلاء لطلب المعروف وهؤلاء لطلب العلاء .

٣– الوغى : أصله صوت الابطال في الحرب ثم جعل اسماً للحرب . الخلود : البقاء ، والفعل يخلد ، والإخلاد والتخليد الإبقاء .
يقول : ألا ايها الأنسان الذي يلومني على حضور الحرب وحضور اللذات هل تخلدني إن كففت عنها ؟

فانْ كنتَ لا تسْطيعُ دَفْعَ مَنيَّتي   فَدَعْني أُبادِرْها بما مَلَكَتْ يدي[1]
وَلَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ من عيشَةِ الفَتى   وَجَدِّكَ لم أحفِلْ متى قامَ عُوَّدي[2]
فَمِنْهُنَّ سَبْقي العاذِلاتِ بِشَرْبَةٍ   كُميتٍ متى ما تُعلَ بالماءِ تُزْبدِ[3]
وَكَرّي إذا نادى المُضافُ مُحَنَّباً   كَسيدِ الغَضا نَبَّهْتَهُ المُتَوَرِّدِ[4]

١– استطاع يستطيع : لغة في استطاع .
يقول : فإن كنت لا تستطيع ان تدفع موتي عني فدعني أبادر الموت بإنفاق أملاكي ، يريد أن الموت لا بد منه فلا معنى للبخل بالمال وترك اللذات .

٢– الجد : الحظ والبخت ، والجمع الجدود ، وقد جد الرجل يجد جداً فهو جديد ، وجد يجد جداً فهو مجدود إذا كان ذا جد ، وقد أجده الله إجداداً جعله ذا جد . وقوله وجدك قسم . الحفل : المبالاة . العود : جمع عائد من العبادة .
يقول : فلولا حبي ثلاث خصال هن من لذة الفتى الكريم لم أبال متى أقام عودي من عندي آيسين من حياتي أي لم أبال متى مت .

٣– يقول : إحدى تلك الخلال أني أسبق العواذل بشربة من الخمر كميت اللون متى صب الماء عليها أزبدت ، يريد أنه يباكر شرب الخمر قبل انتباه العواذل .

٤– الكر : العطف . والكرور : الانعطاف . المضاف : الخائف والمذعور ، والمضاف الملجأ . المحنب . الذي في يده انحناء . السيد : الذئب ، والجمع السيدان . الغضا : شجر .
يقول : والخصلة الثانية عطفي إذا ناداني الملجأ إلي والخائف عدوه مستغيثاً

وَتقصيرُ يومِ الدجنِ وَالدجنُ معجِبٌ ببهكنةٍ تحتَ الخِباءِ المُعَمَّدِ[1]

كأنّ البُرينَ وَالدَّماليجَ عُلِّقَتْ على عُشَرٍ أوْ خِرْوَعٍ لم يُخَضَّدِ[2]

إياي فرساً في يده انحناء يسرع في عدوه إسراع ذئب يسكن فيما بين الغضا إذا نبهته وهو يريد الماء ، جعل الخصلة الثانية إغاثته المستغيث وإعانته اللاجيء إليه ، فقال : أعطف في إغاثته فرسي الذي في يده انحناء وهو محمود في الفرس إذا لم يفرط ، ثم شبه فرسه بذئب اجتمع له ثلاث خلال : إحداها كونه فيما بين الغضا ، وذئب الغضا أخبث الذئاب ، والثانية إثارة الإنسان إياه ، والثالثة وروده الماء ، وهما يزيدان في شدة العدو .

١– قصرت الشيء : جعلته قصيراً . الدجن : إلباس الغيم افاق السماء . البهكنة : المرأة الحسنة الخلق السمينة الناعمة . المعمد : المرفوع بالعمد .

يقول : والخصلة الثالثة أني أقصر يوم الغيم بالتمتع بامرأة ناعمة حسنة الخلق تحت بيت مرفوع بالعمد ؛ جعل الخصلة الثالثة استمتاعه بحبائبه ، وشرط تقصير اليوم لأن أوقات اللهو والطرب أفضل الأوقات؛ ومنه قول الشاعر :

شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهن ولا سرار

وقوله : والدجن معجب أي يعجب الإنسان .

٢– البرة : حلقة من صفر أو شبه أو غيرهما تجعل في أنف الناقة ، والجمع البرى والبرات والبرون في الرفع والبرين في النصب والجر ، استعارها للأسورة والخلاخيل . الدملج والدملوج : المعضد ، والجمع الدماليج والدمالج . العشر والخروع : ضربان من الشجر . التخضيد : التشذيب من الأغصان والأوراق ، والعشر وصف البهكنة .

يقول : كأن خلاخيلها وأسورتها ومعاضدها معلقة على أحد هذين الضربين من الشجر ، وجعله غير مخضد ليكون أغلظ ؛ شبه ساعديها وساقيها بأحد

كَرِيمٌ يُرَوّي نَفْسَهُ في حَياتِهِ   سَتَعْلَمُ إنْ مُتْنا غَداً أَيّنا الصّدي[1]

أَرَى قَبْرَ نَحّامٍ بَخِيـــلٍ بمالِهِ   كَقَبرِ غَوِيٍّ في البطالَةِ مُفْسِدِ[2]

تَرَى جُثْوَتَينِ مِنْ تُرابٍ عَلَيْهِما   صَفائحُ صُمٌّ من صَفيحٍ مُنَضَّدِ[3]

أَرَى المَوْتَ يَعتامُ الكِرامَ وَيَصْطفي   عَقيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[4]

هذين الشجرين في الامتلاء والنعمة والضخامة .

١– يقول : أنا كريم يروي نفسه أيام حياته بالخمر ، ستعلم إن متنا غداً أينـــا العطشان ، يريد أنه يموت ريان وعاذله يموت عطشان .

٢– النحام : الحريص على الجمع والمنع . الغوي : الغاوي الضال ، والغي والغواية الضلالة ، وقد غوى يغوي .
يقول : لا فرق بين البخيل والجواد بعد الوفاة فلم أبخل بأعلاقي ، فقال : أرى قبر البخيل والحريص بماله كقبر الضال في بطالته المفسد بماله .

٣– الجثوة : الكومة من التراب وغيره ، والجمـــع الجثى . التنضيد : مبالغة النضد .
يقول : أرى قبري البخيل والجواد كومتين من التراب عليهما حجارة عراض صلاب فيما بين قبور عليها حجارة عراض قد نضدت .

٤– الاعتيام : الاختيـــار . العقائل : كرائم المال والنساء ، الواحدة عقيلة . الفاحش : البخيل .
يقول : أرى الموت يختار الكرام بالإفناء ، ويصطفي كريمة مـــال البخيل المتشدد بالإبقاء . وقيل : بل معناه أن الموت يعم الأجواد والبلاء فيصطفي الكرام و كرائم اموال البخلاء ؛ يريد أنه لا تخلص منه لواحد من الصنفين ، فلا يجدي البخل على صاحبه بخير فالجود أحرى لأنه احمد .

أرَى العيشَ كنزاً ناقِصاً كلّ ليلةٍ — وَما تَنْقُصِ الأَيْامُ وَالدّهرُ يَنفَدِ [1]

لَعمرُكَ إنّ الموْتَ ما أخطأَ الفتى — لكالطِّوَلِ المُرْخى وَثِنْياهُ باليَدِ [2]

فما لي أرَاني وَابنَ عَمّيَ مالِكاً — مَتى أَدْنُ مِنْهُ يَنأ عني وَيَبْعُدِ [3]

١– شبه البقاء بكنز ينقص كل ليلة وما لا يزال ينقص فإن مآله الى النفـــاد ، فقال : ومـــا تنقصه الأيام والدهر ينفد لا محالة فكذلك العيش صائر إلى النفاد لا محالة ؛ والنفاد والنفود الفناء ، والفعل نفد ينفد ، والإنفاد الإفناء.

٢– العَمر والعُمر بمعنى ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين . قوله : ما أخطأ الفتى ، فما مع الفعل هنا بمنزلة مصدر حل محل الزمان ، نحو قولهم : اتيك خفوق النجم ومقدم الحاج أي وقت خفوق النجم ووقت مقـدم الحاج ، الطول : الحبل الذي يطول للدابة فترعى فيه . الإرخاء : الإرسال . الثني. الطرف ، والجمع الأثناء .

يقول : أقسم بحياتك أن الموت في مدة إخطائه الفتى ، أي مجاوزته إياه ، بمنزلة حبل طول للدابة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه ، يريد انه لا يتخلص منه كما أن الدابة لا تفلت ما دام صاحبها اخذاً بطرفي طولها ، لمـــا جعل الموت بمنزلة صاحب الدابة التي أرخى طولها ، قال : متى شاء الموت قـاد الفتى لهلاكه ومن كان في حبل الموت انقاد لقوده .

٣– النأي والبعد واحد فجمع بينهما للتأكيد وإثبات القافية ، كقول الشاعر :

وهند أتى من دونها النأي والبعد

يقول : فما لي أراني وابن عمي متى تقربت منه تباعـــد عني ؟ يستغرب هجرانه إياه مع تقربه منه .

يَلُومُ وَمَا أدري عَلامَ يلُومُني	كما لامني في الحيّ قُرْطُ بن مَعبدِ [1]
وَأيْأَسني مِنْ كلّ خَيرٍ طَلَبْتُهُ	كَأَنّا وَضَعْناهُ إلى رَمْسِ مُلْحَدِ [2]
على غَيرِ شَيءٍ قُلْتُهُ غيرَ أنني	نشَدْتُ فلم أُغفِلْ حَمولَةَ مَعبَدِ [3]
وَقرّبتُ بالقُرْبى وَجَدِّكَ إنني	متى يَكُ أمرٌ للنّكيثَةِ أشهَدِ [4]

١- يلومني مالك وما ادري ما السبب الداعي الى لومه إياي كما لامني هـــذا الرجل في القبيلة ، يريـــد ان لومه إياه ظلم صراح كما كان لوم قرط إياه كذلك .

٢- الرمس : القبر وأصله الدفن . ألحدت الرجل : جعلت له لحداً .
يقول : قنطني مالك من كل خير رجوته منه حتى كأنا وضعنا ذلك الطلب الى قبر رجل مدفون في اللحد ، يريد أنه ايسه من كل خير طلبه كما أن الميت لا يرجى خيره .

٣- النشدان : طلب المفقود . الإغفال : الترك . الحمولة : الإبل التي تطيق أن يحمل عليها . معبـــد : أخوه . يقول : يلومني على غير شيء قلته وجناية جنيتها ولكنني طلبت إبل أخي ولم أتركها فنقم ذلك مني وجعل يلومني ، وقوله : غير أنني ، استثناء منقطع تقديره ولكنني .

٤- القربى : جمع قربة ، وقيل هو اسم من القرب والقرابة ، وهو أصح القولين. النكيثة : المبالغة في الجهد وأقصى الطاقة ، يقال : بلغت نكيثة البعير أي أقصى ما يطيق من السير .
يقول : وقربت نفسي بالقرابة التي ضمنا حبلهـــا ونظمنا خيطها ، وأقسم بحظك وبخطتك أنه متى حدث له أمر يبلـــغ فيه غاية الطاقة ويبذل فيه المجهود أحضره وأنصره .

وَإنْ أُدْعَ للجُلّى أَكُنْ من حُماتها وَإنْ يأْتِكَ الأعداءُ بالجَهدِ أَجْهَدِ [1]

وَإن يقذِفوا بالقذعِ عِرْضَكَ أَسقهِمْ بكأْسِ حِياضِ الموتِ قبلَ التهدّدِ [2]

بِلا حَدَثٍ أَحْدَثْتُهُ وكَمُحدَثٍ هجائي وقَذفي بالشَّكاةِ ومُطرَدي [3]

١ــ الجلى : تأنيث الأجل ، وهي الخطة العظيمة ، والجلاء بفتح الجيم والمد لغة فيها . الحماة : جمع الحامي من الحماية .

يقول : وإن دعوتني للأمر العظيم والخطب الجسيم أكن من الذين يحمون حريمك ، وإن يأتك الأعداء لقتالك أجهد في دفعهم عنك غاية الجهد ، والباء في قوله بالجهد زائدة .

٢ــ القذع : الفحش . العرض : موضع المدح والذم من الإنسان ؛ قاله ابن دريد ، وقد يفسر بالحسب ، والعرض النفس ، ومنه قول حسان :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

أي نفسي فداء ، والعرض : العرق وموضع العرق ، والجمع الاعراض في جميع الوجوه . التهدد والتهديد : واحد . القذف : السب .

يقول : وإن أساء الأعداء القول فيك وأفحشوا الكلام أوردتهم حياض الموت قبل أن أهددهم ؛ يريد أنه يبيدهم قبل تهديدهم أي لا يشتغل بتهديدهم بإهلاكهم ؛ ومن روى بشرب فهو النصيب من الماء ، والشرب ، بضم الشين ، مصدر شرب ؛ يريد أسقهم شرب حياض الموت ، فالباء زائدة والمصدر بمعنى المفعول والإضافة بتقدير من .

٣ــ يقول : أجفى وأهجر وأضام من من غير حدث إساءة أحدثته ، ثم أهجى وأشكى وأطرد كما يهجى من احدث إساءة وجر جريرة وجنى جناية

فَلَوْ كانَ مَوْلايَ امْرءاً هُوَ غيرَهُ لَفرَّجَ كَرْبي أوْ لأَنْظَرَني غدي [1]
وَلَكِنَّ مَوْلايَ امْرُؤٌ هُوَ خانقي على الشُّكْرِ وَالتَّسْآلِ أوْ أنا مُفتَدِ [2]
وَظُلْمُ ذَوِي القرْبى أَشَدُّ مَضاضَةً على المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ [3]
فَذَرْني وَخُلْقي، إنّني لكَ شاكرٌ وَلَوْ حلَّ بَيْتي نائياً عندَ ضَرْغَدِ [4]

ويشكى ويطرد ، والشكاية والشكوى والشكية والشكاة واحد ؛ والمطرد بمعنى الاطراد ، وأطردته صيرته طريداً .

١ — يقول : فلو كان ابن عمي غير مالك لفرج كربي أو لأمهلني زماناً . فرجت الأمر : كشفته ، والفرج انكشاف المكروه . كربه الغم : اذا ملأ صدره ، والكربة اسم منه ، والجمع كرب . الإنظار : الإمهال ، والنظرة اسم بمعنى الإنظار .

٢ — خنقت الرجل خنقاً : عصرت حلقه . التسآل : السؤال .
يقول : ولكن ابن عمي رجل يضيق الأمر علي حتى كأنه يأخذ علي متنفسي على حال شكري إياه وسؤالي عوارفه وعفوه أو كنت في حال افتدائي نفسي منه . يقول : هو لا يزال يضيق الأمر علي سواء شكرته على آلامه او سألته بره وعطفه او طلبت تخليص نفسي منه .

٣ — مضني الأمر وأمضني : بلغ من قلبي وأثر في نفسي تهييج الحزن والغضب . يقول : ظلم الأقارب أشد تأثيراً في تهييج نار الحزن والغضب من وقع السيف القاطع المحدد او المقطوع بالهند . الحسام : فعال من الحسم وهو القطع .

٤ — ضرغد : جبل .
يقول : خل بيني وبين خلقي وكلني الى سجيتي فإني شاكر لك وان بعدت

فلوْ شاءَ رَبي كنتُ قيسَ بنَ خالِدٍ ... وَلوْ شاءَ رَبي كنتُ عمرَو بنَ مرْثَدِ [1]

فأصْبَحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وَزارَني ... بَنُونَ كرامٌ سادَةٌ لمُسَوَّدِ [2]

أنا الرّجلُ الضّرْبُ الذي تَعرِفُونَه ... خَشاشٌ كرَأْسِ الحَيّةِ المُتَوَقّدِ [3]

فآلَيْتُ لا يَنفَكّ كشْحي بطانَةً ... لِعَضْبٍ رَقيقِ الشّفرَتَينِ مُهَنّدِ [4]

غاية البعد حتى ينزل عند هـذا الجبل الذي سمي بضرغد ، وبينهم وبين ضرغد مسافة بعيدة وشقة شاقة وبينونة بليغة .

١– هذان سيدان من سادات العرب مذكوران بوفور المال ونجابة الأولاد ، وشرف النسب وعظم الحسب .
يقول : لو شاء الله بلغني منزلتها وقدرهما .

٢– يقول : فصرت حينئذ صاحب مال كثير وزارني بنون موصوفون بالكرم والسؤدد لرجل مسود يعني به نفسه ، والتسويد مصدر سودته فساد .
يقول : لو بلغني الله منزلتهما لصرت وافر المال ، كريم العقب ، وهو الولد

٣– الضرب : الرجل الخفيف اللحم .
يقول : انا الضرب الذي عرفتموه ، والعرب تتمدح بخفة اللحم لأن كثرته داعية الى الكسل والثقل وهما يمنعان من الإسراع في دفع الملمات وكشف المهمات ؛ ثم قال : وأنا دخال في الأمور بخفة وسرعة ؛ شبه تيقظه وذكاء ذهنه بسرعة حركة رأس الحية وشدة توقده .

٤– لا ينفك : لا يزال ، وما انفك ما زال . البطانة : نقيض الظهارة . العضب : السيف القاطع . شفرتا السيف : حداه ، والجمع الشفرات والشفار .
يقول : ولقد حلفت أن لا يزال كشحي لسيف قاطع رقيق الحدين طبعته

حسام إذا ما قمتُ منتصراً بهِ كفى العودَ منهُ البدءُ ليسَ بمعضَدِ[1]

أخي ثِقَةٍ لا ينثني عَنْ ضريبَةٍ إذا قيلَ مَهْلاً قالَ حاجزُه قَدي[2]

إذا ابْتَدَرَ القَوْمُ السّلاحَ وَجدْتَني مَنيعاً إذا بَلّتْ بقائِمِهِ يَدي[3]

الهند بمنزلة البطانة للظهارة .

١ـ الانتصار : الانتقام . المعضد : سيف يقطع به الشجر ، والعضد قطع الشجر والفعل عضد يعضد .
يقول : لا يزال كشحي بطانة لسيف قاطع اذا ما قمت منتقماً به من الاعداء كفى الضربة الاولى به الضربة الثانية فيغني البدء عن العود ، وليس سيفاً يقطع به الشجر ، نفى ذلك لأنه من أردإ السيوف .

٢ـ أخي ثقة : يوثق به ، أي صاحب ثقة . الثني : الصرف ، والفعل ثنى يثني والانثناء الانصراف . الضريبة ما يضرب بالسيف ، والرمية : ما يرمى بالسهم ، والجمع الضرائب والرمايا . مهلاً : اي كف . قدي وقدني : أي حسبي ، وقد جمعهما الراجز في قوله :

قدني من تصرم الحبيبين قدى

يقول : هذا السيف سيف يوثق بمضائه كالأخ الذي يوثق بإخائه ، لا ينصرف عن ضريبة أي لا ينبو عما ضرب به ، إذا قيل لصاحبه كف عن ضرب عدوك قال مانع السيف وهو صاحبه : حسبي فإني قد بلغت ما أردت من قتل عدوي ، يريد أنه ماض لا ينبو عن الضرائب فإذا ضرب به صاحبه أغنته الضربة الأولى عن غيرها .

٣ـ ابتدر القوم السلاح : استبقوه . المنيع : الذي لا يقهر ولا يغلب . بل

وَبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أَثارَتْ مَخافَتي بَوَادِيَها ، أَمْشي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ[1]
فَمَرَّتْ كَهاةٌ ذاتُ خَيْفٍ جُلالَةٌ عَقيلَةُ شَيْخٍ كالوَبيلِ يَلَنْدَدِ[2]
يَقولُ وَقَدْ تَرَّ الوَظيفُ وَسَاقُها: أَلَسْتَ تَرَى أَنْ قَدْ أَتَيْتَ بِمُؤيِدِ[3]

بالشيء يبل به بلا إذا ظفر به . يقول : اذا استبق القوم أسلحتهم وجدتني منيعاً لا أقهر ولا أغلب إذا ظفرت يدي بقائم هذا السيف .

١– البرك : الإبل الكثيرة الباركة . الهجود : جمع هاجد وهو النائم ، وقد هجد يهجد هجوداً . مخافتي : مصدر مضاف الى المفعول . بواديها : أوائلها وسوابقها .
يقول : ورب إبل كثيرة باركة قد أثارتها عن مباركها مخافتها إياي في حال مشي مع سيف قاطع مسلول من غمده ؛ يريد انه أراد أن ينحر بعيراً منها فنفرت منه لتعودها ذلك منه .

٢– الكهاة والجلالة : الناقة الضخمة السمينة . الخيف : جلد الضرع ، وجمعه أخياف . العقيلة : كريمة المال والنساء ، والجمع العقائل . الوبيل : العصا الضخمة . اليلندد والألندد والألد : الشديد الخصومة ، وقد لد الرجل يلد لدداً صار شديد الخصومة ، وقد لددته ألده لداً غلبته بالخصومة .
يقول : فمرت بي في حال إثارة مخافتي إياها ناقة ضخمة لها جلد الضرع وهي كريمة مال شيخ قد يبس جلده ونحل جسمه من الكبر حتى صار كالعصا الضخمة يبساً ونحولاً وهو شديد الخصومة ؛ قيل : أراد به أباه ، يريد أنه نحر كرائم مال أبيه لندمائه ، وقيل : بل أراد غيره ممن يغير هو على ماله ، والقول الأول أحراهما بالصواب .

٣– تر : أي سقط . المؤيد : الداهية العظيمة الشديدة .

وقالَ : ألا ماذا تَرَوْنَ بشاربٍ شَديدٍ عَلَيْنا بَغْيُهُ مُتَعَمِّدِ[1]

وقالَ : ذَرُوهُ إنّما نَفْعُها لَهُ والّا تكُفُّوا قاصيَ البَرْكِ يَزْدَدِ[2]

فَظَلّ الإماءُ يَمتَلِلْنَ حُوارَها ويُسعَى عَلَيْنا بالسّديفِ المُسَرْهَدِ[3]

يقول : قال هذا الشيخ في حال عقري هذه الناقة الكريمة وسقوط وظيفها وساقها عند ضربي إياها بالسيف : ألم تر أنك أتيت بداهية شديدة بعقرك مثل هذه الناقة الكريمة النجيبة ؟

١- يقول : قال هذا الشيخ للحاضرين : أي شيء ترون أن يفعل بشارب خمر اشتد بغيه علينا عن تعمد وقصد ؟ يريد انه استشار أصحابه في شأني وقال: ماذا نحتال في دفع هذا الشارب الذي يشرب الخمر ويبغي علتنا بعقر كرائم أموالنا ونحرها متعمداً قاصداً ؟ والباء في قوله بشارب صلة محذوف تقديره أن يفعل نحوه .

٢- ذروه : دعوه ، والماضي منهما غير مستعمل عند جمهور الأئمة اجتزاء بترك منهما وكذلك اسم الفاعل والمفعول لاجتزائهم بالتارك والمتروك . الكف : المنع والامتناع ، كفه فكف ، والمضارع منهما يكف .
يقول : ثم استقر رأي الشيخ على ان قال دعوا طرفة إنما نفع هذه الناقة له . أو أراد إنما نفع هذه الإبل له لأنه ولدي الذي يرثني وإلا تردوا وتمنعوا ما بعد هذه الإبل من الندود يزدد طرفة من عقرها ونحرها ، أراد أنه أمرهم برد ما ند لئلا أعقر غير ما عقرت .

٣- الإماء : جمع أمة . الامتلال والملل : جعل الشيء في الملة وهي الجمر والرماد الحار . الحوار للناقة بمنزلة الولد للانسان يعم الذكر والأنثى . السديف : السنام ، وقيل قطع السنام . والمسرهد : المربى ، والفعل سرهد يسرهد

فإنْ مُتّ فانعيني بما انا أهلُهُ ... وشُقّي عليّ الجَيْبَ يا ابنةَ معبَدِ[1]
ولا تجعَليني كامرىءٍ لَيْسَ هَمُّهُ ... كهَمّي ولا يُغني غنَائي ومَشهدي[2]
بَطيءٍ عَنِ الجُلّي سَريعٍ الى الخنا ... ذَلولٍ بأجماعِ الرّجالِ مُلَهَّدِ[3]

سرهدة .

يقول : فظل الإماء يشوين الولد الذي خرج من بطنها تحت الجمر والرماد الحار ويسعى الخدم علينا بقطع سنامها المقطع ، يريد انهم أكلوا أطايبها وأباحوا غيرها للخدم ، وذكر الحوار دال على أنها كانت حبلى ، وهي من أنفس الإبل عندهم .

١- لما فرغ من تعداد مفاخره أوصى ابنة أخيه ، ومعبد أخوه ، فقال : إذا هلكت فأشيعي خبر هلاكي بثنائي الذي استحقه وأستوجبه ، وشقي جيبك عليّ ؛ يوصيها بالثناء عليه والبكاء . النعي : إشاعة خبر الموت ، والفعل نعى ينعي . أهله أي مستحقه ، كقوله تعالى : « وكانوا أحق بها وأهلها » .

٢- يقول : ولا تسوي بيني وبين رجل لا يكون همه مطلب المعالي كهمي ، ولا يكفي المهم والملم كفايتي ، ولا يشهد الوقائع مشهدي ، والهم أصله القصد ، يقال : هم بكذا أي قصد له ، ثم يجعل الهم والهمة اسماً لداعية النفس الى العلى . الغناء : الكفاية . المشهد في البيت بمعنى الشهود وهو الحضور ، أي ولا يغني غناء مثل غنائي ولا يشهد الوقائع شهود مثل شهودي .
يقول : لا تعدلي بي من لا يساويني في هذه الخلال فتجعلي الثناء عليه كالثناء علي والبكاء علي كالبكاء عليه .

٣- البطء : ضد العجلة ، والفعل بطؤ يبطأ . الجلى : الأمر العظيم . الخنا : الفحش . جمع الكف ، يقال : ضربه بجمع كفه اذا ضربه بها مجموعة ،

فلَوْ كنْتُ وَغلاً في الرّجالِ لَضرَّني عَداوَةُ ذي الاصحابِ وَالمُتوَحّد[1]

وَلكِنْ نفَى عني الرّجالَ جَراءتي عَليهِم وَاقدامي وَصِدقي ومحْتَدِ[2]

لَعَمْرُكَ ما أَمري عَليّ بغُمّةٍ نهاري وَلا لَيلي عَليّ بسَرْمَدِ[3]

والجمع الأجماع . التلهيد : مبالغة اللهد وهو الدفع بجمع الكف ، يقال : لهده يلهده لهداً . والبيت كله من صفة من ينهي ابنة أخيه ان تعـدل غيره به .

يقول: ولا تجعليني كرجل يبطأ عن الأمر العظيم ويسرع الى الفحش و كثيراً ما يدفعه الرجال بأجماع أكفهم فقد ذل غاية الذل .

١ـ الوغل : أصله الضعيف ثم يستعار للئيم .

يقول : لو كنت ضعيفاً من الرجال لضرتني معاداة ذي الأتباع والمنفرد الذي لا أتبـاع له إياي ، ولكنني قوي منيـع لا تضرني معاداتها إياي ، ويروى وغداً ، وهو اللئيم .

٢ـ الجرأة والجراءة واحد ، والفعل جرؤ يجرؤ ، والنعت جريء ، وقد جرأه على كذا أي شجعه . المحتد : الأصل .

يقول : ولكن نفى عني مباراة الرجـال ومجاراتهم شجاعتي وإقدامي في الحروب وصدق صريمتي و كرم أصلي .

٣ـ الغمة والغم واحد ، وأصل الغم التغطية ، والفم غم يغم ، ومنه الغمام لأنه يغم السماء أي يغطيهـا ، ومنه الأغم والغماء ، لأن كثرة الشعر تغطي الجبين والقفا .

يقول : أقسم ببقائك مـا يغم أمري رأيي ، أي ما تغطي الهموم رأيي في نهاري ، ولا يطول علي ليلي حتى كأنه صار دائماً سرمداً ؛ وتلخيص المعنى

وَيَوْمٍ حَبَسْتُ النَّفسَ عندَ عِراكِهِ ... حِفاظاً على عورَاتِهِ وَالتَّهدُّدِ[1]
على مَوْطِنٍ يخشَى الفتى عندَهُ الرَّدى ... متى تَعْتَرِكْ فيهِ الفَرائصُ تُرْعَدِ[2]
وَأصفرَ مَضْبوحٍ نظَرْتُ حِوارَهُ ... على النارِ واستَوْدعتُه كفَّ مُجْمِدِ[3]

أنه تمدح بمضـــاء الصريمة وذكاء العزيمة . يقول : لا تغمني النوائب فيطول ليلي ويظلم نهاري .

١- العراك والمعاركة : القتال ، وأصلها من العرك وهو الدلك . الحفـــاظ : المحافظة على من تجب المحافظة عليه من حماية الحوذة والذب عن الحريم ودفع الذم عن الأحساب .
يقول : ورب يوم حبست نفسي عن القتال والفزعات وتهدد الأقران محافظة على حسبي .

٢- الموطن : الموضع . الردى : الهلاك ، والفعـــل ردى يردي ، والإرداء الإهلاك . الاعتراك والتعارك واحـد . الفرائص : جمع فريصة وهي لحمة عند مجمع الكتف ترعد عند الفزع .
يقول حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الكريم هناك الهلاك ومتى تعترك الفرائص فيه أرعدت من فرط الفزع وهول المقام .

٣- ضبحت الشيء : قربته من النار حتى أثرت فيه ، أضبحه ضبحاً . الحوار والمحاورة : مراجعة الحديث ، وأصله من قولهم : حـــار يحور إذا رجع ؛ ومنه قول لبيد :
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ... يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
نظرت : أي انتظرت ، والنظر الانتظار ، ومنه قوله تعـالى : « انظرونا نقتبس من نوركم » . استودعته وأودعته واحد . المجمد : الذي لا يفوز ،

ستُبدي لكَ الايامُ ما كنتَ جاهلاً وَيَأتيكَ بالاخبارِ مَنْ لمْ تُزَوّدِ[1]
وَيَأتيكَ بالاخبارِ مَنْ لم تَبِعْ لَهُ بَتاتاً ولَمْ تَضرِبْ لهُ وقتَ مَوْعِدِ[2]

وأصله من الجمود .

يقول : ورب قدح أصفر قد قرب من النار حتى أثرت فيه ، وإنما فعل ذلك ليصلب ويصفر . انتظرت مراجعته أي انتظرت فوزه أو خيبته ونحن مجتمعون على النار له ، وأودعت القدح كف رجل معروف بالخيبة وقلة الفوز ، يفتخر بالميسر ، وإنما افتخرت العرب به لأنه لا يركن إليه إلا سمح جواد ، ثم كمل المفخرة بإبداع قدحه كف مجمد قليل الفوز .

١– يقول: ستطلعك الأيام على ما تغفل عنه وسينقل إليك الأخبار من لم تزوده.

٢– باع قد يكون بمعنى اشترى ، وهو في البيت بهذا المعنى . البتات : كساء المسافر وأداته . ولم تضرب له أي لم تبين له ، كقوله تعالى : « ضرب الله مثلاً » أي بين وأوضح .

يقول : سينقل اليك الأخبار من لم تشتر له متاع المسافر ولم تبين له وقتاً لنقل الأخبار إليك .

زُهَيرُ بْنُ أبي سُلْمى

شاعر الخير وداعية السلام
والناطق بالحكمة وفصل بالخطاب

نشأته

زهير بن ابي سلمى شاعر جــاهلي من المقدمين ... ولد على الارجح سنة ٥٣٠ ، ومات سنة ٦٢٧ .. لأن بني غطفان الذين كان زهير ينزل عندهم ، اسلموا سنة ٦٣٠ ، واسلم ابنه (بجير) في هــذا الوقت ايضاً ، ثم تبعه ابنه كعب بعد سنة ، وليس من المعقول ان تتقبل الاسلام (غطفان) ثم يتبعها ولداه واحد بعد الآخر ، ويظل زهير على وثنيته .. دون ان يذكر المؤرخون شيئاً من امره ، واذاً فلا بد انه مات قبل هذا بقليل .. ولهذا نرجح موته قبل سنة ٦٣٠ .. ومــات بعد ان شبع من الحياة إذ امتد به العمر حتى قارب المائة او كاد ..

وزهير بن ابي سلمى بن ربيعة بن رياح من بني (مزينة) ولكنه اقام عند بني غطفان لانه تزوج امرأة منهم ، كما يقال انه غادر قومه لخلاف وقع بينه وبينهم فتركهم ونزل في ارض غطفان في محل من نجد يقال له (الحاجز) ..

وزهير كطرفة يحيط بــه الشعر من جميع اطرافه ، فابوه من الشعراء ، وخاله مثله ، وزوج امه اوس بن حجر كان شاعراً ايضاً ، واختــاه سلمى

والخنساء شاعرتين ، وكان له ابنان شاعران هما بجير ، وكعب بن زهير ..

وكان ابن ابنه ايضاً المضرب بن كعب شاعراً وابن حفيده العوام بن المضرب شاعراً ، مما لم يجتمع لشاعر آخر مثله ، وكان خال ابيه (بشامة بن العذير) شاعراً معروفاً وسيداً ثرياً ، وكان مقعداً لا ولد له فاحب زهيراً واعتنى به ، واحبه زهير ايضاً وألفه ، فاتصل به ينشده من شعره ..

وكان (بشامة) رجلاً حازماً عاقلاً اذا ارادت غطفان امراً أتت اليه تستشيره ولا تصدر إلا عن رأيه ..

ولقد اشتهر زهير بانه من هؤلاء الذين يعنون بشعرهم ويعيدون النظر فيه ، حتى لتظل القصيدة موضع نظره سنة كاملة ، ولهذه سميت قصائده بالحوليات اي التي يمر عليها الحول .·. اي العام .. ولم يفعل هذا غيره من شعراء الجاهلية ..

وكذلك خصّ زهير (هرم بن سنان) وهو سيد كريم محب للسلام باكثر مدائحه ، وكان هذا يغدق عليه من كرمه ما يشاء ، حتى روى ان (هرما) حلف ان لا يمدحه زهير إلا اعطاه ، ولا يسأله إلا اعطاه ، ولا يسلم عليه إلا اعطاه ... عبداً او وليدة او فرسا ..

فاستحيا الشاعر ، واخذ يتهرب من هرم اذا شاهده في مجلس من المجالس ، وكان اذا رآه في ملأ او بين جماعة قال :

— عموا صباحاً غير هرم .. وخيركم استثنيت ..

وكما مدح زهير هرما مدح ايضاً الحرث بن عوف في معلقته التي نظمها لسعيها في الصلح بين عبس وذبيان .. اثر سباق داحس والغبراء ..

واختصاصه بمدح شخص واحد من خصائصه دون غيره من شعراء الجاهلية ممن كانوا في مثل حاله ..

الديوان والشعر

ولزهير ديوان شرح مرات ، وقد طبع شرح الاعلم الشنتمرى (١٠٨٣) في ليدن سنة ١٨٨٨ ، ثم في مصر ، واول من نشر الديوان (وليم بن الورد) في

مجموعته « كتاب العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين » سنة ١٨٧٠ ميلادية ..

واشهر ما في ديوانه المعلقة :

أمن امّ أوفى دمنةٌ لم تكَلَّمِ   بحوماته الدّراج فالمتثلم [١]

وميمية أخرى مطلعها :

قف بالديار التي لم يعفها القدم   بلى وغيّرها الارواح والدّيم

وقافية مطلعها :

ان الخليط اجدّ البين فانفرقا   وعلّق القلب من اسماء ما علقا

وكافية :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا   وزودوك اشتياقاً أيّة سلكوا

والمعلقة مؤلفة من ٦٤ بيتاً ، وقد نظمها الشاعر بعد انتهاء الحرب بين عبس وذبيان ، فمدح المصلحين ودعا المتخاصمين للكف عن الاحقاد وسفك الدماء ، والأخذ بمكارم الأخلاق ..

من دراسة حياة الشاعر ، والتمعن في قصائده وشعره ، يحس المرء انه امام حكيم اكثر منه امام اي انسان آخر ..

فزهير رجل مستقيم مخلص محب للسلام ، ميال للوعظ والارشاد ، ودعوة الناس الى الخير والصلاح .. يغلب عقله على عواطفه ، ويقضي بما يراه انه الحق ولا شيء غير الحق ..

وتراه في دعوته الاصلاحية هذه واضحاً جلياً لا غامضاً ولا معقداً ، بل انك لتلمس هذا الوضوح في معلقته ، لانها بالتأكيد من اكثر الشعر القديم منطقاً

---

١ — انظر الشرح في المعلقة .

وترتيباً وعظة وايجازاً وصدقاً ..

كان رجلاً محباً للخير والسلم .. وكان محباً مقدّراً لكل من عمل للخير والسلم .. بل انه لم يمدح إلا رجالاً عملوا لهذين الامرين ، وهو الى هذا ايضاً شاعر الحكمة ، وقد اكسبته حياته الطويلة الكثير من التجارب فعرك الحياة وعركته ، وعرف الناس على اختلاف اهوائهم وعاداتهم واخلاقهم ، فكان ان اكتسب من الخبرة ، وصدق الحكم على الاشياء ما جعله من كبار المنادين بالاصلاح والخير في حياته ، وممن ارسلوا الدعوة الى هذا الاصلاح صوتاً عالياً في شعرهم وقصيدهم ..

خذ مثلا هذا البيت وفيه ما فيه من حكمة القاضي والعدل والانصاف :

وان الحق مقطعه ثلاث يمين او نفار او جلاء [1]

ثم اسمع الى هذا البيت الصادق في المدح والتقدير :

اثني عليك بما علمت وما سلّفت في النجدات والذكر [2]

واسمعه يندّد بقومه وينصحهم بعدم العودة للحرب :

ألا أبلغ الاحلاف عني رسالة وذبيان ، هل اقسمتم كلّ مقسم
فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفي ، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدّخر ليوم حساب او يعجل فينقم

---

١ — ومعنى هذا البيت ان اقرار الحق يرجع لثلاث خصال يجري فيها الحكم وينفذ ... اولها اليمين .. ثم النفار : اي الاحتكام الى رجل يحكم بين المتخاصمين .. او الجلاء : وهو ان ينكشف الامر وينجلي الحق فتعرف حقيقته ويحكم لصاحبه دون خصام ولا يمين ولا نفار ..

٢ — اي اني امتدحك بما لمسته من جودك وشاهدته من كرمك ، وما قدمت وأسلفت من اعمال طيبات ..

هذه الابيات تدل على ان زهيراً قـــد اتصل ببعض اهل الكتاب ، من نصارى ويهود .. فهذه الاراء ليست من الوثنية في كثير ولا قليل .. وامـــا القول بمسيحيته فلا يؤيده اثر تاريخي ولا مصدر من مصادر القدامى ، والادعاء بانه كذلك لذكره شيئاً من معتقدات اهل الكتاب لايدل على ايمانه وانما يدل على اتصاله بهم ، كما كان اهل مكة يتصلون باليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون في مكة نفسها وهم وثنيون ، وكما كان كذلك حال اهل المدينة الوثنيين الذين كان لليهودية شأن وخطر فيها قبل الاسلام وعند ظهوره ..

واخيراً هذا هو زهير بن سلمى الشاعر والقاضي ، حكم بين الناس ودعا الى الاخلاق الكريمة والسلام الدائم في وقت كان فيه عرب الجاهلية لا يعرفون غير الغزو والقتال ..

وجلس مجلس القضاء يدعو للخير ، كما جلس النابغة يقضي بين الشعراء في سوق عكاظ ..

وكان في حياته صادقاً وصريحاً وشريفاً يقدّر الفضيلة ويمقت الرذيلة ، ويدعو للخير في شعره وعمله ..

وليس يختلف شعره عن شعر غيره من الجاهليين الا في هـــذه النواحي التي ذكرناها ، واما في مذاهب الشعر ، ووصف الناقة والديار البوالي .. والفرس وحمار الوحش وغيرها ، فهو مثلهم من حيث الوصف نفسه ، ولكنه يفضلهم من حيث انه كان ادقّ منهم في وصفه ، واحكم في التصوير والتحديد والعنـاية بالجزئيات عنايته بالكليات ..

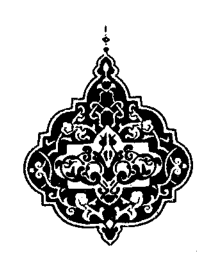
واخيراً ما الرأى بهذا البيت :

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرّس بانياب ويوطأ بمنسم

ومعناه ان الذي لا يصانع الناس ويداريهم ويسكت عن بعض نقائصهم يتعب ويتعرض للمكروه والشر ..

اليس يشبه هـــذا البيت ابياتاً من هذا النوع لبشار بن برد .. الشاعر المعروف في اول العهد العباسي ؟

لقد كان زهير شاعراً بعيد النظر غواصاً على المعـــاني السامية والنصائح الغالية .. فتفرد دون غيره من الشعراء بهذا اللون ، ودان له الجميـع من قديم وجديد ..



معلقـــة زهــــير

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ   بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ [1]
وَدَارٌ لها بالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهـــا   مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ [2]

١ــ الدمنة : ما اسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما ، والجمع الدمن ، والدمنة الحقد ، والدمنة السرجين . وهي في البيت بمعنى الأول . حومانة الدراج والمتثلم : موضوعان . وقوله : أمن أم أوفى ، يعني أمن منازل الحبيبة المكناة بأم أوفى دمنة لا تجيب ؟ وقوله : لم تكلم ، جزم بلم ثم حرك الميم بالكسر لأن الساكن إذا حرك كان الأحرى تحريكه بالكسر ولم يكن بد ههنا من تحريكه ليستقيم الوزن ويثبت السجع ثم أشبعت الكسرة بالإطلاق لأن القصيدة مطلقة القوافي . يقول : أمن منازل الحبيبة المكناة بأم أوفى دمنة لا تجيب سؤالهـــا بهذين الموضعين ؟ أخرج الكلام في معرض الشك ليدل بذلك على أنه لبعد عهده لدمنة وفرط تغيرها لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق .

٢ــ الرقمتان : حرتان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى قريبة من المدينة . المراجيع : جمع المرجوع ، من قولهم : رجعه رجعاً ، أراد الوشم المجدد والمردد . نواشر المعصم :عروقه ، الواحد : ناشر ، وقيل ناشرة . والمعصم : موضع السوار من اليد ، والجمع المعاصم .

بها العَينُ وَالارْآمُ يَمشِينَ خِلْفَةً وَأَطلاؤها يَنْهَضْنَ مِنْ كلِّ مَجْثَمِ [1]

يقول : أمن منازلها دار بالرقمتين ؟ يريد أنها تحل الموضعين عند الانتجاع ولم يرد أنها تسكنهما جميعاً لأن بينهما مسافة بعيدة ، ثم شبه رسوم دارها بهما بوشم في المعصم قد ردد وجدد بعد امحائه ، شبه رسوم الدار عند تجديد السيول إياها بكشف التراب عنها بتجديد الوشم ؛ وتلخيص المعنى : انه أخرج الكلام في معرض الشك في هذه الدار أهي لها أم لا ، ثم شبه رسومها بالوشم المجدد في المعصم ؛ وقوله : ودار لها بالرقمتين ، يريد : وداران لها بهما ، فاجتزأ بالواحد عن التثنية لزوال اللبس إذ لا ريب في أن الدار الواحدة لا تكون قريبة من البصرة والمدينة ؛ وقوله : كأنها ، أراد كأن رسومها وأطلالها ، فحذف المضاف .

١ — قوله : بها العين ، أي البقرة العين ، فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه ، والعين : الواسعات العيون ، والعين سعة العين . الأرآم : جمع رئم وهو الظبي الأبيض خالص البياض . وقوله : خلفة ، أي يخلف بعضها بعضاً إذا مضى قطيع منها جاء قطيع آخر ، ومنه قوله تعالى (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) يريد أن كلا منهما يخلف صاحبه ، فإذا ذهب النهار جاء الليل ، وإذا ذهب الليل جاء النهار . الأطلاء : جمع الطلا وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية ويستعار لولد الإنسان ويكون هذا الاسم للولد من حين ولد إلى شهر أو أكثر منه . الجثوم للناس والطير والوحوش بمنزلة البروك للبعير ، والفعل جثم يجثم ، والمجثم : موضوع الجثوم ، والمجثم الجثوم ، فالمفعل من باب فعل يفعل ، إذا كان مفتوح العين كان مصدراً وإذا كان مكسور العين كان موضعاً ، المضرب بالفتح والمضرب بالكسر .

يقول : بهذه الدار بقر وحش واسعات العيون وظباء بيض يمشين بها مخالفات بعضها بعضاً وتنهض أولادها من مرابضها لترضعها أمهاتها .

وَقَفْتُ بها مِنْ بعدِ عشرينَ حِجَّةً ... فلأياً عَرَفْتُ الدّارَ بعدَ تَوَهُّمِ [1]

أَثافيَّ سُفْعاً في مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ... وَنُؤياً كَجِذْمِ الحَوْضِ لم يتثلَّمِ [2]

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدّارَ قُلْتُ لِرَبْعِها ... ألا انْعِمْ صَبَاحاً أيّها الرَّبعُ وَاسْلَمِ [3]

١ـ الحجة : السنة ، الجمع الحجج اللأي : الجهد والمشقة .

يقول : وقفت بدار أم أوفى بعد مضي عشرين سنة من بينها وعرفت دارها بعد التوهم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة ، يريد أنه لم يثبتها إلا بعد جهد ومشقة لبعد العهد بها ودروس أعلامها .

٢ـ الأثافية : جمعها الأثافي بتثقيل الياء وتخفيفها ، وهي حجارة توضع القدر عليها ، ثم إن كان من الحديد سمي منصباً ، والجمع المناصب ، ولا يسمى أثفية . السفع : السود ، والأسفع مثل الأسود ، والسفاع مثل السواد . المعرّس : أصله المنزل ، من التعريس وهو النزول في وقت السحر ، ثم استعير للمكان الذي تنصب فيه القدر . المرجل : القدر عند ثعلب من أي صنف من الجواهر كانت . النؤي : نهير يحفر حول البيت ليجري فيه الماء الذي ينصب من البيت عند المطر ولا يدخل البيت ، والجمع الآناء . الجذم : الأصل ، ويروى : كحوض الجد ، والجد : البئر القريبة من الكلإ ، وقيل بل هي البئر القديمة .

يقول : عرفت حجارة سوداً تنصب عليها القدر ، وعرفت نهيراً كان حول بيت أم أوفى بقي غير متثلم كأنه حوض ؛ نصب أثافي على البدل من الدار في قوله عرفت الدار ، يريد أن هذه الأشياء دلته على أنها دار أم أوفى .

٣ـ كانت العرب تقول في تحيتها : أنعم صباحاً أي نعمت صباحاً ، أي طاب عيشك في صباحك ، من النعمة وهي طيب العيش ، وخص الصباح بهذا الدعاء لأن الغارات والكرائه تقع صباحاً ، وفيها أربع لغات : أنعم

تَبَصَّرْ خليلي هلْ تَرَى من ظَعائِنٍ تَحَمَّلْنَ بالعَلياءِ من فَوْقِ جُرْثُمِ [1]
جَعَلْنَ ٱلْقنَانَ عن يَمينٍ وَحَزْنَهُ وكَمْ بالقَنانِ من مُحِلٍّ وَمُحرِمِ [2]

صباحاً ، بفتح العين ، من نعم ينعم مثل علم يعلم . والثانية أنعم ، بكسر العين ، من نعم ينعم ، مثل حسب يحسب ، ولم يأت على فعِل يفعِل من الصحيح غيرهما ، وقد ذكر سيبويه أن بعض العرب أنشده قول امرىء القيس :

ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي ؟

بكسر العين من ينعم . والثالثة عم صباحاً من وعم يعم مثل وضع يضع ، والرابعة عم صباحاً من وَعَم يَعِم مثل وعد يعد .

يقول : وقفت بدار أم أوفى فقلت لدارها محيياً إياها وداعياً لها : طاب عيشك في صباحك وسلمت .

١ــ الظعائن : جمع ظعينة ، لأنها تظعن مع زوجها ، من الظعن وهو الارتحال . بالعلياء أي بالأرض العلياء أي المرتفعة . جرثم : ماء بعينه .

يقول : فقلت لخليلي : أنظر يا خليلي هل ترى بالأرض العالية من فوق هذا الماء نساء في هوادج على إبل ؟ يريد أن الوجد برح به والصبابة ألحت عليه حتى ظن المحال لفرط وله ، لأن كونهن بحيث يراهن خليله بعد مضي عشرين سنة محال . التبصر : النظر . التحمل : الترحل .

٢ــ القنان : جبل لبني أسد . عن يمين : يريد الظعائن . الحزن : ما غلظ من الأرض وكان مستوياً ، والحزن ما غلظ من الأرض وكان مرتفعاً . من محل ومحرم ، يقال : حل الرجل من إحرامه وأحل ، وقال الأصمعي : من محل ومحرم ، يريد من له حرمة ومن لا حرمة له ، وقال غيره : ويريد دخل في أشهر الحل ودخل في أشهر الحرم .

يقول : مررت بهم أشهر الحل وأشهر الحرم .

عَلَوْنَ بأنْماطٍ عِتاقٍ وكِلَّةٍ ... وِرَادٍ حَوَاشِيها مُشاكِهة الدَّمِ [1]

ووَرَّكْن في السُّوبانِ يَعلونَ مَتنَهُ ... عَلَيْهِنَّ دَلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعِّمِ [2]

بكَرْنَ بكوراً واسْتَحَرْنَ بسُحرَةٍ ... فَهُنَّ ووَادي الرَّسِّ كاليدِ للفَمِ [3]

١– الباء في قوله علون بأنماط للتعدية ، ويروى : وعالين أنماطاً ، ويروى : وأعلين ، وهما بمعنى واحـــد ، والمعالاة قد تكون بمعنى الإعلاء ، ومنه قول الشاعر :

عاليت أنساعي وجلب الكور ... على سراة رائح ممطور

أنماط : جمع نمط وهو ما يبسط من صنوف الثيـاب . العتاق : الكرام ، الواحد عتيق . الكلة : الستر الرقيق ، والجمع الكلل . الوراد : جمع ورد وهو الأحمر والذي يضرب لونه الى الحمرة . المشاكهة : المشابهة . ويروى وراد الحواشي لونها لون عندم . العندم : البقم ، والعندم دم الأخوين .
يقول : وأعلين أنماطاً كراماً ذات أخطار أو ستراً رقيقاً ، أي ألقينها على الهوادج وغشينا بها . ثم وصف تلك الثياب بأنها حمر الحواشي يشبه ألوانها الدم في شدة الحمرة أو البقم أو دم الأخوين .

٢– السوبان : الأرض المرتفعة اسم علم لها . التوريك : ركوب أوراك الدواب . الدل والدلال والدالة واحد ، وقد أدلت المرأة وتدللت . النعمة : طيب العيش . والتنعم : تكلف النعمة .
يقول : وركبت هؤلاء النسوة أوراك ركابهن في حال علوهن متن السوبان وعليهن دلال الإنسان الطيب العيش الذي يتكلف ذلك .

٣– بكر وابتكر وبكر وأبكر : سار بكرة . استحر : سار سحراً . وسحرة : اسم للسحر ، لا تصرف سحرة وسحر إذا عينتها على يومـــك الذي أنت فيه . وإن عنيت سحراً من الأسحار صرفتها . وادي الرس : واد بعينه .

وَفيهِنَّ مَلْهًى للَّطيفِ ومَنْظَرٌ أنيقٌ لِعَينِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ [1]
كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ في كلِّ مَنزِلٍ نَزَلنَ بهِ حَبُّ الفَنا لم يُحَطَّمِ [2]

يقول : ابتدأن السير وسرن سحراً وهن قاصدات لوادي الرس لا يخطئنه كاليد القاصدة للفم لا تخطئه .

١– الملهى : اللهو وموضعه . اللطيف : المتأنق الحسن المنظر . الأنيق : المعجب ، فعيل بمعنى المفعل كالحكيم بمعنى المحكم والسميع بمعنى المسمع والأليم بمعنى المؤلم ، ومنه قوله عز وجل : « عذاب أليم » ، ومنه قول ابن معد يكرب :

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

أي المسمع . والإيناق : الإعجاب . التوسم : التفرس ، ومنه قوله تعالى : « إن في ذلك الآيات للمتوسمين » وأصله من الوسام والوسامة وهما الحسن ؛ كأن التوسم تتبع محاسن الشيء ، وقد يكون من الوسم فيكون تتبع علامات الشيء وسماته .

يقول : وفي هؤلاء النسوان لهو أو موضع لهو للمتأنق الحسن المنظر ومناظر معجبة لعين الناظر المتتبع محاسنهن وسمات جمالهن .

٢–الفتات : اسم انفت من الشيء أي تقطع وتفرق ، وأصله من الفت وهو التقطع والتفريق ، والفعل منه فت يفت ، والمبالغة التفتيت ، والمطاوع الانفتات والتفتت . الفنا : عنب الثعلب . التحطم : التكسر ، والحطم الكسر . العهن : الصوف المصبوغ ، والجمع العهون .

يقول : كأن قطع الصوف المصبوغ الذي زينت به الهوادج في كل منزل نزلته هؤلاء النسوة حب عنب مثعلب في حال كونه غير محطم ، لأنه إذا حطم زايله لونه ، شبه الصوف الأحمر بحب عنب الثعلب قبل حطمه .

فَلَمَّا وَرَدْنَ ٱلماءَ زُرْقاً جِمامُهُ   وَضَعْنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ [1]
ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ   على كلِّ قَيْنِيٍّ قَشيبٍ وَمُفْأَمِ [2]
فأَقسَمْتُ بالبَيْتِ الذي طافَ حَوْلَهُ   رِجالٌ بَنَوْهُ من قُرَيشٍ وَجُرْهُمِ [3]

١– الزرقة : شدة الصفاء ، ونصل أزرق وماء أزرق إذا اشتد صفاؤهما ، والجمع زرق . ومنه زرقة العين . الجمام جمع جم الماء وجمته هو ما اجتمع منه في البئر والحوض أو غيرهما . وضع العصي : كناية عن الإقامة ، لأن المسافرين إذا أقاموا وضعوا عصيهم . التخيم : ابتناء الخيمة .
فلما وردت هؤلاء الظعائن الماء وقد اشتد صفاء ما جمع منه في الآبار والحياض عز من على الإقامة كالحاضر المبتني الخيمة .

٢– الجزع : قطع الوادي ، والفعل جزع يجزع ، ومنه قول امرىء القيس :
وآخر منهم جارع نجد كبكب
أي قاطع . القين : كل صانع عند العرب ، فالحداد قين ، والجزار قين ، فالقين هنا الرحال ، وجمع القين قيون مثل بيت وبيوت ، وأصل القين الإصلاح ، والفعل منه قان يقين ، ثم وضع المصدر موضع اسم الفاعل وجعل كل صانع قيناً لأنه مصلح ، ومنه قول الشاعر :
ولي كبد مجروحة قد بدا بها   صدوع الهوى لو أن قيناً يقينها
أي لو أن مصلحاً يصلحها . ويروى : على كل حيري ، منسوب الى الحيرة ، وهي بلدة . القشيب : الجديد . المفأم : الموسع .
يقول : علون من وادي السوبان ثم قطعنه مرة أخرى لأنه اعترض لهن في طريقهن مرتين وهن على كل رحل حيري أو قيني جديد موسع .

٣– يقول : حلفت بالكعبة التي طاف حولها من بناها من القبيلتين . جرهم :

يَميناً لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدْتُما على كلِّ حالٍ مِنْ سَحيلٍ ومُبرَمِ [1]

تَداركتُما عَبْساً وذُبيانَ بَعْدَما تَفانَوْا ودَقُّوا بينهم عطرَ مَنشمِ [2]

قبيلة قديمة تزوج فيهم إسماعيل ، عليه السلام ، فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته ، عليه السلام ، وضعف أمر أولاده ، ثم استولى عليها بعد جرهم خزاعة إلى أن عادت إلى قريش ، وقريش اسم لولد النضر بن كنانة .

١ــ السحيل : المفتول على قوة واحدة . المبرم : المفتول على قوتين أو أكثر ، ثم يستعار السحيل للضعيف والمبرم للقوي .
يقول : حلفت يميناً ، أي حلفت حلفاً ، نعم السيدان وجدتما على كل حال ضعيفة وحال قوية ، لقد وجدتما كاملين مستوفيين لخلال الشرف في حال يحتاج فيها إلى ممارسة الشدائد وحال يفتقر فيها إلى معاناة النوائب ، وأراد بالسيدبن هرم بن سنان والحارث بن عوف ، مدحهما لإتمامهما الصلح بين عبس وذبيان وتحملهما أعباء ديات القتلى .

٢ــ التدارك : التلافي ، أي تداركتما أمرهما . التفاني : التشارك في الفناء . منشم ، قيل فيه : إنه اسم امرأة عطارة اشترى قوم منها جفنة من العطر وتعاقدوا وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر ، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم ، فتطير العرب بعطر منشم وسار المثل به ، وقيل : بل كان عطاراً يشتري منه ما يحنط به الموتى فسار المثل به .
يقول : تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالها وبعد دقهم عطر هذه المرأة ، أي بعد إتيان القتال على آخرهم كما أتى على اخر المتعطرين بعطر منشم .

وَقد قلتما: إن نُدرِكْ السِّلْمَ واسعاً … بمالٍ ومعروفٍ من القولِ نَسلَمِ[1]

فأصبحْتُما منها على خيرِ مَوطِنٍ … بَعيدَينِ فيها من عُقوقٍ ومأثمِ[2]

عَظيمَينِ في عُلْيا مَعَدٍّ هُديتُما … ومَن يَستَبِحْ كنزاً من المجدِ يعظُمِ[3]

١ــ السلم : الصلح ، يذكر ويؤنث .

يقول : وقد قلتما : إن أدركنا الصلح واسعاً ، أي إن اتفق لنا إتمام الصلح بين القبيلتين ببذل المال وإسداء المعروف من الخير سلمنا من تفاني العشائر .

٢ــ العقوق العصيان ، ومنه قوله ، عليه السلام : « لا يدخل الجنة عاق لأبويه » . المأثم : الأثم ، يقال : أثم الرجل يأثم إذا أقدم على إثم ، وأثمه الله يأثمه إثاماً وإثماً إذا جازاه بإثمه ، وأثمه إيثاماً صيره ذا إثم ، وتأثم الرجل تأثماً إذا تجنب الإثم ، مثل تحرج وتحنث وتحوب إذا تجنب الحرج والحنث والحوب .

يقول : فأصبحنا على خير موطن من الصلح بعيدين في إتمامه من عقوق الأقارب والإثم بقطيعة الرحم ، وتلخيص المعنى : انكما طلبتما الصلح بين العشائر ببذل الأعلاق وظفرتما به وبعدتما عن قطيعة الرحم : والضمير في منها يعود إلى السلم ، يذكر ويؤنث .

٣ــ العليا : تأنيث الأعلى ، وجمعها العليات والعلى مثل الكبرى في تأنيث الأكبر والكبريات وللكبر في جمعها ، وكذلك قياس الباب . وقوله : هديتما ، دعاء لهما . الاستباحة : وجود الشيء مباحاً ، وجعل الشيء مباحاً ، والاستباحة الاستئصال . ويروى يعظم من الإعظام بمعنى التعظيم ، ونصب عظيمين على الحال .

يقول ظفرتما بالصلح في حال عظمتكما في الرتبة العليا من شرف معد

تُعَفِّي الكُلومُ بالمِئِينَ فأصْبَحَتْ يُنَجِّمُها مَنْ لَيسَ فيها بِمُجرِمِ[1]

يُنَجِّمُها قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً وَلَمْ يُهَرِيقوا بينَهمْ مِلءَ مِحْجَمِ[2]

فأصْبَحَ يَجْري فيهمُ من تِلادِكُمْ مَغانِمُ شَتّى مِنْ إفالٍ مُزَنَّمِ[3]

وحسبها ، ثم دعا لهما فقال : هديتما إلى طريق الصلاح والنجاح والفلاح ، ثم قال : ومن وجد كنزاً من المجد مباحاً واستأصله عظم أمره أو عظم فيما بين الكرام .

١– الكلوم والكلام : جمع كلم وهو الجرح ، وقد يكون مصدراً كالجرح . التعفية : التمحية ، من قولهم : عفا الشيء يعفو إذا انمحى ودرس ، وعفاه غيره ويعفيه وعفاه أيضاً عفواً . ينجمها أي يعطيها نجوماً . يقول : تمحى وتزال الجراح بالمئين من الإبل فأصبحت الإبل يعطيها نجوماً من هو بريء الساحة بعيد عن الجرم في هذه الحروب ، يريد أنهما بمعزل عن إراقة الدماء وقد ضمنا إعطاء الديات ووفيا بهـا وأخرجاها نجوماً ، وكذلك تعطى الديات .

٢– أراق الماء والدم يريقه وهراقه يهريقه وأهراقه يهريقه لغات ، والأصل اللغة الأولى ، والهاء في الثانية بدل من الهمزة في الأولى ، وجمع في الثالثة بين البدل والمبدل توهماً أن همزة أفعل لم تلحقه بعد . المحجم : آلة الحجام ، والجمع المحاجم .

يقول : ينجم الإبل قوم غرامة لقوم ، أي ينجمها هذان السيدان غرامة للقتلى ، لأن الديات تلزمهم دونهما ، ثم قال : وهؤلاء الذين ينجمون الديات لم يريقوا مقدار ما يملأ محجماً من الدماء ، والملء مصدر ملأت الشيء ، والملء مقدار الشيء الذي يملأ الإناء وغيره ، وجمعه أملاء ، يقال : أعطني ملء القدح وملئيه وثلاثة أملائه .

٣– التلاد والتليد : المال القديم الموروث . المغانم : جمع المغنم وهو الغنيمة .

ألا أَبلغِ الأَحلافَ عني رِسالَةً ... وذُبيانَ هل أَقسَمتُم كلَّ مُقسَمِ [1]

فَلا تَكتُمُنَّ اللهَ ما في نفوسِكُمْ ... لِيَخفى ومَهما يُكتمِ اللهُ يَعْلَمِ [2]

شتى أي متفرقة . الإفال : جمع أفيل وهو الصغير السن من الإبل . المزنم : المعلم بزنمة .

يقول : فأصبح يجري في أولياء المقتولين من نفائس أموالكم القديمة الموروثة غنائم متفرقة من إبل صغار معلمة ، وخص الصغار لأن الديات تعطى من بنات اللبون والحقاق والأجذاع ، ولم يقل المزنمة وإن كان صفة الإفال حملاً على اللفظ لأن فعالاً من الأبنية التي اشترك فيها الآحاد والجموع . وكل بناء انخرط في هذا السلك ساغ تذكيره حملاً على اللفظ .

١– الأحلاف والحلفاء : الجيران ، جمع حليف على أحلاف كما جمع نجيب على أنجاب وشريف على أشراف وشهيد على أشهاد ، أنشد يعقوب :

قد أغتدي بقينة أنجاب ... وجهمة الليل إلى ذهاب

أقسم أي حلف . وتقاسم القوم أي تحالفوا ، والقسم الحلف ، والجمع الأقسام ، وكذلك القسيمة ، هل أقسمتم أي قد أقسمتم ، ومنه قوله تعالى : « هل أتى على الإنسان » أي قد أتى ، وأنشد سيبويه :

سائل فوارس يربوع بشدتنا ... أهل رأونا بسفح القف ذي الأكم

أي قد رأونا ، لأن حرف الاستفهام لا يلحق حرف الاستفهام .

يقول : أبلغ ذبيان وحلفاءها وقل لهم قد حلفتم على إبرام حبل الصلح كل حلف فتحرجوا من الحنث وتجنبوا .

٢– يقول لا تخفوا من الله ما تضمرون من الغدر ونقض العهد ليخفى على الله ، ومهما يكتم من شيء يعلمه الله ، يريد أن الله عالم بالخفيات والسرائر ولا يخفى عليه شيء من ضمائر العباد ، فلا تضمروا الغدر ونقض العهد فإنكم إن أضمرتموه علمه الله ، وقوله : يكتم الله ، أي يكتم من الله .

يُؤَخَّرْ فيُوضعْ في كتابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ الحسابِ أو يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ [1]

وَما الحَرْبُ إلاّ ما علمتمْ وذُقْتُمُ ... وما هوَ عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ [2]

مَتى تَبْعَثُوها تَبْعَثُوها ذَميمَةً ... وتَضْرَ إذا ضَرَّيْتُمُوها فَتَضْرَمِ [3]

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحى بِثِفالِها ... وتَلْقَحْ كِشافاً ثمَّ تُنْتِجْ فَتُتْئِمِ [4]

---

١ – أي يؤخر عقابه ويرقم في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل العقاب في الدنيا قبل المصير إلى الآخرة فينتقم من صاحبه ، يريد لا مخلص من عقاب آجلاً أو عاجلاً .

٢ – الذوق : التجربة . الحديث المرجم : الذي يرجم فيه بالظنون أي يحكم فيه بظنونها .

يقول : ليست الحرب إلا ما عهدتموها وجربتموها ومارستم كراهتها ، وما هذا الذي أقول بحديث مرجم عن الحرب ، أي هذا ما شهدت عليه الشواهد الصادقة من التجارب وليس من أحكام الظنون .

٣ – الضرى : شدة الحرب واستعار نارها ، وكذلك الضراوة ، والفعل ضري يضرى ، والإضراء والتضرية الحمل على الضراوة : ضرمت النار تضرم ضرماً واضطرمت وتضرمت : التهبت ، وأضرمتها وضرمتها : ألهبتها .
يقول : متى تبعثوا الحرب تبعثوها مذمومة أي تذمون على إثارتها ، ويشتد ضرمها إذا حملتموها على شدة الضرى فتلتهب نيرانها ، وتلخيص المعنى : إنكم إذا أوقدتم نار الحرب ذممتم ومتى أثرتموها ثارت وهيجتموها هاجت . يحثهم على التمسك بالصلح ويعلمهم سوء عاقبة إيقاد نار الحرب .

٤ – ثفال الرحى : خرقة أو جلدة تبسط تحتها ليقع الطحين . والباء في قوله بثفالها بمعنى مع . اللقح واللقاح حمل الولد ، يقال : لقحت الناقة ، والإلقاح

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمانَ أشأمَ كلّهمْ كأحمَرِ عادٍ ثم تُرْضِعْ فتَفطِمِ [1]
فتُغْلِلْ لكمْ ما لا تُغِلّ لأهْلِها قُرىً بالعِراقِ من قَفيزٍ ودِرْهَمِ [2]

جعلها كذلك . الكشاف : أن تلقح النعجة في السنة مرتين . أنتجت الناقة إنتاجاً إذا ولدت عندي ، ونتجت الناقة تنتج نتاجاً . الإتآم : أن تلد الأنثى توأمين، وامرأة متآم إذا كان ذلك دأبها ، والتوأم يجمع على التؤام ، ومنه قول الشاعر :

قالت لنا ودمعها تؤام كالدر إذ أسلمه النظام

يقول : وتعرككم الحرب عرك الرحى الحب مع ثفاله ، وخص تلك الحالة لأنه لا يبسط إلا عند الطحن ، ثم قال : وتلقح الحرب في السنة مرتين وتلد توأمين ، جعل إفناء الحرب إياهم بمنزلة طحن الرحى الحب ، وجعل صنوف الشر تتولد من تلك الحروب بمنزلة الأولاد الناشئة من الأمهات ، وبالغ في وصفها باستتباع الشر شيئين : أحدهما جعله إياها لاحقة كشافاً ، والآخر إتآمها .

١– الشؤم : ضد اليمن ، ورجل مشؤوم ورجال مشائيم كما يقال : رجل ميمون ورجال ميامين ، والأشأم أفعل من الشؤم وهو مبالغة المشؤوم ، وكذلك الأيمن مبالغة الميمون ، وجمعه الأشائم . وأراد بأحمر عاد أحمر ثمود وهو عاقر الناقة ، واسمه قدار بن سالف .
يقول : فتولد لكم أبناء في أثناء تلك الحروب كل واحد منهم يضاهي في الشؤم عاقر الناقة ثم ترضعهم الحروب وتقطعهم ، أي تكون ولادتهم ونشوؤهم في الحروب فيصبحون مشائيم على آبائهم .

٢– أغلت الأرض تغل إذا كانت لها غلة ، أظهر تضعيف المضاعف في محل الجزم

لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيُّ جرَّ عليهِمُ ... بما لا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بنُ ضَمْضَمِ [1]
وكانَ طَوَى كَشحاً على مُسْتَكِنَّةٍ ... فَلا هُوَ أبداها ولَمْ يَتَقَدَّمِ [2]

والبناء على الوقف ، يتهكم ويهزأ بهم .
يقول : فتغل لكم الحروب حينئذ ضروباً من الغلات لا تكون تلك الغلات لقرى من العراق التي تغل الدارهم بالقفيزات ؛ وتلخيص المعنى أن المضار المتولدة من هذه الحروب تربي على المنافع المتولدة من هذه القرى ، كل هذا حث منه إياهم على الاعتصام بحبل الصلح وزجر عن الغدر بإيقاد نار الحرب . يقول : لم يتقدم بما أخفى فيعجل به ولكن أخره حتى يمكنه .

١- جرّ عليهم : جنى عليهم ، والجريرة الجناية ، والجمع الجرائر . يؤاتيهم : يوافقهم ، وهذه المؤاتاة قتل ورد بن حابس العبسي هرم بن ضمضم قبل هذا الصلح ، فلما اصطلحت القبيلتان عبس وذبيان استتر وتوارى حصين بن ضمضم لئلا يطالب بالدخول في الصلح ، وكان ينتهز الفرصة حتى ظفر برجل من عبس بواء بأخيه فشد عليه فقتله فركبت عبس فاستقر الأمر بين القبيلتين على عقل القتيل . — اي دفع ديته . —
يقول : أقسم بحياتي لنعمت القبيلة جنى عليهم حصين بن ضمضم وإن لم يوافقوه في إضمار الغدر ونقض العهد .
٢- الكشح : منقطع الأضلاع ، والجمع كشوح ، والكاشح المضمر العداوة في كشحه ، وقيل بل هو من قولهم : كشح يكشح كشحاً إذا أدبر وولى ،وإنما سمي العدو كاشحاً لإعراضه عن الود والوفاق ، ويقال : طوى كشحه على كذا أي أضمر في صدره . الاستكنان : طلب الكن ، والاستكنان الاستتار ، وهو في البيت على المعنى الثاني . فلا هو أبداها أي فلم يبدها . ويكون لا مع الفعل الماضي بمنزلة لم مع الفعل المستقبل في المعنى ، كقوله تعالى : « فلا صدق ولا صلى » أي فلم يصدق ولم يصلّ ، وقوله تعالى : « فلا

وَقالَ سأَقضِي حاجتي ثمْ أتّقي ـ عدوّي بألف ٍمنْ ورَائيَ مُلْجَمِ [١]

فَشَدَّ فَلَمْ يُفزِعْ بُيُوتاً كثيرةً ـ لدى حَيثُ ألقَتْ رَحلَها أمُّ قشعمِ [٢]

لدى أسدٍ شاكي السّلاحِ مُقدَّفٍ ـ لَهُ لِبَدٌ أظفارُهُ لمْ تُقلَّمِ [٣]

اقتحم العقبة » أي لم يقتحمها ، وقال أمية بن أبي الصلت :

إن تغفر اللهم فاغفر جما ـ وأي عبد لك لا ألما

أي لم يلم بالذنب . وقال الراجز :وأي أمر سيء لا أفعله ، أي لم يفعله.
يقول : وكان حصين أضمر في صدره حقداً وطوى كشحه على نية مستترة فيه ولم يظهرها لأحد ولم يتقدم عليها قبل إمكانه الفرصة .

١- يقول : وقال حصين في نفسه : سأقضي حاجتي من قتل قاتل اخي أو قتل كفؤ له ثم أجعل بيني وبين عدوي ألف فارس ملجم فرسه أو ألفاً من الخيل ملجما .

٢- الشدة : الحملة ، وقد شد عليه يشد شداً . الإفزاع : الإخافة . أم قشعم : كنية المنية .
يقول : فحمل حصين على الرجل الذي رام أن يقتله بأخيه ولم يفزع بيوتاً كثيرة ، أي لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل المنية ، وملقى الرحل : المنزل لأن المسافر يلقي به رحله ، أراد عند منزل المنية .

٣- شاكي السلاح وشائك السلاح وشاك السلاح ، أي تام السلاح ، كله من الشوكة وهي العدة والقوة. المقذف الغليظ اللحم ، والتقذيف القذف او الذي تقذف به في الوقائع. .اللبد : جمع لبدة الأسد وهي ما تلبد من شعره على منكبيه.
يقول : عند أسد تام السلاح يصلح لأن يرمي به الى الحروب والوقائع ، يشبه أسداً له لبدتان لم تقلم براثنه ، يريد أنه لا يعتريه ضعف ولا يعيبه عدم شوكة كما أن الأسد لا يقلم براثنه ، والبيت كله من صفة حصين .

جَريءٍ متى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بظُلمِهِ سَريعاً وإلاّ يُبْدَ بالظّلمِ يَظلِمِ [1]
دَعوْا ظِمْأهُمْ حتى إذا تمّ أوْرَدوا غِماراً تَفرّى بالسِّلاحِ وبالدَّمِ [2]
فَقَضّوْا مَنايا بَيْنَهُمْ ثمَّ أَصدَروا الى كلاٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتوَخّمِ [3]

١– الجرأة والجراءة : الشجاعة ، والفعل جروء يجروء وقد جرأته عليه . بدأت بالشيء أبدأ به مهموز فقلبت الهمزة ألفاً ثم حذفت للجازم .

يقول : وهو شجاع متى ظلم عاقب الظالم بظلمه سريعاً وإن لم يظلمه أحد ظلم الناس إظهاراً لغنائه وحسن بلائه ، والبيت من صفة أسد في البيت الذي قبله وعنى به حصيناً ، ثم أضرب عن قصته ورجع إلى تقبيح صورة الحرب والحث على الاعتصام بالصلح .

٢– الرعي يقتصر على مفعول واحد : رعت الماشية الكلأ ، وقد يتعدى الى مفعولين نحو : رعيت الماشية الكلأ ورعى الكلأ نفسه . الظمء : ما بين الوردين ، وافي الأظماء . الغمار : جمع غمر وهو الماء الكثير . التفري : التشقق .

يقول : رعوا إبلهم الكلأ حتى اذا تم الظمأ أوردوها مياهاً كثيرة ، وهذا كله استعارة . والمعنى انهم كفوا عن القتال وأقلعوا عن النزال مدة معلومة كما ترعى الإبل مدة معلومة ثم عاودوا الوقائع كما تورد الإبل بعد الرعي ، فالحروب بمنزلة الغمار ولكنها تنشق عنهم باستعمال السلاح وسفك الدماء .

٣– قضيت الشيء وقضّيته : أحكمته واتممته . أصدرت ضد اوردت. استوبلت الشيء : وجدته وبيلاً ، واستوخمته وتوخمته : وجدته وخيماً . والوبيل والوخيم : الذي لا يستمرأ .

يقول : فأحكموا وتمموا منايا بينهم . أي قتل كل واحد من الحيين صنفاً من الآخر . فكأنهم تمموا منايا قتلاهم ثم اصدروا إليهم كلإ وبيل وخيم . أي

لَعَمرُكَ ماجَرَّتْ عليهِمْ رِماحُهُمْ دَمَ ابنِ نَهِيكٍ أَوْ قتيلِ المُثَلَّمِ [1]

وَلاشارَكَتْ في الموْتِ فيدَمِ نوْفَلٍ وَلا وهَبٍ منها وَلاابنَ المخَزَّمِ [2]

فكُلاًّ أرَاهُمْ أصبَحُوا يَعقِلُونَهُ صَحيحاتِ مالٍ طالعاتٍ بِمَخْرِمِ [3]

ثم أقلعوا عن القتال والقراع واشتغلوا بالاستعـداد له ثانياً كما تصدر الإبـــل فترعى الى ان تورد ثانياً ، وجعل اعتزامهم على الحرب ثانية والاستعداد لها بمنزلة كلإ وبيل وخيم ، جعل استعدادهم للحرب أولا وخوضهم غمراتهـــا وإقلاعهم عنها زماناً وخوضهم اياها ثانية بمنزلة رعي الإبل أولا وإيرادهـا وإصدارها ورعيها ثانياً ، وشبه تلك الحال بهـــذه الحال ، ثم أضرب عن هذا الكلام وعاد إلى مدح الذين يعقلون القتلى ويدونها .

١ــ يقول : اقسم ببقائك وحياتهم أن رماحهم لم تجن عليهم دماء هؤلاء ، أي لم يسفكوها ولم يشاركوا قاتليهم في سفك دمائهم ، والتأنيث في شاركت للرماح يبين براءة ذممهم عن سفك دمهم ليكون ذلك أبلغ في مدحهم بعقلهم القتلى .

٢ــ مضى شرحه في اثناء شرح البيت الذي قبله .

٣ــ عقلت القتيل : وديته ، وعقلت عن الرجل أعقل عنه أديت عنـه الدية التي لزمته ، وسميت الدية عقلاً لأنها تعقل الدم عن السفك أي تحقنـه وتحبسه ، وقيل بل سميت عقلاً لأن الوادي كان يأتي بالإبل إلى اقنية القتيل فيعقلهـا هناك بعقلها ، فعقل على هذا القول بالمعنى المعقول ، ثم سميت الدية عقلاً وإن كانت دنانير ودراهم ، الأصل ما ذكرنا . طلعت الثنية وأطلعتها : علوتها . المخرم : منقطع أنف الجبل والطريق فيه ، والجمع المخارم .
يقول : فكل واحد من القتلى أرى العاقلين يعقلونه بصحيحات إبل تعلو في طرق الجبال عند سوقها إلى أولياء المقتولين .

لِحَيٍّ حِلاَلٍ يَعْصِمُ الناسَ أَمْرُهُمْ إِذا طَرَقَتْ إِحدى الليالي بِمُعظَمِ [1]

كِرامٍ فَلا ذو الضِّغْنِ يُدرِكُ تَبلَهُ وَلا الجارِمُ الجاني عليهمْ بِمُسْلَمِ [2]

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحياةِ وَمَنْ يعشْ ثمانينَ حَوْلاً لا أَبا لَكِ يَسْأَمِ [3]

وَأَعْلَمُ ما في اليومِ وَالأَمسِ قَبلَهُ وَلكِنَّني عن عِلْمِ ما في غَدٍ عَمِ [4]

١– حلال : جمع حال مثل صاحب وصحاب وصائم وصيام وقائم وقيام . يعصم : يمنع . الطروق : الإتيان ليلاً ، والباء في قوله بمعظم يجوز كونه بمعنى مع و كونه للتعدية . اعظم الأمر أي سار إلى حال العظم ، كقولهم : أجز البر وأجد التمر واقطف العنب ، أي يعقلون القتلى لاجل حي نازلين يعصم امرهم جيرانهم وحلفاءهم إذا أتت إحدى الليالي بأمر فظيع وخطب عظيم ، أي اذا نابتهم عصموهم ومنعوهم .

٢– الضغن والطغينة واحد : وهو ما استكن في القلب من العداوة ، والجمع الاضغان والضغائن . التبل : الحقد ، والجمع التبول . الجارم والجاني واحد ، والجارم : ذو الجرم ، كاللابن والتامر ذي اللبن وذي التمر . الإسلام : الخذلان .

يقول : لحي كرام لا يدرك ذو الوتر وتره عندهم ولا يقدر على الانتقام منهم من ظلموه وجنى عليهم من فيتانهم وحلفائهم وجيرانهم .

٣– سئمت الشيء سآمة : مللته . التكاليف : المشاق والشدائد . لا أبا لك : كلمة جافية لا يراد بها الجفاء وإنما يراد بها التنبيه والإعلام .

يقول : مللت مشاق الحياة وشدائدها ، ومن عاش ثمانين سنة مل الكبر لا محالة .

٤– يقول : وقد يحيط علمي بما مضى وما حضر ولكني عمي القلب عن الإحاطة بما هو منتظر متوقع .

١ رَأيتُ المنايا خَبطَ عشواءَ من تُصبْ ۔ تُمِتْهُ ومَنْ تخطىءْ يُعَمَّرْ فيهرَمِ

٢ وَمَن لم يُصانعْ في أُمورٍ كَثيرَةٍ ۔ يُضَرَّسْ بأنْيابٍ وَيُوطأ بمَنْسِمِ

٣ وَمَن يجعلِ المعرُوفَ من دونِ عِرْضِهِ ۔ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتمَ يُشتَمِ

١– الخبط : الضرب باليد ، والفعل خبط يخبط . العشواء : تأنيث الأعشى ، والياء في عشي منقلبة عن الواو كما كانت في رضي منقلبة عنها ، والعشواء: الناقة التي لا تبصر ليلاً ، ويقال في المثل : هو خابط خبط عشواء ، أي قد ركب رأسه في الضلالة كالناقة التي لاتبصر ليلاً فيخبط بيديها على عمى فربما تردت في مهواة وربما وطئت سبعاً أو حية أو غير ذلك .

قوله: ومن تخطىء ، أي ومن تخطئه ، فحذف المفعول ، وخذفه سائغ كثير في الكلام والشعر والتنزيل . التعمير : تطويل العمر .

يقول : رأيت المنايا تصيب الناس على غير نسق وترتيب وبصيرة كما أن هذه الناقة تطأ على غير بصيرة ، ثم قال : من اصابته المنايا اهلكته ومن أخطأته ابقته فبلغ الهرم .

٢– يقول : ومن لم يصانع الناس ولم يدارهم في كثير من الأمور قهروه واذلوه وربما قتلوه كالذي يضرس بالناب ويوطأ بالمنسم .الضرس : العض على الشيء بالضرس ، التضريس مبالغة . المنسم للبعير : بمنزلة السنبك للفرس ، والجمع المناسم .

٣– يقول : ومن جعل معروفه ذاباً ذم الرجال عن عرضه وجعل إحسانه واقياً عرضه وفر مكارمه ، ومن لا يتق شتم الناس إياه شتم ؛ يريد أن من بذل معروفه صان عرضه ، ومن بخل بمعروفه عرض عرضه للذم والشتم . وفرت الشيء افرده وفراً : أكثرته ، ووفرته فوفر وفوراً .

وَمَن يكُ ذا فضْلٍ فَيَبْخَلْ بفضْلِهِ على قَوْمِهِ يُستَغْنَ عنهُ وَيُذْمَمِ [1]
وَمَن يُوفِ لا يُذمَمْ وَمَن يُهدَ قلبُه إلى مُطمَئِنِّ ٱلْبِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ [2]
وَمَنْ هَابَ أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ وإِنْ يَرْقَ أسبابَ السّماءِ بسُلَّمِ [3]
وَمَن يجعَلِ المعرُوفَ في غَيرِ أَهلِهِ يَكُنْ حمدُهُ ذَمّاً عَلَيْهِ وَيَنْدَمِ [4]

١- يقول : من كان ذا فضل ومال فبخل به استغني عنه وذم . فاظهر التضعيف على لغة أهل الحجاز ، لأن لغتهم اظهار التضعيف في محل الجزم والبناء على الوقف .

٢- وفيت بالعهد أفي به وفاء وأوفيت به إيفاء، لغتان جيدتان والثانية اجودهما لأنها لغة القرآن ، قال الله تعالى : (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم). ويقال : هديته الطريق وهديته الى الطريق وهديته للطريق .
يقول : ومن اوفى بعهده لم يلحقه ذم ، ومن هدي قلبه الى بر يطمئن القلب الى حسنه ويسكن الى وقوعه موقعه لم يتمتع في إسدائه وإيلائه .

٣- رقي في السلم يرقى رقياً : صعد فيه ، ورقى المريض يرقيه رقية. ويروى : ولو رام أسباب السماء .
يقول : من خاف وهاب اسباب المنايا نالته ولم يجد عليه خوفه وهيبته إياها نفعاً ولو رام الصعود إلى السماء فراراً منها .

٤- يقول : ومن وضع اياديه في غير من استحقها ، اي من أحسن إلى من لم يكن اهلا للاحسان إليه والامتنان عليه ، ذمه الذي احسن اليه ولم يحمده وندم المحسن الواضع إحسانه في غير موضعه .

وَمَنْ يَعْصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنَّهُ يُطيعُ ٱلعَوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ [1]

وَمَنْ لم يَذُدْ عن حَوْضِهِ بسِلاحِهِ يُهَدَّم وَمَن لا يظلِمِ النَّاسَ يُظلَمِ [2]

وَمَن يغترِبْ يَحْسِبْ عدُوّاً صَديقَهُ وَمَنْ لم يُكرِّمْ نَفسَهُ لم يكرَّمِ [3]

١- الزجاج ، جمع زج الرمح : وهو الحديد المركب في أسفله ، وإذا قيل : زج الرمح ، عني به ذلك الحديد والسنان . اللهذم : السنان الطويل . عالية الرمح ضد سافلته ، والجمع العوالي ، إذا التقت فئتان من العرب سددت كل واحدة منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها وسعى الساعون في الصلح، فإن أبتا إلا التمادي في القتال قلبت كل واحدة منهما الرماح واقتتلتا بالأسنة .

يقول : ومن عصى أطراف الزجاج أطاع عوالي الرماح التي ركبت فيها الأسنة الطوال ؛ وتحرير المعنى : من أبي الصلح ذللته الحرب ولينته ، وقوله يطيع العوالي ، كان حقه أن يقول : يطيع العواليَ ، بفتح الياء ، ولكنه سكن الياء لإقامة الوزن وحمل النصب على الرفع والجر لأن هذه الياء مسكنة فيهما ، ومثله قول الراجز :

كأن أيديهن بالقاع الفرق أيدي جوار يتعاطين الورق

٢- الذود : الكف والردع .

يقول : ومن لا يكف أعداءه عن حوضه بسلاحه هدم حوضه ، ومن كف عن ظلم الناس ظلمه الناس ، يعني من لم يحم حريمه استبيح حريمه ، واستعار الحوض للحريم .

٣- يقول : من سافر واغترب حسب الأعداء أصدقاء لأنه لم يجربهم فتوقفه التجاوب على ضمائر صدورهم ، ومن لم يكرم نفسه بتجنب الدنايا لم يكرمه الناس .

وَمَهما تكنْ عند امرِىءٍ من خليقةٍ   وَإنْ خالها تَخْفى على النّاسِ تُعْلَمِ [1]

وكائنْ تَرَى من صامتٍ لَكَ مُعجِبٍ   زيادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ في التَّكَلّمِ [2]

لسانُ الفتي نصفٌ وَنصفٌ فؤادُهُ   فلمْ يَبْقَ الاّ صورَةُ اللّحمِ والدّمِ [3]

تعليق

ورد بعد هذا البيت السابق في بعض الروايات :

ومن لم يزل يسترحل الناس نفسه   ولم يعفها يوماً من الذل يندم

وذكر الشنتمري البيت بهذا العجز : « ولا يغنهـــا يوماً من الدهر يسأم » وجعله ختام المعلقة ..

وهي – اي المعلقة – في روايته ٥٩ بيتاً .. وكذلك في رواية الانباري والنحاس والثلاثة لم يذكروا الابيات الخمسة التالية ..

١– يقول : ومهما كان للانسان من خلق فظن أنه يخفي على الناس علم ولم يخف. والخلق والخليقة واحد ، والجمع الأخلاق والخلائق . وتحرير المعنى : أن الأخلاق لاتخفي والتخلق لا يبقى .

٢– في كائن ثلاث لغات : كأين وكائن وكئن ، مثل كعين وكاعن وكع.الصمت والصمات والصموت واحد ، والفعل صمت يصمت .
يقول : وكم صامت يعجبك صمته فتستحسنه وإنما تظهر زيادته على غيره ونقصانه عن غيره عند تكلمه .

٣– هذا كقول العرب : المرء بأصغريه لسانه وجنانه .

وَإنَّ سَفاهَ الشَّيخِ لا حِلْمَ بَعْدهُ ... وَانَّ الفَتى بَعدَ السَفاهَةِ يَحْلُمِ [1]

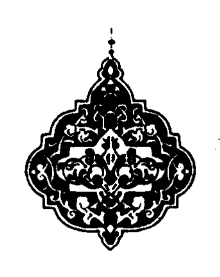
سأَلنا فأَعْطَيْتُمْ وَعُدنا فَعُدْتُمُ ... وَمَنْ أَكْثَرَ التسآلَ يَوْماً سَيُحْرَمِ [2]

---

١ – يقول : إذا كان الشيخ سفيهاً لم يرج حلمه لأنه لا حال بعد الشيب إلا الموت، والفتى وإن كان نزقاً سفيهاً أكسبه شيبه حلماً ووقاراً ، ومثله قول صالح بن عبد القدوس :

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه

٢ – يقول : سألناكم رفدكم ومعروفكم فجدتم بهما فعدنا الى السؤال وعدتم الى النوال ، ومن أكثر السؤال حرم يوماً لا محالة . والتسآل : السؤال ، تفعال من أبنية المصادر .



لبيد بن أبي ربيعة

سيد وفارس كريم وشاعر وحكيم

عاش طويلاً حتى سئم الحياة .. وليس هناك شك في انه بلغ المائة وقطع فيها شوطاً ، واما طول هذا الشوط وامتداده من السنوات فقد كثر عليه الاختلاف ، حتى امتد به بعضهم الى الخمسين بعد المائة ، واما نحن فنظن انه لم يزد عن المائة كثيراً ..

وهو ابو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري من هوازن قيس ، ومن اشراف قومه وساداتهم وفرسانهم ، وكان كريماً شجاعاً اذا دعي لرفع مظلمة او لاغاثة ضعيف اجاب .. يقري الضيف ، ويدعو للخير .. ثم جمع الى هذا كله الشعر الذي قاله واحسن فيه ، ولم يتكسب منه ، حتى اذا جاء الاسلام فاسلمت بنو عامر قبيلة لبيد ، اسلم لبيد معها .. والارجح ان اسلامهم كان في السنة التاسعة للهجرة ،وبعد ان ارسلت بنو عامر وفداً ثانياً لمقابلة الرسول العربي ، بعد ان فشل الوفد الاول في الوصول الى اتفاق ،وكان على الوفد (اربد) شقيق (لبيد) .. وذلك في السنة الثامنة هجرية ، فلما عاد الى قومه ، دهمته صاعقة في اثناء الطريق فقتلته .. وقد رثاه (لبيد) في شعره .. وذكر حادثة الصاعقة هذه ..

وسكن الشاعر الكوفة بعد اسلامه الى ان مات بعد عشرين سنة او اكثر من اسلامه ..

ولبيد شاعر صادق يصف نفسه بصدق وبدون لف ولا دوران .. فهو في السلم يعبث ويلهو ويجور .. وفي الحرب رجل شجاع شديد البأس ، حتى اذا تقدمت به السن غلبت الحكمة عليه ، فاذا هو رزين هادىء ينطق بالحكمة وفصل الخطاب ..

وهو كثير الدقة في الوصف يفوق في هذه الناحية كثيرين من نظرائه في الجاهلية ، حتى ليستطيع دارس شعره ان يتعلم جغرافية بلاد العرب في الجاهلية من شعره ..

ولكن شعره لا يسمو به الى مكانة النابغة الذي قُدّم (لبيد) عليه في هذه الطبعة من المعلقات ، وهو ما دعانا الى التوسع في هذا الكتاب ، واعتماد اصحاب المعلقات عشراً لا سبعاً ، كما يريدنا (الزوزني) حتى يخرج كتابنا جامعاً لكل المعلقات ، ، ما اتفقوا عليه منها ، وما اختلفوا .. وحتى يتم لهذه الطبعة ما لم يتم لغيرها من الجمال والكمال والاشراق ..

وقد بدأ معلقته بوصف الديار المقفرة والاطلال البالية ، وكيف بدلتها الطبيعة والامطار وغيَّرتها ، ثم تخلص الى الغزل بحبيبته وبعدها عنه ، والى ناقته فشبهها بسحابة حمراء خالية من الماء تدفعها الريح فتنطلق سريعة ، وبأتان وحشية نشيطة ، وببقرة افترس السبع ولدها ، وصوّر العراك الذي وقع بينها وبين الكلاب التي طاردتها تصويراً جميلاً ، ثم تحول الى وصف نفسه ، وما يلمّ بها من هدوء واضطراب ، وانتقل من هذا الى وصف عبثه ولهوه وشربه الخمرة ، وبطشه وسرعة جواده وكرمه ، خاتماً قصيدته بمدح قومه والفخر بهم ..

معلقـــة لبيد

عفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها [1]

١– عفا لازم ومتعد ، يقال : عفت الريح المنزل وعفا المنزل نفسه عفواً وعفاء ، وهو في البيت لازم . المحل من الديار : ما حل فيه لأيام معدودة ، والمقام منها : مـا طالت الإقامة به . منى : موضع بحمى ضرية ، غير منى الحرم ، ومنى ينصرف ولا ينصرف ويذكر ويؤنث . تأبد : توحش ، وكذلك أبد يأبد أبوداً . الغول والرجام : جبلان معروفان . ومنه قول أوس بن حجر :

زعمتمُ أن غولا والرجام لـكم ... ومنعجاً فاذكروا فالأمر مشترك

يقول: عفت ديار الأحباب وانمحت منازلهم ما كان منها للحلول دون الإقامة وما كان منهـــا للإقامة ، وهذه الديار كانت بالموضع المسمى منى ، وقد

تعليق

لبيـــد من الشعراء البارعين في الوصف كثير الدقة ، يحيط بجميع صور الموصوف خصوصاً في المعلقة ، ففيهـــا نراه يسبق جميع زملائه في تصوير الديار البالية والدمن الخالية ، وتحديد المـكان اثنـاء السفر ، كما انه رقيق العاطفة في رثائه وحزنه ، وفي معلقته يسمو بشعره إلى مـا وراء الطبيعة مما لم يسبقه اليه احد من شعراء الجاهلية ، وهي ظاهرة اختص بها وفاق نظراءه فيها فلم يقم بينهم مثله في التقرب الى الله والوقوف موقف الواعظ التقي الورع ..

فَمَدافِعُ الرَّيّانِ عُرّيَ رَسْمُها خَلَقاً كما ضَمِنَ الوُحيَّ سِلامُها [1]
دِمَنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهدِ أنيسها حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُها وَحَرامُها [2]

توحشت الديار الغولية والديار الرجامية منهـا لارتحال قطانها واحتمال سكانها . والكناية في غولها ورجامها راجعة إلى الديار ، قوله : تأبد غولها ، أي ديار غولها ورجامها . فحذف المضاف .

١ـ المدافع : أماكن يندفع عنها الماء من الربى والأخياف ، الواحد مدفـع . الريان : جبل معروف . ومنه قول جرير :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبـذا ساكن الريان من كانا

التعرية : مصدر عريته فعري وتعرى . الوحي : الكتابة ، والفعل وحي يحي ، والوحي الكتاب ، والجمع الوُحي . السلام : الحجارة ، الواحدة سلمة ، بكسر اللام . فمدافع : معطوف على قوله غولها
يقول : توحشت الديار الغولية والرجامية ، وتوحشت مدافع جبل الريان لارتحال الأحباب منهـا واحتمال الجيران عنها . ثم قال : وقد توحشت وغيرت رسوم هذه الديار فعريت خلقاً وإنما عراها السيول ولم تنمح بطول الزمان فكأنه كتاب ضمّن حجراً ، شبه بقاء الآثار لقدم الأيام ببقاء الكتاب في الحجر ؛ ونصب خلقاً على الحال ، والعامل فيه عري ، والمضمر الذي أضيف إليه سلام عائد إلى الوحي .

٢ـ التجرم : التكمل والانقطاع ، يقال : تجرمت السنة وسنة مجرمة أي مكملة . العهد : اللقاء ، والفعل عهد يعهد ، الحجج : جمع حجة وهي السنة . وأراد بالحرام الأشهر الحرم ، وبالحلال أشهر الحل . الخلو : المضي ، ومنه الأمم الخالية ، ومنه قوله عز وجل : (وقد خلت القرون من قبلي) .
يقول : هي آثار ديار قد تمت وكملت وانقطعت بعد عهد سكانها بها سنون

رُزِقَتْ مَرَابِيعَ النُّجومِ وَصَابَها وَدْقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُها فرِهامُها[1]
مِنْ كُلِّ سارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَّةٍ مُتَجاوِبٍ إرْزَامُها[2]

مضت أشهر الحرم وأشهر الحل منها ، وتحرير المعنى: قد مضت بعد ارتحالهم عنها سنون بكمالها . خلون : المضمر فيه راجع إلى الحجج ، وحلالها بدل من الحجج ، وحرامها معطوف عليها ، والسنة لا تعدو أشهر الحرم وأشهر الحل ، فعبر عن مضي السنة بمضيها .

١ـ مرابيع النجوم: الأنواء الربيعية وهي المنازل التي تحلها الشمس في فصل الربيع ، الواحد مرباع . الصوب : الإصابة ، يقال : صابه أمر كذا وأصابه بمعنى. الودق : المطر ، وقد ودقت السماء تدق دقاً إذا أمطرت . الجود : المطر التام العام ، وقال ابن الأنباري : هو المطر الذي يرضي أهله ، وقد جاد المطر يجود جوداً فهو جود . الرواعد : ذوات الرعد من السحاب ، وحدتها راعدة . الرهام والرهم : جمعا رهمة .. وهي المطرة التي فيها لين .
يقول : رزقت الديار والد من أمطار الأنواء الربيعية فأمرعت وأعشبت وأصابها مطر ذوات الرعود من السحائب ما كان منه عاماً بالغاً مرضياً أهله وما كان منه ليناً سهلاً. وتحرير المعنى : أن تلك الديار ممرعة معشبة لترادف الأمطار المختلفة عليها ونزاهتها .

٢ ـ السارية : السحابة الماطرة ليلاً ، والجمع السواري . المدجن : الملبس آفاق السماء بظلامه لفرط كثافته ، والدجن: إلباس الغيم آفاق السماء ، وقد أدجن الغيم . الإرزام : التصويت ، وقد أرزمت الناقة إذا رغت ، والاسم الرزمة ، ثم فسر تلك الأمطار فقال : هي من كل مطر سحابة سارية ومطر سحاب غاد يلبس آفاق السماء بكثافته وتراكمه وسحابة عشية تتجاوب أصواتها ، أي كأن رعودها تتجاوب ، جمع لها أمطار السنة لأن أمطار الشتاء اكثرها يقع ليلاً ، وأمطار الربيع يقع اكثرها غداة ، وأمطار الصيف يقع اكثرها عشياً . كذا زعم مفسرو هذا البيت .

فعَلا فرُوع الأيهقان وأطفلَتْ بالجَهْلَتَين ظِباؤها ونعامُها [1]
والعِينُ ساكِنَةٌ على أطلائِها عُوذاً تأجّلُ بالفَضاءِ بِهامُها [2]

---

١ –الأيهقان . بفتح الهاء وضمها : ضرب من النبت وهو الجرجير البري . أطفلت أي صارت ذوات الاطفال . الجهلتان : جانبا الوادي . ثم اخبر عن اخصاب الديار واعشابها فقال : فعلت بها فروع هذا الضرب من النبت واصبحت الظباء والنعام ذوات اطفال بجانبي وادي هذه الديار ، قوله : ظباؤها ونعامها ، يريد : واطفلت ظباؤها وباضت نعامها ، لان النعام تبيض ولا تلد الاطفال ، ولكنه عطف النعام على الظباء في الظاهر لزوال اللبس . ومثله قول الشاعر :

اذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيونا

أي وكحلن العيون ، وقول الآخر :

تراه كأن الله يجدع انفه وعينيه أن مولاه صار له وفر

أي ويفقأ عينيه ، وقول الآخر :

يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحا

أي وحاملاً رمحاً ، تضبط نظائر ما ذكرنا ، وزعم كثير من الأئمة النحويين والكوفيين أن هذا المذهب سائغ في كل موضع ، ولوّح ابو الحسن الأخفش إلى أن المعول فيه على السماع .

٢–العين : واسعات العيون . الطلا : ولد الوحش حين يولد إلى ان يأتي عليه شهر ، والجمع الاطلاء ، ويستعار لولد الإنسان وغيره . العوذ : الحديثات النتاج ، الواحدة عائذ ، مثل عائط وعوط وحائل وحول وبازل وبزل وفاره وفره ، وجمع الفاعل على فعل قليل معول فيه على الحفظ . الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والجمع الآجال ، والتأجل : صيرورتها أجلا أجلا . الفضاء : الصحراء . البهام : أولاد الضأن إذا انفردت ، واذا اختلطت

وَجَلا السّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كأنّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتُونَها أقْلامُها [1]

أَوْ رَجْعُ وَاشِمَةٍ أُسِفَّ نَؤُورُها كِفَفاً تَعرَّضَ فَوْقَهُنَّ وَشامُها [2]

بأولاد الضأن أولاد المعز قيل للجميع بهام، وإذا انفردت اولاد المعز من أولاد الضأن لم تكن بهاماً ، وبقر الوحش بمنزلة الضأن ، وشاه الجبل بمنزلة المعز عند العرب، وواحد البهام بهم ، وواحد البهم بهمة ، ويجمع البهام على البهامات يقول : والبقر الواسعات العيون قد سكنت وأقامت على أولادها ترضعها حال كونها حديثات النتاج وأولادها تصير قطيعاً في تلك الصحراء ؛ فالمعنى من هذا الكلام : أنها صارت مغنى الوحوش بعد كونها مغنى الإنس . ونصب عوذاً على الحال من العين .

١- جلا : كشف ، يجلو جلاء ، وجلوت العروس جلوة من ذلك ، وجلوت السيف جلاء صقلته ، منه ايضاً . السيول : جمع سيل مثل بيت وبيوت شيخ وشيوخ . الطلول : جمع الطلل . الزبر : جمع زبور وهو الكتاب ، والزبر الكتابة ، والزبور فعول بمعنى المفعول بمنزلة الركوب والحلوب بمعنى المركوب والمحلوب . الإجداد والتجديد واحد .
يقول : وكشفت السيول عن أطلال الديار فأظهرتها بعد ستر التراب إياها ، فكأن الديار كتب تجدد الأقلام كتابتها ، فشبه كشف السيول عن الأطلال التي غطاها التراب بتجديد الكتّاب سطور الكتاب الدارس ، وظهور الأطلال بعد دروسها بظهور السطور بعد دروسها ، واقلام مضافة إلى ضمير زبر ، واسم كأن ضمير الطلول .

٢- الرجع : الترديد والتجديد ، وهو من قولهم : رجعته أرجعته رجعاً فرجع يرجع رجوعاً . وقد فسرنا الواشمة . الاسفاف : الذر ، وهو من قولهم : سف زيد السويق وغيره يسفه سفاً وأسففته السويق وغيره ، ثم يقال : أسففت الدواء الجرح والكحل العين . النؤور : ما يتخذ من دخان السراج

فوَقفتُ أسأَلُها ، وكَيفَ سُؤالُنا   صُمّاً خَوَالِدَ ما يَبينُ كَلامُها[1]

والنار ، وقيل : النيلج . الكفف : جمع كفة وهي الدارات ، وكل شيء مستدير كفة ، بكسر الكاف ، وجمعها كفف ، وكل مستطيل كفة ، بضمها ، والجمع اكفف ، كذا حكى الائمة . تعرض وأعرض : ظهر ولاح . الوشام : جمع وشم ؛ شبه ظهور الأطلال بعد دروسها بتجديد الكتابة وتجديد الوشم .

يقول : كأنها زبر أو ترديد واشمة وشماً قد ذرت نؤورها في دارات ظهر الوشام فوقها فأعادتها كما تعيد السيول الأطلال إلى ما كانت عليه ، فجعل إظهار السيل الأطلال كإظهار الواشمة الوشم ، وجعل دروسها كدروس الوشم . نؤورها : اسم ما لم يسمّ فاعله ، وكففاً هو المفعول الثاني بقي على انتصابه بعد إسناد الفعل إلى المفعول . وشامها : فاعل تعرض وقد أضيف إلى ضمير الواشمة .

الصم : الصلاب ، والواحد أصم والواحدة صماء . خوالد : بواق . يبين : يبين ، بأن يبين بياناً ، وأبان قد يكون بمعنى أظهر ويكون بمعنى ظهر ، وكذلك بين وتبين قد يكون بمعنى ظهر ، وقد يكون بمعنى عرف ، واستبان كذلك ، فالأول لازم والأربعة الباقية قد تكون لازمة وقد تكون متعدية ، وقولهم : بين الصبح لذي عينين . أي ظهر فهو هنا لازم . ويروى في البيت : ما يبين كلامها وما يبين ، بفتح الياء وضمها ، وهما بمعنى ظهر .

يقول : فوقفت اسأل الطلول عن قطانها وسكانها ، ثم قال : وكيف سؤالنا حجارة صلاباً بواقي لا يظهر كلامها ، أي كيف يجدي هذا السؤال على صاحبه وكيف ينتفع به السائل ؟ لوح إلى أن الداعي إلى هذا السؤال فرط الكلف والشغف وغاية الوله ، وهذا مستحب في النسيب والمرثية لأن الهوى والمصيبة يدلهان صاحبها .

عَرِيَتْ وكانَ بها الجَميعُ فأَبْكَرُوا مِنْها وَغُودِرَ نُؤْيُها وَثُمامُها[1]
شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حينَ تَحَمَّلوا فَتَكَنَّسُوا قُطُناً تَصِرُّ خِيامُها[2]

١- بكرت من المكان وأبكرت وابتكرت بمعنى أي سرت منه بكرة. المغادرة : الترك ، غادرت الشيء تركته وخلفته ، ومنه الغدير لأنه ماء تركه السيل وخلفه ، والجمع الغدر والغدران والأغدرة . النؤي : نهير يحفر حول البيت لينصب إليه الماء من البيت ، والجمع نؤي وأنآء وتقلب فيقال آناء مثل أبآر وآبار وأرآء وآراء . الثمام : ضرب من الشجر رخو يسد به خلل البيوت .
يقول : عريت الطلول عن قطانها بعد كون جميعهم بها فساروا منها بكرة وتركوا النؤي والثمام ، أي لم يبق بمنازلهم آثار إلا النؤي والثمام ، وإنما لم يحملوا الثمام لأنه لا يعوزهم في محالهم .
٢- الظعن : بتسكين العين تخفيف الظعن بضمها ، وهي جمع الظعون : وهو البعير الذي عليه هودج وفيه امرأة ، وقد يكون الظعن جمع ظعينة وهي المرأة الظاعنة مع زوجها ، ثم يقال لها وهي في بيتها ظعينة ، وقد يجمع بالظعائن ايضاً . التكنس : دخول الكناس والاستكنان به . القطن : جمع قطين وهو الجماعة ، والقطن واحد . الصرير : صوت الباب والرحل وغير ذلك . يقول : حملتك على الاشتياق والحنين نساء الحي أو مراكبهن يوم ارتحل الحي ودخلوا في الكنس ، جعل الهوادج للنساء بمنزلة الكنس للوحش ، ثم قال : وكانت خيامهم المحمولة تصر لجدتها . وتلخيص المعنى : دعتك إلى الاشتياق والنزاع وحملتك عليهما نساء القبيلة حين دخلن هوادجهن جماعات في حال صرير خيامهن المحمولة أو دخلن هوادج غطيت بثياب القطن ، والقطن من الثياب الفاخرة عندهم ، والضمير في تكنسوا للحي ، والمضمر الذي أضيف إليه الخيام للظعن ، وقطناً منصوب على الحال إن جعلته جمع قطين ، ومفعول به إن جعلته قطناً .

مِنْ كُلِّ مَحفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وقِرامُها[1]
زُجَلاً كأنَّ نِعاجَ تُوضِحَ فَوْقَها وظِباءَ وَجْرَةَ عُطَّفاً أرْآمُها[2]
حُفِزَتْ وزَايَلَها السَّرابُ كأنَّها أجْزاعُ بِيشَةَ أثْلُها ورِضامُها[3]

١- حف الهودج وغيره بالثياب : إذا غطي بها ، وحف الناس حول الشيء أحاطوا به . أظل الجدار الشيء : إذا كان في ظل الجدار . العصي هنا : عيدان الهودج . الزوج : النمط من الثياب ، والجمع الأزواج . الكلة : الستر الرقيق ، والجمع الكلل . القرام : الستر ، والجمع القرم ، ثم فصل الظعن فقال : هي من كل هودج حف بالثياب يظل عيدانه نمط أرسل عليه ، ثم فصل الزوج فقال : هو كلة ، وعبر بها عن الستر الذي يلقى فوق الهودج لئلا تؤذي الشمس صاحبته ، وعبر بالقرام عن الستر المرسل على جوانب الهودج ؛ وتحرير المعنى : الهوادج محفوفة بالثياب فعيدانها تحت ظلال ثيابها ، والمضمر بعد القرام للعصي أو الكلة .

٢- الزجل : الجماعات ، الواحدة زجلة . النعاج : إناث بقر الوحش ، الواحدة نعجة . وجرة : موضع بعينه . العطف جمع العاطف الذي هو الترحم أو من العطف الذي هو الثني . الأرآم : جمع الرئم وهي الظبي الخالص البياض .
يقول : تحملوا جماعات كأن إناث بقر الوحش فوق الإبل ، شبه النساء في حسن الأعين والمشي بها أو بظباء وجرة في حال ترحمها على أولادها أو في حال عطفها أعناقها للنظر إلى أولادها ، شبه النساء بالظباء في هذه الحال لأن عيونها أحسن ما تكون في هذه الحال لكثرة مائها ؛ وتحرير المعنى : أنه شبه النساء ببقر توضح وظباء وجرة في كحل أعينها ؛ نصب زجلاً على الحال والعامل فيها تحملوا ، ونصب عطفاً على الحال ، ورفع أرآمها لأنها فاعل والعامل فيها الحال السادة مسد الفعل .

٣- الحفز : الدفع ، والفعل حفز يحفز . الأجزاع : جمع جزع وهو منعطف الوادي . بيشة : واد بعينه . الأثل : شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم

بَلْ ما تَذكَّرُ من نَوَارَ وَقَدْ نأَتْ   وَتَقَطَّعَتْ أَسبابُها وَرِمامُها[1]
مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بفَيْدَ وَجاوَرَتْ   أَهْلَ الحجازِ فأَينَ منكَ مَرامُها[2]

منها . الرضام : الحجارة العظام ، الواحدة رضمة ، والجنس رضم . يقول : دفعت الظعن ، أي ضربت الركاب ، لتجد في السير وفارقها قطع السراب ، أي لاحت خلال قطع السراب ولمعت ، فكأن الظعن منعطفات وادي بيشة أثلها وحجارتها العظام ، شبهها في العظم والضخم بها ؛ والضمير الذي أضيف إليه ورضام لبيشة .

١– نوار : اسم امرأة يشبب بها . النأي : البعد . الرمام : جمع الرمة وهي قطعة من الحبل خلقة ضعيفة . ثم أضرب عن صفة الديار ووصف حال احتمال الأحباب بعد تمامها وأخذ في كلام آخر من غير إبطال لما سبق . بل ، في كلام الله تعالى ، لا تكون إلا بهذا المعنى ، لأنه لا يجوز منه إبطال كلامه وإكذابه . قال مخاطباً نفسه : أي شيء تتذكرين من نوار في حال بعدها وتقطع اسباب وصولها ما قوي منها وما ضعف .

٢– مرية : منسوبة إلى مرة . فيد : بلدة معروفة ، ولم يصرفها لاستجماعها التأنيث والتعريف ، وصرفها سائغ ايضاً لأنها مصوغة على أخف أوزان الأسماء فعادلت الخفة احد السببين فصارت كأنه ليس فيها إلا سبب واحد لا يمنع الصرف ، وكذلك حكم كل اسم كان على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط مستجمعاً للتأنيث والتعريف نحو هند ودعد ، وأنشد النحويون :

لم تتلفع بفضل مئزرها   دعد ولم تغذ دعد في العلب

ألا ترى الشاعر كيف جمع بين اللغتين في هذا البيت ؟

يقول : نوار امرأة من مرة حلت بهذه البلدة وجاورت أهل الحجاز ، يريد أنها تحل بفيد احياناً وتجاور اهل الحجاز ، وذلك في فصل الربيع وأيام

بِمَشَارِقِ ٱلْجَبَلَيْنِ أَوْ بِمُحَجَّرٍ   فَتَضَمَّنَتْهَا فَرْدَةٌ فَرُخَامُهَا [1]

فَصُوَائِقٌ إِنْ أَيْمَنَتْ فَمِظَنَّةٌ   فِيهَا وِحَافُ ٱلْقَهْرِ أَوْ طِلْخَامُهَا [2]

الإنتاج لأن الحال بفيد لا يكون مجاوراً أهـــل الحجاز لأن بينها وبين الحجـــاز مسافة بعيدة وتيهاً قذفاً ، وتلخيص المعنى انه يقول : هي مرية تتردد بين الموضعين وبينها وبين بلادك بعد ، وكيف يتيسر لك طلبهـــا والوصول إليها ؟

١ـ عنى بالجبلين : جبلي طي أجأ وسلمى . المحجر : جبل آخر . فردة : جبل منفرد عن سائر الجبال سمي بها لانفراده عن الجبال . رخام : أرض متصلة بفردة لذلك أضافها إليها .

يقول : حلت نوار بمشارق أجأ وسلمى ، أي جوانبها التي تلي المشرق ، أو حلت بمحجر فتضمنتها فردة فالأرض المتصلة بها وهي رخام ، وإنما يحصي منازلها عند حلولها بفيد ، وهذه الجبال قريبة منهـــا بعيدة من الحجاز . تضمن الموضع فلاناً إذا حصل فيه ، وضمنته فلاناً إذا حصلته فيـــه ، مثل قولك : ضمنته القبر فتضمنه القبر .

٢ـ يقال : أيمن الرجل إذا أتى اليمن ، مثل أعرق إذا أتى العراق وأخيف إذا أتى خيف منى . مظنة الشيء : حيث يظن كونه فيه ، ومن الظن ، بالظاء ، وأما قولهم : علق مضنة ، وهو من الضن ، بالضاد ، أي هو شيء نفيس يبخـــل به . صوائق : موضع معروف . وحاف القهر ، بالراء غير معجمة : موضـــع معروف ، ومنهم من رواه بالزاي معجمة . طلخام : موضع معروف ايضاً .

يقول : وإن انتجعت نحو اليمن فالظن أنها تحل بصوائق وتحل من بينهـــا بوحاف القهر أو بطلخام ، وهما خاصان الأضافة إلى صوائق . وتلخيص المعنى : أنها إن أتت اليمن حلت بوحاف القهر أو طلخام من صوائق .

فاقْطَعْ لُبانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ   وَلَشَرُّ واصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها[1]

وَاحْبُ الُمجامِلَ بِالَجزيلِ وَصَرْمُهُ   باقٍ إذا ظَلَعَتْ وَزَاغَ قِوامُها[2]

١– اللبانة : الحاجة . الخلة : المودة المتناهية ، والخليل والخـل والخلة واحد . الصرام : القطاع ، فعال من الصرم وهو القطع ، والفعل صرم يصرم . ثم أضرب عن ذكر نوار وأقبـل على نفسه مخاطباً إياها فقال : فاقطع أربك وحاجتك ممن كان وصله معرضاً للزوال والانتقاض ، ثم قـال : وشر من وصل محبة أو حبيباً من قطعها ، أي شر واصلي الأحباب أو المحبات قطاعها ، يذم من كان وصله في معرض الانتكاث والانتقـاض . ويروى : والخير واصلي ، وهذه أوجه الروايتين وأمثلها ، أي خير واصلي المحبات أو الأحباب إذا رجا غيرهم قطاعها إذا يئس منه . قوله : لبانة من تعرض ، أي لبانتك منه ، لأن قطع لبانته منك ليس إليك .

٢– حبوته بكذا أحبوه حباء : إذا أعطيته إياه . المجامل : المصانع ، ويروى : المحامل ، أي الذي يتحمل أذاك كما تتحمل أذاه . بالجزيل أي بالود الجزيل . الجزالة والكمال والتمام ، وأصله الضخم والغلظ ، والفعـل جزل يجزل ، والنعت جزل وجزيل ، ومنه : خطب جزل وجزيل وعطاء جزل وجزيل ، وقد أجزل عطيته وفرها وكثرها . الصرم : القطيعة . الظلع : غمز من الدواب . الزيـغ : الميل ، والإزاغة الإمالة . قوام الشيء ما يقوم به .

يقول : واحب من جاملك وصانعك وداراك بود كامل وافر ، ثم قـال : وقطيعته باقية إن ظلعت خلته ومال قوامهـا ، أي إن ضعفت أسبابها ودعائمهـا ، أي إن حال المجامل عن كرم العهد فأنت قادر على صرمه وقطيعته فالمضمر الذي أضيف إليه قوامها للخلة و كذلك المضمر في ظلعت.

بطَليحِ أسْفارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً مِنْها فأَحْنَقَ صُلْبُها وَسَنامُها [1]

وَإذا تَعالَى لَحْمُها وَتَحَسَّرَتْ وَتَقَطَّعَتْ بعدَ الكَلالِ خِدامُها [2]

فَلَها هِبابٌ في الزِّمامِ كأَنَّها صَهْباءُ خَفَّ مَعَ الجَنوبِ جَهامُها [3]

١- الطلح والطليح : المعي ، وقد طلحت البعير أطلحه طلحاً أعييته ، فطليح فعيل بمعنى مفعول بمنزلة الجريح والقتيل ، وطلح فعل في معنى مفعول بمنزلة الذبح والطحن بمعنى المذبوح والمطحون . أسفار : جمع سفر . الإحناق : الضمر . الباء في قوله بطليح من صلة وصرمه .

يقول : إذا زال قوام خلته فأنت تقدر على قطيعته بركوب ناقة أعيتها الأسفار وتركت بقية من لحمها وقوتها فضمر صلبها وسنامها ؛ وتلخيص المعنى : فأنت تقدر على قطيعته بركوب ناقة قد اعتادت الأسفار ومرنت عليها .

٢- تغالى لحمها : ارتفع إلى رؤوس العظام ، من الغلاء وهو الارتفاع ، ومنه قولهم : غلا السعر يغلو غلاء، إذا ارتفع . تحسرت أي صارت حسيراً ، أي كالة معيية عارية عن اللحم . الخدام : جمع خدم ، والخدم جمع خدمة ، وهي سيور تشد بها النعال إلى أرساغ الإبل .

يقول : فإذا ارتفع لحمها إلى رؤوس عظامها وأعيت وعريت عن اللحم وتقطعت السيور التي تشد بها نعالها بعد إعيائها . وجواب إذا في البيت الذي بعده .

٣- الهباب : النشاط . الصهباء : الحمراء ، يريد كأنها سحابة صهباء ، فحذف الموصوف . خف يخف خفوفاً : أسرع . الجهام : السحاب الذي أراق ماءه . يقول : فلها في مثل هذا الحال نشاط في السير في حال قود زمامها فكأنها في سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التي هراقت ماءها فانفردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها .

أو مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لأَحقبَ لاحَهُ   طَرْدُ الفُحولِ وضَرْبُها وكِدامُها[1]
يَعلو بها حَدَبَ الإكامِ مُسَحَّجٌ   قد رابَهُ عِصيانُها ووِحامُها[2]

١– ألمعت الأتان فهي ملمع : أشرق طبياهـا باللبن . وسقت : حملت ، تسق وسقاً . الأحقب : العير الذي في وركيه بيـاض أو في خاصرتيه . لاحه ولوحه غيره . ويروى : طرد الفحولة ضربها وعذابهـا ؛ الفحول والفحولة والفحاله : جمع فحل . الكدام : يجوز أن يكون بمنزلة الكدم وهو العض ، وأن يكون بمنزلة المكادمة وهي المعاضة .

يقول : كأنها صهباء أو أتان أشرقت أطباؤها باللبن وقد حملت تولباً لفحل أحقب قد غير وهزل ذلك الفحل طرده الفحول وضربه إياهـا وعضه أو طرد الفحول وضربها وعضها إياه . وتلخيص المعنى : أنهـا تشبه في شدة سيرها هذه السحابة أو هذه الأتان التي حملت تولباً لمثل هذا الفحل الشديد الغيرة عليها فهو يسوقها سوقاً عنيفاً .

٢– الإكام : جمع أكم ، وكذلك الآكام والأكم جمع أكمة ، ويجمع الآكام على الأكم . حدبها : ما احدودب منهـا . السحج : القشر والخدش العنيف ، والتسحيج مبالغة السحج . الوحام والوحم : اشتهاء الحبلى للشيء ، والفعل وحمت توحم وتاحم وتيحم ، وهـذا القياس مطرد في فعل يفعل من معتل الفاء .

يقول : يعلي هذا الفحل الأتان الأكام إتعاباً لها وإبعاداً بها عن الفحول وقد شككه في أمرها عصيانها إياه في حال حملهـا واشتهاؤها إياه قبله . والمسحج : العير المعضض .

بأحِزَّةِ الثَّلَبُوتِ يَرْبَأُ فَوْقَها قَفْرَ ٱلْمَرَاقِبِ خَوْفُها آرَامُها [1]
حتى إذا سَلَخا جُمادى سِتَّةً جَزَآ فطالَ صِيامُهُ وَصِيامُها [2]
رَجَعَا بأَمْرِهِما إلى ذي مِرَّةٍ حَصِدٍ ونُجْعُ صَرِيمَةٍ إبرامُها [3]

١ـ الأحزة : جمع حزيز وهو مثـــل القف . ثلبوت : موضع بعينه . ربأت القوم وربأت لهم أربأ ربأ : كنت ربيئة لهم . القفر : الخالي ، الجمع القفار. المراقب: جمع مرقبة وهو الموضع الذي يقوم عليه الرقيب ، ويريد بالمراقب الأماكن المرتفعة . الآرام : أعلام الطريق ، الواحد أرم .
يقول : يعلو العير بالأتان الإكام في قفاف هـــذا الموضع ويكون رقيباً لها فوقها في موضع خالي الأماكن المرتفعة وإنما يخاف أعلامها ، أي يخـــاف استتار الصيادين بأعلامها . وتلخيص المعنى : أنهما بهذا الموضع والعير يعلو إكامه لينظر إلى أعلامها هل يرى صائداً استتر بعلم منها يريد أن يرميها .

٢ـ سلخت الشهر وغيره أسلخـــه سلخاً : مر عليَّ ، وانسلخ الشهر نفسه . جمادى : اسم للشتاء ، سمي بها لجمود الماء فيه ، ومنه قول الشاعر :
في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
أي من الشتاء . جزأ الوحش يجزأ جزءاً : اكتفى بالرطب عن المـــاء . الصيام : الإمساك في كلام العرب ، ومنه الصوم المعروف لأنه إمساك عن المفطرات .
يقول : أقامـــا بالثلبوت حتى مرَّ عليهما الشتاء ستة أشهر الربيع فاكتفيا بالرطب عن الماء وطال إمساك العير وإمساك الأتان عنه ، وستة بدل من جمادى لذلك نصبها ، وأراد ستة أشهر فحذف أشهراً لدلالة الكلام عليه .

٣ـ الباء في بأمرهما زائدة إن جعلت رجعا من الرجع ، أي رجعا أمرهما أي

وَرَمَى دَوَابِرَها السَّفا وَتَهَيَّجَتْ   ويحُ ٱلْمَصَايفِ سَوْمُها وَسِهامُها[1]
فَتَنَازَعا سَبِطاً يَطيرُ ظِلالُهُ   كَدُخانِ مُشْعَلَةٍ يُشَبُّ ضِرَامُها[2]

أسنداه ، وإن جعلته من الرجوع كانت الباء للتعدية . المرة : القوة ، والجمع المرر ، وأصلها قوة الفتل ، والإمرار إحكام الفتل. الحصد: المحكم ، والفعل حصد يحصد ، وقد أحصدت الشيء أحكمته . النجح والنجاح : حصول المراد . الصريمة : العزيمة التي صرمها صاحبها عن سائر عزائمه بالجد في إمضائها والجمع الصرائم . الإبرام : الإحكام .

يقول : أسند العير والأتان أمرهما إلى عزم أو رأى محكم ذي قوة وهو عزم العير على الورود أو رأيه فيه ، ثم قال : وإنما يحصل المرام بإحكام العزم .

١- الدوابر : مآخير الحوافر . السفا : شوك البهمي وهو ضرب من الشوك . هاج الشيء يهيج هيجاناً واهتاج اهتياجاً وتهيج تهيجاً : تحرك ونشأ ، وهجته هيجاً وهيجته تهييجاً . المصايف : جمع المصيف وهو الصيف . السوم : المرور ، والفعل سام يسوم . السهام : شدة الحر .

يقول : وأصاب شوك البهمي مآخير حوافرها، وتحرك ريح الصيف مرورها وشدة حرها ، يشير بهذا إلى انقضاء الربيع ومجيء الصيف واحتياجهما إلى ورود الماء .

٢- التنازع : مثل التجاذب . السبط : الممتد الطويل . كدخان مشعلة أي نار مشعلة ، فحذف الموصوف . شب النار وإشعالها واحد . والفعل منه شب يشب . الضرام : دقاق الحطب ، واحدها ضرم وواحد الضرم ضرمة ، وقد ضرمت النار واضطرمت وتضرمت التهبت ، وأضرمتها وضرمتها أنا. سبطاً أي غباراً سبطاً ، فحذف الموصوف .

يقول : فتجاذب العير والأتان في عدوهما نحو الماء غباراً ممتداً طويلاً

مَشْمُولَةٍ غُلِثَتْ بِنابِتِ عَرْفَجٍ   كَدُخانِ نارٍ ساطِعٍ أَسْنامُها [1]
فَمَضَى وَقَدَّمَها وكانَتْ عادَةً   مِنْهُ إذا هِيَ عَرَّدَتْ إِقْدامُها [2]

كدخان نار موقدة تشعل النار في دقاق حطبها، وتلخيص المعنى. أنه جعل الغبار الساطع بينهما يعدوهما كثوب يتجاذبانه ، ثم شبهه في كثافته وظلمته بدخان نار موقدة .

١ – مشمولة : هبت عليها ريح الشمال ، وقد شمل الشيء أصابته ريح الشمال . الغلث والعلث : الخلط ، والفعل غلث يغلث ، بالغين والعين جميعاً. النابت : الغض ، ومنه قول الشاعر :

ووطئتنا وطأً على حنق   وطء المقيد نابت الهرم

أي غضه . العرفج : ضرب من الشجر ، ويروى : عليت بنابت ، أي وضع فوقها . الأسنام: جمع سنام ؛ ويروى: بثابت أسنامها ، وهو الارتفاع والرفع جميعاً .

يقول : هذه النار قد أصابتها الشمال وقد خلطت بالحطب اليابس والرطب الغض كدخان نار قد ارتفع أعاليها ، وسنام الشيء أعلاه ، شبه الغبار الساطع من قوائم العير والأتان بنار أوقدت بحطب يابس تسرع فيه النار وحطب غض ، وجعلها كذلك ليكون دخانها أكثف فيشبه الغبار الكثيف ، ثم جعل هذا الدخان الذي شبه الغبار كدخان نار قد سطع أعاليها في الاضطرام والالتهاب ليكون دخانه أكثر ، وجر مشمولة لأنها صفة لمشعلة ، وقوله : كدخان نار ساطع أسنامها ، صفة أيضاً ، إلا أنه كرر قوله كدخان لتفخيم الشأن وتعظيم القصة ، كنظائره من مثل :

أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه

وهو أكثر من أن يحصى .

٢– التعريد : التأخر والجبن . الإقدام هنا بمعنى التقدمة لذلك أنث فعلها فقال

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِراً قُلَّامُها [1]
مَحْفُوفَةً وَسْطَ الْيَرَاعِ يُظِلُّهـا مِنْهُ مُصَرَّعُ غابَةٍ وَقِيامُها [2]
أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَـةٌ خَذَلَتْ وَهادِيَةُ الصِّوَارِ قِوامُها [3]

وكانت ، أي وكانت تقدمة الأتان عادة من العير ؛ وهذا مثل قول الشاعر :

غفرنا وكانت من سجيتنا الغفر

أي وكانت المغفرة من سجيتنا ؛ وقال رويشد بن كثير الطائي .

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

أي ما هذه الاستغاثة ، لأن الصوت مذكر .

يقول : فمضى العير نحو الماء وقدم الأتان لئلا تتأخر ، وكانت تقدمة الأتان عادة من العير إذا تأخرت هي ، أي خاف العير تأخرها .

١– العرض : النـــاحية . السري : النهر الصغير ، والجمع الأسرية . التصديـع التشقيق . السجر : الملء ، أي عيناً مسجورة ، فحذف الموصوف لمـا دلت عليه الصفة . القلام : ضرب من النبت .

يقول : فتوسط العير والأتان جانب النهر الصغير وشقا عيناً مملوءة ماء قد تجاور قلامها ، أي كثر هذا الضرب من النبت عليها . وتحرير المعنى : أنهما قد وردا عيناً ممتلئة ماء فدخلا فيها من عرض نهرها وقد تجاور نبتها .

٢– اليراع : القصب . الغابة : الأجمة ، والجمع الغـــاب . المصرع : مبالغة المصروع . القيام : جمع قائم .

يقول : قد شقا عيناً قد حفت بضروب النبت والقصب فهي وسط القصب يظلها من القصب ما صرع من غابتها وما قام منها ، يريد أنها في ظل قصب بعضه مصروع وبعضه قائم .

٣– مسبوعة أي قد أصابها السبـع بافتراس ولدها . الهادية : المتقدمة والمتقدم

خَنْساءُ ضَيَّعَتِ الفَريرَ فَلَمْ تَرِمْ ... عُرْضَ الشَّقائِقِ طَوْفُها وَبُغامُها [1]

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنازَعَ شِلْوَهُ ... غُبْسٌ كَواسِبُ لا يُمَنُّ طَعامُها [2]

أيضاً ، فتكون التاء إذن للمبالغة . الصوار والصيار : القطيع من بقر الوحش ، والجمع الصيران . قوام الشيء : ما يقوم به هو .

يقول : أفتلك الأتان المذكورة تشبه ناقتي في الإسراع في السير أم بقرة وحشية قد افترس السبع ولدها حين خذلته وذهبت ترعى مع صواحبها وقوام أمرها الفحل الذي يتقدم القطيع من بقر الوحش . وتحرير المعنى : أناقتي تشبه تلك الأتان أو هذه البقرة التي خذلت ولدها وذهبت ترعى مع صواحبها وجعلت هادية الصوار قوام أمرها فافترست السباع ولدها فأسرعت في السير طالبة لولدها .

١– الخنس : تأخر في الأرنبة . الفرير : ولد البقرة الوحشية ، والجمع فرار على غير قياس . الريم : البراح ، والفعل رام يريم. العرض : الناحية . لشقائق: جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رملتين . البغام صوت رقيق .

يقول : هذه الوحشية قد تأخرت أرنبتها والبقر كلها خنس وقد ضيعت ولدها ، أي خذلته حتى افترسته السباع فذلك تضييعها إياه ، ثم قال : ولم يبرح طوفها وخوارها نواحي الأرضين الصلبة في طلبه . وتحرير المعنى : ضيعته حتى صادته السباع فطلبته طائفة وصائحة فيما بين الرمال .

٢– العفر والتعفير : الإلقاء على العفر وهو أديم الأرض . القهد : الأبيض . التنازع : التجاذب . الشلو : العضو ، وقيل هو بقية الجسد ، والجمع الأشلاء. الغبس جمع أغبس وغبساء ، والغبسة : لون كلون الرماد . المن : القطع ، والفعل من يمن ، ومنه قوله تعالى : « لهم أجر غير ممنون » ؛ ومنه سمي

صادَفْنَ مِنْها غِرَّةً فَأَصبْنَها ان ّ اَلمنايا لا تَطيشُ سِهامُها [1]

باتَت ْ وَأَسبَلَ وَاكِفٌ من دِيمَةٍ يُرْوي اَلخمائِلَ دائماً تَسْجامُها [2]

الغبار منيناً لانقطاع بعض أجزائه عن بعض ، والدهر والمنية منوناً لقطعها أعمار الناس وغيرهم .

يقول : هي تطوف وتبغم لأجل جؤذر ملقى على الأرض أبيض قد تجاذبت أعضاءه ذئاب أو كلاب غبس لا يقطع طعامها ، أي لا تفتر في الاصطياد فينقطع طعامها ، هذا إذا جعلت غبساً من صفة الذئاب ، وإن جعلتها من صفة الكلاب فمعناه : لا يقطع أصحابها طعامها ؛ وتحرير المعنى : أنها تجدّ في الطلب لأجل فقدها ولداً قد ألقي على أديم الأرض وافترسته كلاب أو ذئاب صوائد قد اعتادت الاصطياد ، وبقر الوحش بيض ما خلا أوجهها وأكارعها ، لذلك قال قهد . الكسب : الصيد في البيت .

١– الغرة : الغفلة . الطيش : الانحراف والعدول .

يقول : صادفت الكلاب أو الذئاب غفلة من البقرة فأصبن تلك الغفلة او تلك البقرة بافتراس ولدها ، أي وجدتها غافلة عن ولدها فاضطادته ، ثم قال : وإن الموت لا تطيش سهامه ، أي لا مخلص من هجومه ، واستعار له سهاماً واستعار للاخطاء لفظ الطيش ، لأنه السهم إذا أخطأ الهدف فقد طاش عنه .

٢– الوكف والوكفان واحد ، والفعل منهما وكف يكف أي قطر . الديمة : مطرة تدوم وأقلها نصف يوم وليلة ، والجمع الديم ، وقد دومت السحابة إذا كان مطرها ديمة ، وأصل ديمة دومة فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم قلبت في الديم حملاً على القلب في الواحد . الخمائل : جمع خميلة وهي كل رملة ذات نبت عند الاكثر من الائمة ، وقال جماعة منهم : وهي ارض

يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ في لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمامُها[1]
تَجْتافُ أَصْلاً قالِصاً مُتَنَبِّذاً بِعُجُوبِ أَنْقَاءٍ يَميلُ هَيامُها[2]

ذات شجر . التسجم : في معنى السجم او السجوم ، يقال : سجم الدمع وغيره يسجمه سجماً فسجم هو يسجم سجوماً أي صبه فانصب .

يقول : باتت البقرة بعد فقدها ولدها وقد أسبل مطر واكف من مطر دائم يروي الرمال المنبتة والأرضين التي بها اشجار في حال دوام سكبها الماء ، أي باتت في مطر دائم الهطلان . وواكف يجوز ان يكون صفة مطر ويجوز ان يكون صفة سحاب .

١ـ طريقة المتن : خط من ذنبها إلى عنقها . الكفر : التغطية والستر .
يقول : يعلو صلبها قطر متواتر في ليلة ستر غمامها نجومها .

٢ـ الاجتياف : الدخول في جوف الشيء ، ويروى : تجتاب ، بالباء ، أي تلبس . التنبذ : التنحي من النبذة وهي الناحية . العجب : أصل الذنب ، والجمع العجوب ، فاستعاره لأصل النقا ، والنقا : الكثيب من الرمل ، والتثنية نقوان ونقيان ، والجمع أنقاء . الهيام : ما لا تماسك به من الرمال ، وأصله من هام يهيم .

يقول : وقد دخلت البقرة الوحشية في جوف أصل شجرة متنح عن سائر الشجر وقد قلصت اغصانها وذلك الشجر في أصول كثبان من الرمل يميل ما لا يتماسك منها عليها لهطلان المطر وهبوب الريح . وتحرير المعنى : أنها تستتر من البرد والمطر بأغصان الشجر ولا تقيها البرد والمطر لتقلصها وتنهال كثبان الرمل عليها مع ذلك .

وَتُضِيءُ في وَجْهِ الظَّلامِ مُنيرَةً كَجُمانَةِ ٱلبَحْرِيِّ سُلَّ نِظامُها[1]

حتى إذا انْحَسَرَ الظَّلامُ وَأسفَرَتْ بَكَرَتْ تَزِلُّ عَنِ الثَّرَى أزْلامُها[2]

عَلِهَتْ تَرَدَّدُ في نِهاءِ صُعائِدٍ سَبْعاً تُؤاماً كامِلاً أيّامُها[3]

١- الإضاءة والإنارة : يتعدى فعلها ويلزم ، وهما لازمان في البيت . وجه الظلام : أوله ، وكذلك وجه النهار . الجمان والجمانة : درة مصوغة من الفضة ، ثم يستعاران للدرة ، وأصله فارسي معرب وهو كانة .
يقول : وتضيء هذه البقرة في أول ظلام الليل كدرة الصدف البحري أو الرجل البحري حين سل النظام منها ، شبه البقرة في تلألؤ لونها بالدرة وإنما خص ما يسل نظامها إشارة إلى أنها تعدو ولا تستقر كما تتحرك وتنتقل الدرة التي سل نظامها ، وإنما شبهها بها لأنها بيضاء متلألئة ما خلا أكارعها ووجهها .

٢- الانحسار : الانكشاف والانجلاء . الإسفار : الإضاءة إذا لزم فعلها الفاعل ، والأزلام : قوائمها ، جعلها أزلاماً لاستوائها ، ومنه سميت القداح أزلاماً ، والتزليم التسوية ، وواحد الأزلام زلم ، والزلمة القد ، ومنه قولهم : هو العبد زلمه ، أي قده قد العبد .
يقول : حتى إذا انكشف وانجلى ظلام الليل وأضاء بكرت البقرة من مأواها فتزل قوائمها عن التراب الندي لكثرة المطر الذي أصابه ليلاً .

٣- العله والهلع : الانهماك في الجزع والضجر ؛ ويروى تلبد ، أي تتحير وتتعمه . النهاء جمع نهي ونهي ، بفتح النون وكسرها : وهما الغدير ، وكذلك الأنهاء . صعائد : موضع بعينه . التؤام : جمع توأم .
يقول : أمعنت في الجزع وترددت متحيرة في وهاد هذا الموضع ومواضع غدرانه سبع ليال تؤام للأيام وقد كملت أيام تلك الليالي ، أي ترددت

حتى إذا يَئِسَتْ وَأَسْحَقَ حالِقٌ لم يُبْلِهِ إرْضاعُها وَفِطامُها [1]

فَتَوَجَّسَتْ رِزَّ الأنيسِ فَرَاعَها عن ظَهْرِ غَيْبٍ والأنيسُ سَقامُها [2]

فغدَتْ كلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلى المَخافَةِ خَلْفُها وَأَمامُها [3]

في طلب ولدها سبع ليال بأيامها ، وجعل أيامها كاملة إشارة إلى أنها كانت من أيام الصيف وشهور الحر .

١- الإسحاق: الإخلاق ، والسحق: الخلق ، الحالق : الضرع الممتلىء لبناً .
يقول : حتى إذا يئست البقرة من ولدها وصار ضرعها الممتلىء لبناً خلقاً لانقطاع لبنها ، ثم قال : ولم يبل ضرعها إرضاعها ولدها ولا فطامها إياه وإنما أبلاه فقدها إياه .

٢- الرز : الصوت الخفي . الأنيس والإنس والأناس والناس واحد . راعها : أفزعها. السقام والسقم واحد ، والفعل سقم يسقم ، والنعت سقيم ، وكذلك النعت مما كان من أفعال فعل يفعل من الأدواء والعلل نحو مريض .
يقول : فتسمعت البقرة صوت الناس فأفزعها ذلك وإنما سمعته عن ظهر غيب ، أي لم ترَ الأنيس ، ثم قال : والناس سقم الوحش وداؤها لأنهم يصيدونها وينقصون منها نقص السقم من الجسد . وتحرير المعنى : أنها سمعت صوتاً ولم تر صاحبه فخافت ولا غرو ان تخاف عند سماعها صوت الناس لأن الناس يبيدونها ويهلكونها ، والتقدير : فتسمعت رز الأنيس عن ظهر غيب فراعها والأنيسِ سقامها .

٣- الفرج : موضع المخافة ، والفرج ما بين قوائم الدواب ، فما بين اليدين فرج ، والجمع فروج . وقال ثعلب : إن المولى في هذا البيت بمعنى الأولى بالشيء ، كقوله تعالى : « مأواكم النار هي مولاكم » أي أولى بكم .

حتى إذا يَئِسَ الرُّماةُ وَأَرْسَلُوا   غُضْفاً دَوَاجِنَ قافِلاً أَعْصامُها [1]

يقول : فغدت البقرة وهي تحسب أن كلا فرجيها مولى المخافة ، أي موضعها وصاحبها ، أو تحسب أن كل فرج من فرجيها هو الأولى بالمخافة منه ، أي بأن يخاف منه . وتحرير المعنى : أنها لم تقف على أن صاحب الرز خلفها أم أمامها فغدت فزعة مذعورة لا تعرف منجاها من مهلكها . وقال الأصمعي : أراد بالمخافة الكلاب وبمولاها صاحبها ، أي غدت وهي لا تعرف أن الكلاب والكلاّب خلفها أو أمامها فهي تظن كل جهة من الجهتين موضعاً للكلاب والكلاّب ، والضمير الذي هو اسم أن عائد إلى كلا وهو مفرد اللفظ وإن كان يتضمن معنى التثنية ، ويجوز حمل الكلام بعده على لفظه مرة وعلى معناه أخرى ، والحمل على اللفظ اكثر ، وتمثيلها : كلا أخويك سبني وكلا اخويك سباني ، وقال الشاعر :

كلاهما حين جد الجري بينهما   قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي

حمل أقلعا على معنى كلا وحمل رابياً على لفظه ، وقال الله عز وجل : « كلتا الجنتين آتت أكلها » حملا على لفظ كلتا ، ونظير كلا وكلتا في هذين الحكمين كل لأنه مفرد اللفظ وإن كان معناه جمعاً ويحمل الكلام بعده على لفظه ومعناه ، وكلاهما كثير ، قال الله تعالى : « وكل أتوه داخرين » ، فهذا محمول على المعنى ، وقال تعالى : « إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبداً » ، وهذا محمول على اللفظ. ومولى المخافة في محل الرفع لأنه خبر أن وخلفها وأمامها خبر مبتدإ محذوف تقديره هو خلفها وأمامها ، ويكون تفسير كلا الفرجين ، ويجوز أن يكون بدلاً من كلا الفرجين وتقديره فغدت كلا الفرجين خلفها وأمامها تحسب أنه مولى المخافة .

١ – الغضف من الكلاب : المسترخية الآذان ، والغضف استرخاء الأذن ، يقال : كلب أغضف وكلبة غضفاء ، وهو مستعمل في غير الكلاب استعماله

فَلَحِقْنَ وَاعْتَكَرَتْ لها مَدْرِيَّةٌ كالسَّمْهَرِيَّةِ حَدُّها وَتَمامُها [1]

لِتَذودَهُنَّ وَأَيْقَنَتْ إنْ لم تَذُدْ أَنْ قد أَحَمَّ مِنَ الْحُتوفِ حِمامُها [2]

فَتَقَصَّدَتْ منها كَسَابِ فَضُرِّجَتْ بدمٍ وَغُودِرَ في الْمَكَرِّ سُخامُها [3]

فيها . الدواجن : المعلَّمات . القفول : اليبس . أعصامها : بطونها ، وقيل بل سواجيرها وهي قلائدها من الحديد والجلود وغير ذلك ، يقول : حتى إذا يئس الرماة من البقرة وعلموا ان سهامهم لا تنالهـا وأرسلوا كلاباً مسترخية الآذان معلمة ضوامر البطون او يابسة السواجير .

١- عكر واعتكر أي عطف . المدرية : طرف قرنها . الصمهرية من الرماح : منسوبة إلى سمهر رجل كان بقرية تسمى خطا من قرى البحرين وكان مثقفاً ماهراً فنسب إليه الرماح الجيدة . يقول فلحقت الكلاب البقرة وعطفت عليها ولها قرن يشبه الرماح في حدتها وتمام طولها ، اي أقبلت البقرة على الكلاب وطعنتها بهذا القرن الذي هو كالرماح.

٢- الذود : الكف والرد . الإحمام والإجمام : القرب . الحتف : قضاء الموت ، وقد يسمى الهلاك حتفاً . الحمام : تقدير الموت ، يقال : حم كذا اي قدر . يقول : عطفت البقرة وكرت لترد وتطرد الكلاب عن نفسها وأيقنت انها إن لم تذدها قرب موتها من جملة حتوف الحيوان ، اي أيقنت انها إن لم تطرد الكلاب قتلتها الكلاب .

٣- أقصد وتقصد : قتل . كساب ، مبنية على الكسرة : اسم كلبة ، وكذلك سخام . وقد روي بالحاء المهملة .
يقول : فقتلت البقرة كساب من جملة تلك الكلاب فحمرتها بالدم وتركت سخاماً في موضع كرهـا صريعة ، اي قتلت هاتين الكلبتين . التضريج : التحمير بالدم ، ضرجته فتضرج ، ويريد بالمكر موضع كرها .

فَبِتِلْكَ إذْ رَقَصَ اللَّوامعُ بالضّحى وَاجْتابَ أَرْدِيَةَ السّرابِ إكامُها[1]
أَقْضي اللُّبانَةَ لا أُفرِّطُ رِيبَةً أَوْ أَنْ يَلُومَ بحاجَةٍ لَوّامُها[2]
أَوَلَمْ تَكُنْ تدري نَوارُ بِأَنّني وَصّالُ عَقْدِ حَبائِلٍ جَذّامُها[3]

١– يقول : فبتلك الناقة إذ رقصت لوامع السراب بالضحى ، اي تحركت ولبست الإكام أردية من السراب . وتحرت المعنى . فبتلك الناقة التي أشبهت البقرة والأتان أقضي حوائجي في الهواجر ، ورقص لوامع السراب ولبس الإكام ارديته كناية عن احتدام الهواجر .

٢– اللبانة : الحاجة : التفريط : التضييع وتقدمة العجز . الريبة : التهمة ، واللوام مبالغة اللائم واللُوّام جمع اللائم .

يقول : بركوب هذه الناقة وإتعابها في حر الهواجر اقضي وطري ولا افرط في طلب بغيتي ولا ادع ريبة إلا ان يلومني لائم . وتحرير المعنى : انه لا يقصر ولكن لا يمكنه الاحتراز عن لوم اللوام إياه ، وأو في قوله : او ان يلوم ، بمعنى إلا ، ومثله قولهم : لألزمنه او يعطيني حقي ، اي إلا ان يعطيني حقي ، وقال امرؤ القيس :

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً او نموت فنعذرا

اي إن ان نموت .

٣– الحبائل : جمع الحبالة وهي مستعارة للعهد والمودة هنا . الجذم : القطع ، والفعل جذم يجذم ، والجذام مبالغة الجاذم . ثم رجع الى التشبيب بالعشيقة فقال : أو لم تكن تعلم نوار أني وصال عقد العهود والمودات وقطاعها ، يريد انه يصل من استحق الصلة ويقطع من استحق القطيعة .

تَرّاكُ أَمْكِنَةٍ اذا لمْ أَرْضَها أَوْ يَعْتَلِقْ بعضَ النّفوسِ حِمامُها[1]

بلْ أَنْتِ لا تَدرينَ كَمْ من لَيْلَةٍ طَلْقٍ لَذيذٍ لَهْوُها ونِدامُها[2]

قَدْ بِتُّ سامِرَها وغايَةَ تاجرٍ وافَيْتُ اذْ رُفِعَتْ وعزَّ مُدامُها[3]

أُغلي السِّباءَ بكُلِّ أَدْكَنَ عاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وفُضَّ ختامُها[4]

١- يقول : إني تراك أماكن إذا لم أرضها إلا أن يرتبط نفسي حمامها فلا يمكنها البراح ، وأراد ببعض النفوس هنا نفسه ، هذا أوجه الأقوال وأحسنها ، ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس فقد أخطأ لأن بعضاً لا يفيد العموم والاستيعاب . وتحرير المعنى : إني لا أترك الأماكن التي أجتويها وأقليها إلا أن أموت .

٢- ليلة طلق وطلقة : ساكنة لا حر فيها ولا قر . الندام : جمع نديم مثل الكرام في جمع كريم ، والندام ايضاً المنادمة مثل الجدال والمجادلة ، والندام في البيت يحتمل الوجهين . أضرب عن الإخبار للمخاطبة فقال : بل أنت يا نوار لا تعلمين كم من ليلة ساكنة غير مؤذية بحر ولا برد لذيذة اللهو والندماء او المنادمة . وتحرير المعنى : بل انت تجهلين كثرة الليالي التي طابت لي واستلذذت لهوي وندمائي فيها أو منادمتي الكرام فيها .

٣- الغاية : راية ينصبها الخمار ليعرف مكانه . وأراد بالتاجر الخمار . وافيت المكان : أتيته . المدام : والمدامة : الخمر ، سميت بها لأنها قد أديمت في دنها .

يقول : قد بت محدثاً لك تلك الليلة ، أي كنت سامر ندمائي ومحدثهم فيها ، ورب راية خمار أتيتها حين رفعت ونصبت وغلت خمرها وقل وجودها ، يتمدح بكونه لسان اصحابه وبكونه جواداً لاشترائه الخمر غالية لندمائه .

٤- سبأت الخمر أسبؤها سبأ وسباء : اشتريتها . أغليت الشيء : اشتريته غاليا

بِصَبُوحِ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إِبْهامُهـــا [1]

باكَرْتُ حاجَتَها الدَّجاجَ بِسُحْرَةٍ لِأُعَلَّ مِنْهاحِينَ هَبَّ نِيامُها [2]

وصيرته غالياً ووجدته غالياً . الأدكن : الذي فيه دكنة كالخز الأدكن ، أراد بكل زق أدكن . الجونة السوداء ، أراد او خابية سوداء قدحت . القدح : الغرف . الفض : الكسر . الخاتم والخاتام والخيتام والختام واحد . يقول : اشتري الخمر غالية السعر باشتراء كل زق أدكن او خابية سوداء قد فض ختامها وأغترف منها . وتحرير المعنى : أشتري الخمر للندماء عند غلاء السعر واشتري كل زق مقير او خابية مقيرة ، وإنما قيرا لئلا يرشحا بمـــا فيهما ، ويسرع صلاحه وانتهاؤه منتهى إدراكه ، وقوله : قدحت وفض ختامها ، فيه تقديم وتأخير تقديره : فض ختامها وقدحت لأنه مـــا لم يكسر ختامها لا يمكن اغتراف ما فيها من الخمر .

١- الكرينة : الجارية العوادة ، والجمع الكرائن . الائتيـال : المعالجـة . أراد بالموتر العود .

يقول : وكم من صبوح خمر صافية وجذب عوادة عوداً موتراً تعالجه إبهـام العوادة . وتحرير المعنى : كم من صبوح من خمر صافية استمتعت باصطحابها وضرب عوادة عودها استمعت بالاصغاء إلى أغانيها .

٢- يقول : باكرت الديوك لحاجتي إلى الخمر ، اي تعاطيت شربها قبل أن يصدح الديك ، لأسقى منها مرة بعد اخرى حين استيقظ نيام السحرة ، والسحرة والسحر بمعنى ، والدجاج اسم للجنس يعم ذكوره وإناثه ، والواحـــد دجاجة ، وجمع الدجاج دجج ، والدجاج ، بكسر الدال ، لغة غير مختارة . وتحرير المعنى : باكرت صياح الديك لأسقى من الخمر سقياً متتابعاً .

وَغداة ريحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ	قد أصبحَتْ بيدِ الشَّمالِ زِمامُها[1]
وَلَقدْ حَمَيْتُ الحَيَّ تحْمِلُ شِكَّتي	فُرُطٌ وِشاحي اذ غَدَوْتُ لِجامُها[2]
فَعَلَوْتُ مُرْتَقَباً على ذي هَبْوَةٍ	حَرِجٍ الى أعلامِهِنَّ قَتامُها[3]
حتى اذا أَلْقَتْ يَداً في كافِرٍ	وَأَجَنَّ عَوْراتِ الثُّغورِ ظَلامُها[4]

١– القرة والقر : البرد .

يقول : كم من غداة تهب فيهـــا الشمال وهي أبرد الرياح ، وبرد قد ملكت الشمال زمامه قد كففت عادية البرد عن النـــاس بنحر الجزر لهم . وتحرير المعنى : وكم من برد كففت غرب عاديته باطعام الناس .

٢– الشكة : السلاح . الفرط : الفرس المتقدمة السريعة الخفيفـــة . الوشاح والإشاح بمعنى ، والجمع الوشح .

يقول : ولقد حميت قبيلتي في حال حمـــل فرس متقدمة سريعة سلاحي وشاحي لجامها إذا غدوت ، يريد انه يلقي لجام الفرس على عاتقه ويخرج منه يده حتى يصير بمنزلة الوشاح ، يريد انه يتوشح بلجامها لفرط الحاجة إليه حتى إذا ارتفع صراخ ألجم الفرس وركبها سريعاً . وتحرير المعنى : ولقــد حميت قبيلتي وانا على فرس أتوشح بلجامها إذا نزلت لأكون متهيئاً لركوبها .

٣– المرتقب : المكان المرتفـــع الذي يقوم عليه الرقيب . الهبوة : الغبرة . الحرج : الضيق جداً . الأعلام : الجبال والرايات . القتام : الغبار .

يقول : فعلوت عند حماية الحي مكاناً عالياً ، اي كنت ربيئة على ذي هبوة . اي على جبل ذي هبوة ، وقد قرب قتام الهبوة إلى أعـــلام فرق الأعداء وقبائلهم ، اي ربأت لهم على جبل قريب من جبال الأعداء ومن راياتهم .

٤– الكافر : الليـــل ، سمي به لكفره الأشياء اي لستره ، والكفر : الستر ،

أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَتْ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ   جَرْداءَ يَحْصَرُ دونَها جُرّامُها[1]
رَفَّعْتُهـــا طَرْدَ النَّعامِ وَشَلَّهُ   حتى إذا سَخِنَتْ وَخَفَّ عِظامُها[2]

والاجنان الستر ايضاً . الثغر : موضع المخافة ، والجمع الثغور ، وعورته أشده مخافة .

يقول : حتى إذا ألقت الشمس يدها في الليل ، اي ابتدأت في الغروب ، وعبر عن هذا المعنى بالقاء اليد لأن من ابتدأ بالشيء قيل ألقى يده فيه ، وستر الظلام مواضع المخافة ، والضمير بعد ظلامهـــا للعورات . وتحرير المعنى : حتى إذا غربت الشمس وأظلم الليل .

١– أسهل : أتى السهـــل من الأرض . المنيفة : العالية الطويلة . الجرداء : للقليلة السعف والليف ، مستعارة من الجرداء من الخيـــل . الحصر : ضيق الصدر ، والفعل حصر يحصر . الجرام : جمع جارم وهو الذي يجرم النخل اي يقطع حمله .

يقول : لما غربت الشمس وأظلم الليل نزلت من المرقب وأتيت مكاناً سهلاً وانتصبت الفرس ، اي رفعت عنقهـــا ، كجذع نخلة طويلة عالية تضيق صدور الذين يريدون قطع حملها لعجزهم وضعفهم عن ارتقائها ، شبه عنقها في الطول بمثل هـــذه النخلة ، وقوله : كجذع منيفة ، اي كجذع نخلة منيفة .

٢– رفّعتها : مبالغة رفعت . الطرد والطرد بفتح الراء وتسكينها لغتان جيدتان ، والشل والشلل الطرد ايضاً .

يقول : حملت فرسي وكلفتها عدواً مثل عدو النعام أو كلفتها عدواً يصلح لاصطياد النعام حتى إذا جدت في الجري وخف عظامها في السير .

قَلِقَتْ رِحالَتُها وَأَسْبَلَ نَحْرُها   وَابْتَلَّ من زَبَدِ ٱلحَميمِ حِزَامُها [1]

تَرْقى وَتَطْعَنُ في ٱلعِنانِ وَتَنْتَحي   وِرْدَ ٱلحَمَامَةِ إذْ أَجدَّ حَمامُها [2]

وَكَثيرَةٍ غُرَبَاؤها مَجْهُولَةٍ   تُرْجى نَوَافِلُها وَيُخْشَى ذامُها [3]

١– القلق : سرعة الحركة . الرحالة : شبه سرج يتخذ من جلود الغنم بأصوافها ليكون أخف في الطلب والهرب ، والجمع الرحائـل . أسبل : أمطر . الحميم : العرق .

يقول : اضطربت رحالتها على ظهرها من إسراعها في عدوها ومطر نحرها عرقاً وابتل حزامها من زبد عرقها ، اي من عرقها .

٢– رقي يرقى رقياً : صعد وعلا . الانتحاء : الاعتماد . الحمام : ذوات الأطواق من الطير ، واحدتها حمامة ، وتجمع الحمامة على الحمامات والحمائم ايضاً .

يقول : ترفع عنقها نشاطاً في عدوها كأنها تطعن بعنقها في عنانها وتعمد في عدوها الذي يشبه ورد الحمامة حين جد الحمام التي هي في جملتها في الطيران لما ألح عليها من العطش ؛ شبه سرعة عدوها بسرعة طـيران الحمائم إذا كانت عطشى ، وورد الحمامة نصب على المصدر من غير لفظ الفعل وهو ترقى او تطعن او تنتحي .

٣– الذيم والذام : العيب .

يقول : رب مقامة او قبة او دار كثرت غرباؤها وغاشيتها وجهلت ، اي لا يعرف بعض الغرباء بعضاً ، ترجى عطاياهـا ويخشى عيبها ؛ يفتخر بالمناظرة التي جرت بينه وبين الربيع بن زياد في مجلس النعمان بن منذر ملك العرب ، ولها قصة طويلة . وتحرير المعنى : رب دار كثرت غاشيتها لأن دور الملوك يغشاها الوفود وغرباؤها يجهل بعضها بعضاً وترجى عطايا الملوك وتخشى معايب تلحق في مجالسها .

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحولِ كأنّها ... جِنُّ ٱلْبَدِيِّ رَوَاسِياً أقْدامُها [1]

أنكَرْتُ باطِلَها وبُؤتُ بحقِّها ... عندي ولَم يَفْخَرْ عليَّ كِرامُها [2]

وَجَزُورِ أيْسارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِها ... بمَغالِقٍ مُتَشابِهٍ أجسامُهـا [3]

١– الغلب : الغلاظ الأعناق . التشذر : التهدد . الذحول : الأحقاد ، الواحد ذحل . البدي : موضع .

يقول : هم رجال غلاظ الأعناق كالأسود ، اي خلقوا خلقة الأسود ، يهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التي بينهم ، ثم شبههم بجن هذا الموضع في ثباتهم في الخصام والجدال ، يمدح خصومه وكلما كان الخصم أقوى وأشد كان قاهره وغالبه أقوى وأشد .

٢– باء بكذا : أقر ، ومنه قولهم في الدعاء : أبوء لك بالنعمة أي أقر .

يقول : أنكرت باطل دعاوى تلك الرجال الغلب وأقررت بما كان حقاً منها عندي ، اي في اعتقادي ، ولم يفخر عليّ كرامها ، اي لم يغلبني بالفخر كرامها ، من قولهم : فاخرته ففخرته ، اي غلبته بالفخر ، وكان ينبغي ان يقول : ولم تفخرني كرامها ، ولكنه ألحق عليّ حملاً على معنى ولم يتعال عليّ ولم يتكبر عليّ .

٣– الأيسار : جمع يسر وهو صاحب الميسر . المغالق : سهـام الميسر ، سميت بها لأن بها يغلق الخطر ، من قولهم : غلق الرهن يغلق غلقاً ، إذا لم يوجد له تخلص وفكاك .

يقول : وربّ جزور أصحاب ميسر دعوت ندمائي لنحرها وعقرهـا بأزلام متشابهة الأجسام ، وسهـام الميسر يشبه بعضها بعضاً . وتحرير المعنى : وربّ جزور أصحاب ميسر كانت تصلح لتقامر الأيسار عليهـا

أدْعو بهنَّ لِعاقِرٍ أوْ مُطْفِلٍ   بُذِلَتْ لجيران الجَميعِ لِحامُها [1]
فَالضَّيفُ وَالجارُ الجنيبُ كأنّما   هَبَطا تَبالَةَ مُخْصِباً أهْضَامُها [2]
تأوي إلى الأطْنابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ   مِثْلِ البَلِيَّةِ قالِصٍ أهْدامُها [3]

دعوت ندمائي لهلاكها اي لنحرها بسهام متشابهة . قال الائمة : يفتخر بنحرها إياها من صلب ما له لا من كسب قماره ، والأبيات التي بعده تدل عليه ، وإنما اراد السهام ليقرع بها بين إبله أيها ينحر للندماء .

١ – العاقر التي لا تلد . المطفل : التي معها ولدها . اللحام : جمع لحم .
يقول : أدعو بالقداح لنحر ناقة عاقر او ناقة مطفل تبذل لحومها لجميع الجيران ، اي إنما أطلب القداح لأنحر مثل هاتين ، وذكر العاقر لأنها أسمن وذكر المطفل لأنها أنفس .

٢ – الجنيب : الغريب . تبالة : واد مخصب من أودية اليمن . الهضيم : المطمئن من الأرض ، والجمع الأهضام والهضوم .
يقول : فالأضياف والجيران الغرباء عندي كأنهم نازلون هذا الوادي في حال كثرة نبات اماكنه المطمئنة ، شبه ضيفه وجاره في الخصب والسعة بنازل هذا الوادي ايام الربيع .

٣ – الأطناب : حبال البيت ، واحدها طنب . الرذية : الناقة التي ترذي في السفر ، اي تخلف لفرط هزالها وكلالها ، والجمع الرذايا ، استعارها للفقيرة . البلية : الناقة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت ، والجمع البلايا . الأهدام : الأخلاق من الثياب ، واحدها هدم . قلوصها : قصرها .
يقول : وتأوي إلى أطناب بيتي كل مسكينة ضعيفة قصيرة الأخلاق التي عليها لما بها من الفقر والمسكنة ، ثم شبهها بالبلية في قلة تصرفها وعجزها عن الكسب وامتناع الرزق منها .

وَيُكَلِّلُونَ إذا الرِّياحُ تَناوَحتْ   خُلُجاً تُمَدُّ شَوارِعاً أيتامُها [1]

إنّا إذا التَقَتِ المَجامِعُ لم يَزَلْ   مِنّا لِزازُ عَظيمَةٍ جَشّامُها [2]

وَمُقَسِّمٌ يُعْطي العَشيرَةَ حَقَّها   وَمُغَذْمِرٌ لِحُقُوقِها هَضّامُها [3]

١– تناوحت : تقابلت ، ومنه قولهم : الجبلان متناوحان ، اي متقابلان ، ومنه النوائح لتقابلهن . الخلج : جمع خليج وهو نهر صغير يخلج من نهر كبير او من بحر ، والخلج الجذب . تمد : تزاد . شرع في الماء : خاضه .

يقول : ونكلل للفقراء والمساكين والجيران إذا تقابلت الرياح ، او في كلب الشتاء واختلاف هبوب الرياح ، جفاناً تحكي بكثرة مرقها أنهاراً يشرع أيتام المساكين فيها وقد كللت بكسور اللحم . وتلخيص المعنى : ونبذل للمساكين والجيران جفاناً عظاماً مملوءة مرقاً مكللة بكسور اللحم في كلب الشتاء وضنك المعيشة .

٢– رجل لزاز الخصوم : يصلح لأن يلز بهم ، اي يقرن بهم ليقهرهم ، ومنه لزاز الباب ولزاز الجدار .

يقول : إذا اجتمعت جماعات القبائل فلم يزل يسودهم رجل منا يقمع الخصوم عند الجدال ويتجشم عظائم الخصام ، اي لا تخلو المجامع من رجل منا يتحلى بما ذكر من قمع الخصوم وتكلف الخصام .

٣– التغذمر والغذمرة : التغضب مع همهمة . الهضم : الكسر والظلم .
يقول : يقسم الغنائم فيوفر على العشائر حقوقها ويتغضب عند إضاعة شيء من حقوقها ويهضم حقوق نفسه ، يريد ان السيد منا يوفر حقوق عشائره بالهضم من حقوق نفسه ؛ قوله : ومغذمر لحقوقها ، اي لأجل حقوقها ،

فَضْلاً وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ على النَّدى   سَمْحٌ كَسُوبُ رَغائِبٍ غَنَّامُها [1]
مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آباؤُهُمْ   وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإمَامُها [2]
لا يَطْبَعُونَ وَلا يَبُورُ فَعالُهُمْ   اذْ لا يَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلامُها [3]
فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ فَإنَّمَا   قَسَمَ الْخَلائِقَ بَيْنَنا عَلَّامُها [4]

هضامها اي هضام الحقوق التي تكون له ، والكناية في هضامها يجوز ان تكون عائدة على العشيرة اي هضـام للأعداء فيهم منا ، اي هضامهم للأعداء ويجوز ان تكون عائدة على الحقوق ، اي المغذمر لحقوق العشيرة والهضام لها منـا ، والسيد يملك أمور القوم جبراً وهضماً في اوقاتها على اختلافها ، فإن أساؤوا هضم حقهم وإن أحسنوا تغذمر لهم .

١- الندى : الجود ، والفعل ندي يندى ندى ، ورجل ند . الرغائب : جمع الرغيبة وهي ما رغب فيه من علق نفيس او خصلة شريفة او غيرهمـا . الغنام : مبالغة الغانم .
يقول : يفعل مـا سبق ذكره تفضلاً ولم يزل منا كريم يعين أصحابه على الكرم ، اي يعطيهم ما يعطون ، جواب يكسب رغائب المعالي ويغتنمها .

٢- يقول : هو من قوم سنت لهم أسلافهم كسب رغائب المعالي واغتنامها ، ثم قال : ولكل قوم سنّة وإمام يؤتم به فيها .

٣- الطبع : تدنس العرض وتلطخه ، والفعـل طبع يطبع . البوار : الفساد والهلاك . الفعال : فعـل الواحد جميلاً كان او قبيحاً ، كذا قال ثعلب والمبرد وابن الأنباري وابن الأعرابي .
يقول : لا تتدنس أعراضهم بعار ولا تفسد أفعالهم إذ لا تميل عقولهم مع أهوائهم .

٤- يقول : فاقنع ايها العدو بمـا قسم الله تعالى فان قسام المعايش والخلائق

وَاذا ٱلأَمانَةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ أَوْفَى بأَوْفَرِ حَظِّنا قَسّامُها [1]

فَبَنَى لَنا بَيْتاً رَفيعاً سَمْكُهُ فَسَما الَيْهِ كَهْلُهـا وَغُلامُها [2]

وَهُمُ السُّعاةُ اذا ٱلْعَشيرَةُ أُفْظِعَتْ وَهُمْ فَوارِسُها وَهُمْ حُكّامُها [3]

علامها ، يريد ان الله تعالى قسم لكل مـــا استحقه من كمال ونقص ورفعة وضعة . والقسم مصـدر قسم يقسم ، والقسم القسمة اسمان ، وجمع القسم اقسام ، وجمـع القسمة قسم . الملك والملك ، بسكون اللام وكسرها ، والمليك واحــد ، وجمع الملك ، بسكون اللام ، ملوك ، وجمع الملك ، بكسر اللام ، أملاك .

١– معشر : قوم . قسم وقسم ، بالتشديد والتخفيف ، واحد . أوفى ووفى: كمل ووفر ، ووفى يفي وفياً كمل ، والوفور الكثرة . بأوفر حظنـــا اي بأكثره .

يقول : وإذا قسمت الأمانات بين اقوام وفر وكمل قسمنا من الأمانــة اي نصيبنا الأكثر منها ، يريد اوفى الأقوام امانة ؛ والباء في قوله بأوفر زائدة اي أوفى أوفر حظنا .

٢– يقول : بنى الله تعالى لنا بيت شرف ومجد عالي السقف فارتفع الى ذلـك الشرف كهل العشيرة وغلامهـــا ، يريد ان كهولهم وشبانهم يسمون إلى المعالي والمكارم . وإذا روي هذا البيت قبل فاقنع ، كان المعنى : فبنى لنا سيدنا بيت مجد وشرف ، إلى آخر المعنى .

٣– السعاة : جمع الساعي . أفظعت : اصيبت بأمر فظيع .

يقول : إذا أصاب العشيرة امر عظيم سعوا بدفعه وكشفه وهم فرسان العشيرة عند قتالها وحكامها عند تخاصمها ، يريد رهطه الأدنين .

وَهُمْ رَبيعٌ لِلْمُجاوِرِ فيهِمْ   وَٱلْمرْمِلاتِ إذا تَطَاوَلَ عامُها [1]
وَهُمُ ٱلْعَشيرَةُ أَنْ يُبَطِّىءَ حاسِدٌ   أَوْ أَنْ يَميلَ مَعَ ٱلْعَدُوِّ لِئامُها [2]

١– أرمل القوم : إذا نفدت أزوادهم .

يقول : هم لمن جاورهم ربيع لعموم نفعهم وإحيائهم إياه بجودهم كما يحيي الربيع الارض . وتحرير المعنى : هم لمن جاورهم وللنساء اللواتي نفدت ازوادهن بمنزلة الربيع إذا تطاول عامها لسوء حالها ، لأن زمان الشدة يستطال .

٢– قوله ان يبطىء حاسد ، معناه على قول البصريين : كراهية ان يبطىء حاسد وكراهية ان يميل ، وعند الكوفيين : أن لا يبطىء حاسد وأن لا يميل ، كقوله تعالى : « يبين الله لكم ان تضلوا » . أي كراهية ان تضلوا او يبين الله لكم ان لا تضلوا اي كي لا تضلوا .

يقول : وهم العشيرة ، اي هم متوافقون متعاضدون فكنى عنه بلفظ العشيرة ، كراهية ان يبطىء حاسد بعضهم عن نصر بعض او كيلا يبطىء حاسد بعضهم عن نصر بعض ، وكراهية ان يميل لئام العشيرة وأخساؤها مع العدو ، اي ان يظاهر الأعداء على الأقرباء . وتحرير المعنى : انهم يتوافقون ويتعاضدون كراهية ان يبطىء الحساد بعضهم عن نصر بعض وميل لئامهم الى الاعداء او مظاهرتهم إياهم على الأقارب .

عمرو بن كلثوم

شاعر الفخر والحماسة والقنبلة الجارفة

الشاب السيد

كان سيداً لقومه لمـــا استوى في الخامسة عشرة من العمر .. وهو من قبيلة تغلب، وكان ابوه كلثوم سيد قومه، وامه ليلى بنت المهلهل شقيق كليب المشهور في حرب البسوس .. وكانت تغلب قبيلة لها شأنها وخطرها بين قبائل العرب ..

ولمـــا وقع الخلاف بين بكر وتغلب بعد الصلح الذي تمّ بينهما ، تحاكما الى عمرو بن هند ملك الحيرة ، فاختارت تغلب شاعرهـــا للدفاع عنها ، وفعلت بكر مثل ذلك فارسلت شاعرهـا الحارث بن حلزة ، فاستطاع هذا ان يستميل الملك الى قومه ، فحكم على التغلبيين ، فانصرف عمرو وجماعته غاضبين .. وهو ما دعاه الى هجاء عمرو بن هند كما جاء في الديوان ..

وفي ذات يوم جلس عمرو بن هند لندمائه كما روى صاحب الاغاني، يسألهم:

– هل تعلمون احداً من العرب تأنف امه من خدمة امي ..؟

فقالوا : نعم .. ام عمرو بن كلثوم ..

وكانت ام عمرو (ليلى) شقيقة المهلهل ، وام الملك هند عمة امرىء القيس ابن حجر الشاعر .. وكان بين المرأتين نسب من حيث ان المهلهل والد ليلى كان

خالاً لامرىء القيس .. فدعى ملك الحيرة عندئذ عمرو بن كلثوم الى زيارته ، وسأله جلب امه معه ، لتزور امه ، فاقبل الشاعر مع جماعة من قومه ، وكان الملك قـــد امر برواقه فضرب فسيحاً بين الحيرة والفرات .. فاستقبل الشاعر وقومه في وجوه مملكته ، واستقبلت هنـــد ام الملك ليلى ام عمرو بن كلثوم في قبة جعلت الى جانب الرواق ، وكان الملك قد اتفق مع امه على ان تستخدم ليلى اذا دعا بالطرف .. وهي الثمار النادرة التي كان مزمعاً ان يقدمها بعـــد الغداء .. فلما دعا بها ، قالت هند :

– ناوليني يا ليلى ذاك الطبق .

فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها .

فاعادت عليها الكرة والحت فصاحت ليلى :

– واذلاه يالتغلب ..

فسمعها ابنهـــا ، فاستبدّ به الغضب ، والتفت فرأى سيفاً للملك معلقاً بالرواق ، فتناوله وضرب به رأس عمرو بن هند ونادى في بني تغلب ، فانتهبوا ما في الرواق ، وساروا الى الجزيرة ..

وقد نظم عمرو بعد ذلك قسماً من معلقته في هذه المناسبة ، كما افتخر بهذه الحادثة التغلبيون ، وقال الفرزدق :

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمراً وهم قسطوا على النعمان

على اثر هـــذه الحادثة نشطت جميع القبائل الخاضعة للمناذرة لمحاربتهم ، ومنهم بنو بكر اعداؤهم الالداء .. فاشتعلت الحرب بين التغلبيين والقبائل ، وحارب التغلبيون حرب الابطال .. حتى انهم في بعض الاحايين كانوا يهاجمون ولا يدافعون فحسب ..

واخيراً اضطر التغلبيون بعد ان اشتدت وطأة المناذرة واحلافهم عليهم ، الى الهرب لبـــلاد الشام حوالي سنة ٥٨٠ ، فاقاموا فيها عدة سنوات ، حتى اختلفوا مع الغسانيين ، ودارت بينهما معركة انتصر فيها التغلبيون ..

عاد هؤلاء على اثرهـا الى الجزيرة .. حيث وجدوا النعمان ابو قابوس ، ابن المنذر الرابع يستعد لهم ، ولكنهم استطاعوا الانتصار على القوة التي ارسلهـا لهم بقيادة ابنه المنذر ، وقتل (مرة) شقيق عمرو بن كلثوم المنذر بن النعمان ، وقد افتخر الاخطل الشاعر التغلبي على جرير بهذا الانتصار وقال له :

أبني كليب .. ان عمّي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا

ولقد امتد العمر بعمرو فتوفي عن عمر طويل حوالي سنة ٦٠٠ ميلادية ..

وقـد اختلف المؤرخون في عمره ، حتى ان بعضهم وصل به الى مائة وخمسين ، وهي مبالغة لا تؤكدها الوقائع التاريخية ..

آثـاره

ديوانه الذي نشر في مجلة المشرق سنة ١٩٢٢ ، لا يتجاوز المائة والثلاثين بيتاً ، ما عدا المعلقة طبعاً ، وهذا لا يعد ديواناً ، وانما هو شعر قليـل يدور حول الفخر والهجاء والمدح ..

واشهر آثاره المعلقة وهي تقع في مائة بيت وتقسم الى قسمين :

اولها : المفاخرة وهو القسم الذي انشده في قصر عمرو بن هند يوم الاحتكام مع بني بكر .. ويتكون من المقدمة وذكر الخمر والحبيبة ومخاطبتها ووصفها ، ثم الدفاع بالمفاخرة والتهديد ..

وثانيها : يبتدىء من البيت التاسع والاربعين ويمتد الى المائـة وهو القسم الذي قاله بعد قتله الملك ..

ولقد نالت هذه المعلقة شهرة لم تنلها معلقة اخرى ، في العهد القديم ، فقد كان صغار التغلبيين وكبّارهم يحفظونها ويردّدونها ويتغنون بها ، ويفتخرون على سواهم من القبائل بقصيدها .. حتى لقد قال فيهم وفيها احد بني بكر :

ألهى بني تغلب عن جلّ امرهم قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بهـا مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسؤوم

والمعلقة الى هذا ، ومن ناحية التفاخر شعلة من نار وثورة مشتعلة ، وكبرياء صارخة ، وعاطفة جامحة ، لا تلقي للمنطق بالاً ، يقولهـا سيد في قومه ، يعتز بسيادته وقبيلته ، وينتصر لهذه السيادة بشيء كثير من الغرور والنزق ..

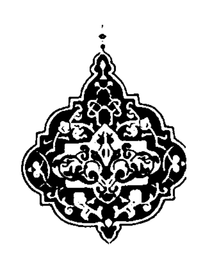
خذ مثلا هذه الابيات ..

ملأنا البر حتى ضاق عنـا   وظهر البحر نملؤه سفينـا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها   ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا بلغ الفطام لنـا صبي   تخرّ له الجبابر ساجدينـا

فاي اسطول له ، واي كتائب من الجند كان يملكها ، ليملأ البحر سفينا والارض جنوداً ..

واما سجود الجبابرة لصغار قومه .. فيدلك بالتأكيد على جموح فكر الشاعر واعتداده بقومه ونفسه الى ابعد الحدود والغايات ..

والمعلقة الى هذا لينة الشعر ، سهلة الالفاظ ، تجري الفاظها كالسيل الجارف ، وتثير معانيها من يقرأها ، فيتصور عمراً على رأس قبيلته الثائرة يهدد ويصيح ، وقد اندفعوا للطراد كاحسن ما يكون الاندفاع والسباق ..



وصف ثان

عمرو بن كلثوم

والخلاف بين تغلب وبكر

هو أبو عبّاد عمرو بن كلثوم التغلبي ، وأمُّه ليلى بنت المهلهل ، كان أعز الناس وأكثر العرب ترفُّعاً . ساد قومه وهو في الخامسة عشرة من سنّه . ومعلقته هي الخامسة في المعلقات ، أنشأ قسماً منها في حضرة الملك عمرو بن هند ، وعنده الوفود من قبيلتي تغلب وبكر ، كان يرئس التغلبيين عمرو بن كلثوم ، ويرئس البكريين النعمان بن هرم اليشكري ، وسبب هذا الاجتماع بين يدي عمرو بن هند أن الملك المنذر والد عمرو كان قد أصلح بين عشيرتي بكر وتغلب بعد حرب البسوس التي دامت اربعين سنة ، ولكنه خشي ان تعودا إلى الحرب فأخذ منهما مائة غلام رهائن حتى إذا اعتدت إحداهما على الأخرى أقاد من الرهائن .

وقد سار عمرو على خطـّة ابيه في هذا الارتهان . وذات يوم سيّر الملك ركباً من تغلب وبكر الى جبال طيء ، فأجلى البكريون التغلبيين عن الماء ودفعوهم إلى مفازة فتاهوا فيها وماتوا عطشاً . فغضب بنو تغلب وطلبوا ديات ابنائهم فأبت بكر دفعها فاحتكموا إلى عمرو بن هند ، ولما كان يوم التقاضي

انتدبت تغلب شاعرها وسيدها عمرو بن كلثوم للدفاع عنهـا ، وانتدبت بكر احد اشرافها النعمان بن هرم، وكان عمرو بن هند يفضل التغلبيين على البكريين، فوقع جدال بينـه وبين النعمان غضب له الملك فطرد النعمان ، وانشد عمرو بن كلثوم قسماً من معلقته ، اما القسم الآخر فقد زاده عليها بعد قتله عمرو بن هند على اثر محاولة أُمّ الملـك ان تستخدم ليلى امّ عمرو بن كلثوم . ولمعلقته قيمة تاريخيّة ، فهي تدلـّنا على حالة العرب من حيث الدين والاجتماع والعـادات والصناعات والألعاب فتخبرنا عن طواف النساء حول الصنم وعن الرقص الديني، ومرافقة النساء للرجال في القتال ، وعن لعب الصبيان بسيوف الخشب وقذف الكرة ، وغير ذلك من الفوائد التاريخيّة .

المعلَّقة

أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينا وَلا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينا [1]

مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فِيهـا إذا مـا الماءَ خالَطَها سَخِينا [2]

---

١ — هبَّ من نومه يهب هباً : إذا استيقظ . الصحن : القـدح العظيم ، والجمع الصحون . الصبح : سقي الصبوح ، والفعـل صبح يصبح . أبقيت الشيء وبقيته بمعنى . الأندرون : قرى بالشام .

يقول: ألا استيقظي من نومك أيتها الساقية واسقيني الصبوح بقدحك العظيم ولا تدخري خمر هذه القرى .

٢ — شعشعت الشراب : مزجته بالماء . الحص : الورس نبت له نوار احمر يشقه الزعفران . ومنهم من جعل سخيناً صفة ومعناه الحار ، من سخن يسخن سخونة . ومنهم من جعله فعلاً من سخي يسخى سخاء ، وفيه ثلاث لغات : إحداهن ما ذكرنا ، والثانية سخو يسخو ، والثالثة سخا يسخو سخاوة . يقول : اسقنيها ممزوجة بالماء كأنها من شدة حمرتها بعد امتزاجها بالماء ألقي فيها نور هـذا النبت الاحمر وإذا خالطها الماء وشربناها وسكرنا جدنا بعقائل أموالنا وسمحنا بذخائر أعلاقنا ، هذا إذا جعلنا سخيناً فعلاً ، وإذا جعلناه صفة كان المعنى : كأنهـا حال امتزاجها بالماء وكون الماء حاراً نور هذا النبت . ويروى شحيناً ، بالشين المعجمة ، اي إذا خالطها الماء مملوءة

تَجُورُ بذي اللُّبانَةِ عَنْ هَواهُ ... إذا ما ذاقَهــا حتى يَلينا [1]

تَرَى اللَّحِزَ الشَّحيحَ اذا أُمِرَّتْ ... عَلَيْهِ لمـالِهِ فيهـا مُهينا [2]

صَبَنْتِ الكأسَ عَنّا أُمَّ عَمْرٍو ... وكانَ الكأسُ مَجْراها اليمينا [3]

وَمــا شَرُّ الثّلاثَةِ أمَّ عَمْرٍو ... بصَاحِبِكِ الذي لا تَصْبَحينا [4]

وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكَّ ... وَأُخْرَى في دِمَشْقَ وَقاصِرينا [5]

به . والشحن : الملء ، والفعل شحن يشحن ، والشحين بمعنى المشحون كالقتيل بمعنى المقتول ، يريد أنهـا حال امتزاجها بالماء وكون الماء كثيراً تشبه هذا النور .

١- يمدح الخمر ويقول : تميل صاحب الحاجة عن حاجته وهواه إذا ذاقها حتى يلين ، أي هي تنسي الهموم والحوائج أصحابهــا فإذا شربوها لانوا ونسوا أحزانهم وحوائجهم .

٢- اللحز : الضيق الصدر . الشحيح : البخيــل الحريص ، والجمع الأشحة والأشحاء ، والشحاح ايضاً مثــل الشحيح ، والفعل شح يشح ، والمصدر الشح وهو البخل معه حرص .

يقول : ترى الإنسان الضيق الصدر البخيل الحريص مهيناً لماله فيها ، أي في شربها ، إذا أمرّت الخمر عليه ، أي إذا أديرت عليه .

٣- الصبن : الصرف ، والفعل صبن يصبن .

يقول : صرفت الكأس عنــا يا أم عمرو وكان مجرى الكأس على اليمين فأجريتها على اليسار .

٤- يقول : ليس بصاحبك الذي لا تسقينه الصبوح شر هؤلاء الثلاثة الذين تسقينهم ، أي لست شر أصحابي فكيف أخرتني وتركت سقي الصبوح ؟

٥- يقول : ورب كأس شربتها بهذه البلدة ورب كأس شربتها بتينك البلدتين .

وَانّا سَوفَ تُدْرِكُنا المَنايا مُقَدَّرَةً لَنــا وَمُقدَّرينا [١]

قِفي قَبْلَ التّفَرُّقِ يا ظَعينـــا نُخَبّرْكِ اليَقينَ وَتُخْبِرينـــا [٢]

قِفي نَسْأَلْكِ هَلْ أَحدَثْتِ صَرْماً لِوَشْكِ البَيْنِ أَمْ خُنْتِ الأَمينا [٣]

بِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ضَرْباً وَطَعْناً أَقَرَّ بِهِ مَوَاليـــكِ العُيُونا [٤]

١– يقول : سوف تدركنا مقادير موتنا وقد قدرت تلك المقادير لنا وقدرنا لها . المنايا : جمع المنية وهي تقدير الموت .

٢– أراد يا ظعينة فرخم ، والظعينة : المرأة في الهودج ، سميت بذلك لظعنها مع زوجها ، فهي فعيلة بمعنى فاعلة ، ثم كثر استعمال هذا الاسم للمرأة حتى يقال لها ظعينة وهي في بيت زوجها .
يقول : قفي مطيتك أيتها الحبيبة الظاعنة نخبرك بما قاسينا بعدك وتخبرينا بما لاقيت بعدنا .

٣– الصرم : القطيعة . الوشك : السرعة ، والوشيك : السريع . الأمين : بمعنى المأمون .
يقول : قفي مطيتك نسألك هل أحدثت قطيعة لسرعة الفراق أم هل خنت حبيبك الذي تؤمن خيانته ؟ أي هل دعتك سرعة الفراق إلى القطيعة او إلى الخيانة في مودة من لا يخونك في مودته إياك .

٤– الكريهة : من أسماء الحرب ، والجمع الكرائه ، سميت بها لأن النفوس تكرهها ، وإنما لحقتها التاء لأنها أخرجت مخرج الاسماء مثل : النطيحة والذبيحة ، ولم تخرج مخرج النعوت مثل : امرأة قتيل و كف خضيب ، ونصب ضرباً وطعناً على المصدر أي يضرب فيه ضرباً ويطعن فيه طعناً . قولهم : أقرّ الله عينك ، قال الاصمعي : معناه أبرد الله دمعك ، أي سرك

وَانَّ غَداً وَانَّ اليَوْمَ رَهْنٌ   وَبَعْدَ غَدٍ بِمَا لا تَعْلَمِينا [1]
تُرِيكَ اذا دَخَلْتَ على خَلاءٍ   وَقَدْ أَمِنَتْ عُيُونَ الكاشِحينا [2]
ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ   هِجَانِ اللَّوْنِ لمْ تَقْرَأْ جَنِينا [3]

غاية السرور ، وزعم أن دمع السرور بارد ودمع الحزن حار ، وهو عندهم مأخوذ من القرور وهو المـاء البارد ، ورد عليه أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب هذا القول وقال : الدمع كله حار جلبه فرح أو ترح . وقال أبو عمرو الشيباني : معنـاه أنام الله عينك وأزاد سهرها لأن استيلاء الحزن داع إلى السهر ، فالإقرار على قوله إفعـال من قر يقر إقراراً ، لأن العيون تقر في النوم وتطرف في السهر . وحكى ثعلب عن جماعة من الائمة ان معناه : أعطاك الله مناك ومبتغاك حتى تقر عينك عن الطموح إلى غيره . وتحرير المعنى : أرضـاك الله ، لان المترقب للشيء يطمح ببصره إليه فإذا ظفر به قرت عينه عن الطموح إليه .

يقول : نخبرك بيوم حرب كثر فيه الضرب والطعن فأقر بنو أعمامك عيونهم في ذلك اليوم ، أي فازوا ببغيتهم وظفروا بمناهم من قهر الاعداء .

١– أي بما لا تعلمين من الحوادث .

يقول : فإن الايام رهن بما لا يحيط علمك به أي ملازمة له .

٢– الكاشح : المضمر العداوة في كشحه ، وخصت العرب الكشح بالعداوة لانه موضع الكبد ، والعداوة عندهم تكون في الكبد ، وقيل بل سمي العدو كاشحاً لانه يكشح عن عدوه اي يعرض عنه فيوليه كشحه ، يقال : كشح عنه يكشح كشحاً .

يقول : تريك هذه المرأة إذا أتيتها خالية وأمنت عيون أعدائها .

٣– العيطل : الطويلة العنق من النوق . الادمـاء : البيضاء منها ، والامة

وَثَدْياً مِثْلَ حُقِّ العَاجِ رَخْصاً   حَصاناً مِنْ أَكُفِّ اللَّامِسِينا [1]
وَمَتْنَيْ لَدْنَةٍ سَمَقَتْ وَطَالَتْ   رَوَادِفُها تَنُوءُ بِمــا وَلِينا [2]

البياض في الإبل . البكر : الناقة التي حملت بطناً واحداً ، ويروى بكر ، بفتح الباء ، وهو الفتي من الإبل ، وبكسر الباء أعلى الروايتين . ويروى : تربعت رعت ربيعاً . الأجارع : جمع الأجرع وهو المكان الذي فيه جرع ، والجرع : جمع جرعة ، وهي دعص من الرمل غير النبت شيئاً . المتون : جمع متن وهو الظهر من الأرض . الهجان : الأبيض الخالص البياض، يستوي فيه الواحد والتثنية والجمع ، وينعت به الإبل والرجال وغيرهما . لم تقرأ جنيناً أي لم تضم في رحمها ولداً .

يقول : تزيل ذراعين ممتلئتين لحماً كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد بعد أو رعت أيام الربيع في مثل هذا الموضع ، ذكر هــذا مبالغة في سمنها ، أي ناقة سمينة لم تحمل ولداً قط بيضاء اللون .

١ــ رخصاً : ليناً . حصاناً : عفيفة .

يقول : وتريك ثدياً مثل حق من عاج بياضاً واستدارة محرزة من أكف من يلمسها .

٢ــ اللدن : اللين ، والجمع لُدن ، أي ومتني قامة لدنه . السموق : الطول ، والفعــل سمق يسمق . الرادفتان والزانفتان : فرعا الأليتين ، والجمع الروادف والروانف . النوء : النهوض في تثاقل . الولي : القرب ، والفعل ولي يلي .

يقول : وتريك متني قامة طويلة لينة تثقل أردافها مع ما يقرب منهــا ، وصفها بطول القامة وثقل الأرداف .

وَمَأكَمَةً يَضيقُ ألبابُ عَنْها   وَكَشْحاً قَدْ جُنِنْتُ بِهِ جُنُونا [1]

وَسارِيَتَيْ بِلَنْطٍ أَوْ رُخام   يَرِنُّ خَشاشُ حَلْيِهِما رَنِينا [2]

فَما وَجَدَتْ كَوَجْدي أُمُّ سَقْبٍ   أَضَلَّتْهُ فَرَجَّعَت الحَنِينا [3]

وَلا شَمْطَاءُ لَمْ يَتْرُكْ شقَاهــا   لَها مِنْ تِسْعَةٍ الا جَنِينا [4]

١– المأكمة : رأس الورك ، والجمع المآكم .
يقول : وتريك وركاً يضيق الباب عنها لعظمها وضخمها وامتلائها باللحم وكشحاً قد جننت بحسنه جنوناً .

٢– البلنط : العاج . السارية : الأسطوانة ، والجمع السواري . الرنين : الصوت.
يقول : وتريك ساقين كأسطوانتين من عاج أو رخام بياضاً وضخماً يصوت حليهما ، أي خلاخيلهما ، تصويتاً .

٣– قال القاضي أبو سعيد السيرافي : البعير بمنزلة الإنسان ، والجمل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة ، والسقب بمنزلة الصبي ، والحائل بمنزلة الصبية ، والحوار بمنزلة الولد ، والبكر بمنزلة الفتى ، والقلوص بمنزلة الجارية . الوجد : الحزن ، والفعل وجد يجد . الترجيع : ترديد الصوت . الحنين : صوت المتوجع .
يقول : فما حزنت حزناً مثل حزني ناقة أضلت ولدهــا فرددت صوتها مع توجعها في طلبها ، يريد أن حزن هذه الناقة دون حزنه لفراق حبيبته .

٤– الشمط : بياض الشعر . الجنين : المستور في القبر هنا .
يقول : ولا حزنت كحزني عجوز لم يترك شقاء جدهـــا لها من تسعة إلا مدفوناً في قبره ، أي ماتوا كلهم ودفنوا ، يريد أن حزن العجوز التي فقدت تسعة بنين دون حزنه عند فراق عشيقته .

تَذَكَّرْتُ الصِّبا وَاشْتَقْتُ لَمَّا رَأَيْتُ حُمُولَها أُصلاً حُدِينا [1]
فأَعرَضَت اليَمامَةُ وَاشمَخَرَّتْ كَأَسْيافٍ بِأَيْدِي مُصْلَتِينا [2]
أَبا هِنْدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنا وَأَنْظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقِينا [3]
بِأَنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينا [4]

١ـ الحمول : جمع حامل ، يريد إبلها .
يقول : تذكرت العشق والهوى واشتقت إلى العشيقة لما رأيت حمول إبلها سيقت عشياً .

٢ـ أعرضت : ظهرت ، وعرضت الشيء أظهرته ، ومنه قوله عز وجل : « وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً » وهذا من النوادر ، عرضت الشيء فأعرض ، ومثله كببته فأكب ، ولا ثالث لهما فيما سمعنا . اشمخرت : ارتفعت . أصلت السيف : سللته .
يقول : فظهرت لنا قرى اليمامة وارتفعت في أعيننا كأسياف بأيدي رجال سالين سيوفهم ، شبه ظهور قراها بظهور أسياف مسلولة من أغمادها .

٣ـ يقول : يا أبا هند لا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك باليقين من أمرنا وشرفنا ، يريد عمرو بن هند فكناه .

٤ـ الراية : العلم ، والجمع الرايات والرأي .
يقول : نخبرك باليقين من أمرنا بأنا نورد أعلامنا الحروب بيضاً ونرجعها منها حمراً قد روين من دماء الأبطال . هذا البيت تفسير اليقين من البيت الأول .

وَأَيَّامٍ لَنـــا غرٍّ طوالٍ عَصَيْنا المَلْكَ فيها أنْ نَدِينا [1]
وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ بتاجِ المُلْكِ يَحْمِي المُحْجَرِينا [2]
تَرَكْنا الخَيْلَ عاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفُونَا [3]
وَأَنْزَلْنا البُيُوتَ بِذِي طُلُوحٍ إلى الشَّامات نَنْفي المُوعِدِينا [4]
وَقَدْ هَرَّتْ كِلابُ الحَيِّ مِنَّا وَشَذَّبْنا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينا [5]

١– يقول : نخبرك بوقائع لنا مشاهير كالغر من الخيل عصينا الملك فيها كراهية أن نطيعه ونتذلل له . الأيام : الوقائع هنا . الغر بمعنى المشاهير كالخيل الغر لاشتهارها فيما بين الخيل . قوله : أن ندين ، أي كراهية أن ندين ، فحذف المضاف ، هذا على قول البصريين ، وقال الكوفيون : تقديره أن لا ندين ، أي لئلا ندين ، فحذف لا .

٢– يقول : ورب سيد قوم متوج بتاج الملك حام للملجئين قهرناه . أحجرته : ألجأته .

٣– العكوف : الإقامة ، والفعل عكف يعكف . الصفون : جمع صافن ، وقد صفن الفرس يصفن صفوناً إذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبكه الرابع . يقول: قتلناه وحبسنا خيلنا عليه وقد قلدناها أعنتها في حال صفونها عنده.

٤– يقول : وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذي طلوح إلى الشامات ننفي من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدوننا .

٥– القتاد : شجر ذو شوك ، والواحدة منها قتادة . التشذيب : نفي الشوك والأغصان الزائدة والليف عن الشجر . يلينا أي يقرب منا .

متى ننقلْ الى قومٍ رحانا ... يكونوا في اللقاءِ لها طحينا [1]
يكونُ ثِفالُها شرقيَّ نجدٍ ... ولُهوتُها قضاعةَ أجمعينا [2]
نزلتمْ منزلَ الأضيافِ منّا ... فأعجلنا القرى أنْ تشتمونا [3]
قريناكمْ فعجّلنا قراكمْ ... قُبيلَ الصبحِ مرداةً طحونا [4]

يقول : وقد لبسنا الأسلحة حتى أنكرتنا الكلاب وهرت لإنكارها إيانا وقد كسرنا شوكة من يقرب منا من أعدائنا ، استعار لفل الغرب وكسر الشوكة تشذيب القتادة .

١- أراد بالرحى رحى الحرب وهي معظمها .
يقول : متى حاربنا قوماً قتلناهم ، لما استعار للحرب اسم الرحى استعار لقتلاها اسم الطحين .

٢- الثفال : خرقة أو جلدة تبسط تحت الرحى ليقع عليها الدقيق . اللهوة : القبضة من الحب تلقى في فم الرحى ، وقد ألهيت الرحى ألقيت فيها لهوة . يقول : تكون معركتنا الجانب الشرقي من نجد وتكون قبضتنا قضاعة أجمعين ، فاستعار للمعركة اسم الثفال وللقتلى اسم اللهوة ليشاكل الرحى والطحين .

٣- يقول : نزلتم منزلة الأضياف فعجلنا قراكم كراهية أن تشتمونا ولكي لا تشتمونا ، والمعنى : تعرضتم لمعاداتنا كما يتعرض الضيف للقرى فقتلناكم عجالا كما يحمد تعجيل قرى الضيف ، ثم قال تهكماً بهم واستهزاء : ان تشتمونا ، أي قريناكم على عجلة كراهية شتمكم إيانا إن أخرنا قراكم .

٤- المرداة : الصخرة التي يكسر بها الصخور ، والمرداة أيضاً الصخرة التي يرمى

نَعُمُّ أُناسَنــا وَنعِفُّ عَنْهُمْ   وَنَحْمِلُ عَنْهُمُ مــا حَمَّلُونا [١]
نُطاعِنُ ما تَرَاخى النّاسُ عَنّا   وَنَضْرِبُ بالسُّيُوفِ إذا غُشِينا [٢]
بِسُمْرٍ مِنْ قَنا الخَطِّيِّ لُدْنٍ   ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيضٍ يَخْتَلِينــا [٣]
كأَنَّ جَماجِمَ الأَبْطالِ فيها   وُسُوقٌ بالأَماعِزِ يَرْتَمِينــا [٤]

بهـــا ، والردي الرمي والفعل ردى يردي ، فاستعار المرداة للحرب .
الطحون : فعول من الطحن . مرداة طحوناً أي حرباً أهلكتهم أشد إهلاك .

١– يقول : نعم عشائرنا بنوالنا وسيبنا ونعف عن أموالهم ونحمل عنهم مـــا حملونا من أثقال حقوقهم ومؤونتهم ، والله أعلم .

٢– التراخي : البعد . الغشيان : الإتيان .
يقول : نطاعن الأبطال ما تباعدوا عنا ، أي وقت تباعدهم عنا ، ونضربهم بالسيوف إذا أتينا ، أي أتونا ، فقربوا منـــا ، يريد أن شأننا طعن من لا تناله سيوفنا .

٣– اللدن : اللين ، والجمع لُدن .
يقول : نظاعنهم برماح سمر لينة من رماح الرجل الخطي ، يريـد سمهراً ، أي نضاربهم بسيوف بيض يقطعن ما ضرب بها ، توصف الرماح بالسمهرة لأن سمهرتها دالة على نضجها في منابتها

٤– الأبطال : جمع بطل وهو للشجاع الذي يبطل دماء أقرانه . الوسوق : جمع وسق وهو حمـــل بعير . الأماعز : جمع الأمعز وهو المكان الذي تكثر حجارته .

نَشُقُّ بها رُؤوسَ القَوْمِ شَقًّا وَنَخْتَلِبُ الرِّقابَ فَتَخْتَلينـــا [1]
وَإِنَّ الضِّغْنَ بَعْدَ الضِّغْنِ يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدَّفينا [2]
وَرِثْنا المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ نُطاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينا [3]
وَنَحْنُ إذا عِمادُ الحَيِّ خَرَّتْ عَنِ الأَحْفاضِ نَمنعُ مَنْ يَلينا [4]

يقول : كأن جماجم الشجعان منهم أحمال إبل تسقط في الأماكن الكثيرة الحجارة ، شبه رؤوسهم في عظمها بأحمال الإبل . والارتماء لازم ومتعد ، وهو في البيت لازم .

١- الاختلاب : قطع الشيء بالمخلب وهو المنجل الذي لا أسنان له . الاختلاء : قطع الخلا وهو رطب الحشيش .
يقول : نشق بها رؤوس الأعداء شقاً ونقطع بها رقابهم فيقطعن .

٢- يقول : وإن الضغن بعـــد الضغن تفشو آثاره ويخرج الداء المدفون من الأفئدة ، أي يبعث على الانتقام .

٣- يقول: ورثنا شرف آبائنا قد علمت ذلك (معد) نطاعن الأعداء دون شرفنا حتى يظهر الشرف لنا .

٤- الحفض : متاع البيت ، الجمع أحفاض ، والحفض البعير الذي يحمل خرثي البيت ، والجمع احفاض . من روى في البيت : على الأحفاض ، أراد بهـــا الأمتعة ، ومن روى : عن الأحفاض ، أراد بها الإبل .
يقول : ونحن إذا قوضت الخيام فخرت على أمتعتهـــا نمنع ونحمي من يقرب منا من جيراننا ، أو ونحن إذا سقطت الخيام عن الإبل للاسراع في الهرب نمنع ونحمي جيراننا إذا هرب غيرنا حمينا غيرنا .

نَجُـــذُّ رُؤُوسَهُم في غَيْرِ بِرٍّ	فَمَا يَدْرُونَ مـــاذا يَتَّقُونا [1]
كأنَّ سُيُوفَنـــا مِنّا ومِنهُمْ	مَخَارِيقٌ بأَيْدي لاعِبينـــا [2]
كأنّ ثِيابَنـــا مِنّا ومِنهُمْ	خُضِبْنَ بِأُرْجوانٍ أَوْ طُلِينا [3]
إذا ما عَيّ بالإسنافِ حَيٌّ	مِنَ الهَوْلِ المُشَبَّهِ أنْ يَكُونا [4]
نَصَبْنا مِثْلَ رَهْوَةَ ذَاتَ حَدٍّ	مُحافَظَةً وكُنّا السَّابِقينـا [5]

١– الجذ : القطع .
يقول : نقطع رؤوسهم في غير بر ، أي في عقوق، ولا يدرون ماذا يحذرون منا من القتل وسبي الحرم واستباحة الأموال .

٢– المخراق : معروف ، والمخراق أيضا سيف من خشب .
يقول: كنا لا نحفل بالضرب بالسيوف كما لا يحفل اللاعبون بالضرب بالمخاريق أو كنا نضرب بها في سرعة كما يضرب بالمخاريق في سرعة .

٣– يقول : كأن ثيابنا وثياب أقراننا خضبت بأرجوان أو طليت .

٤– الإسناف : الإقدام .
يقول : إذا عجز عن التقدم قوم مخافة هول منتظر متوقع يشبه ان يكون ويمكن .

٥– يقول : نصبنا خيلا مثل هـــذا الجبل أو كتيبة ذات شوكة محافظة على أحسابنا وسبقنا خصومنا ، أي غلبناهم ؛ وتحرير المعنى : إذا فزع غيرنا من التقدم أقدمنا مع كتيبة ذات شوكة وغلبنا ، وإنما نفعل هـذا محافظة على أحسابنا .

بشُبّانٍ يَرَوْنَ القَتْلَ مَجْداً وَشِيبٍ في الحُرُوبِ مُجَرَّبِينا [1]
حُدَيَّا النّاسِ كُلِّهِمُ جَميعاً مُقارَعَةً بَنِيهِمْ عَنْ بَنِينا [2]
فَأَمّا يَوْمَ خَشْيَتِنا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنا عُصَباً ثُبِينا [3]
وَأَمّا يَوْمَ لا نَخْشَى عَلَيْهِمْ فَنُمْعِنُ غَارَةً مُتَلَبِّبِينا [4]
بِرَأْسٍ مِنْ بَنِي جُشَمِ بنِ بَكْرٍ نَدُقُّ بِهِ السُّهُولَةَ والحُزُونا [5]

١– يقول : نسبق ونغلب بشبان يعدون القتال في الحروب مجداً وشيب قد مرنوا على الحروب .

٢– حديا : اسم جاء على صيغة التصغير مثل ثريا وحميا وهي بمعنى التحدي .
يقول : نتحدى الناس كلهم بمثل مجدنا وشرفنا ونقارع أبناءهم ذابين عن أبنائنا ، أي نضاربهم بالسيوف حماية للحريم وذبا عن الحوزة .

٣– العصب : جمع عصبة وهي ما بين العشرة والأربعين . الثبة : الجماعة ، والجمع الثبات ، والثبون في الرفع ، والثبين في النصب والجر .
يقول : فأما يوم نخشى على أبنائنا وحرمنا من الأعداء تصبح خيلنا جماعات ، أي تتفرق في كل وجه لذب الأعداء عن الحرم .

٤– الإمعان : الإسراع والمبالغة في الشيء . التلبب : لبس السلاح .
يقول : وأما يوم لا نخشى على حرمنا من أعدائنا فنمعن في الإغارة على الأعداء لابسين أسلحتنا .

٥– الرأس : الرئيس والسيد .

أَلا لا يَعْلَمُ ٱلأقوَامُ أَنّـا تَضَعْضعْنا وَأَنّا قَـدْ وَنينـا[1]

أَلا لا يَجْهَلَنْ أَحدٌ عَلَيْنـا فَنَـجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ ٱلجاهِلِينا[2]

بأيِّ مَشيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْـدٍ نَكُونُ لِقِيلِكُمْ فيها قَطينا[3]

يقول : نغير عليهم مع سيد من هؤلاء القوم ندق به السهل والحزن ، أي نهزم الضعاف والأشداء .

١– التضعضع : التكسر والتذلل ، ضعضعته فتضعضع أي كسرته فانكسر . الونى الفتور .

يقول : لا يعلم الأقوام أننا تذللنا وانكسرنا وفترنا في الحرب ، أي لسنا بهذه الصفة فتعلمنا الأقوام بها .

٢– أي لا يسفهن أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم ، أي نجازيهم بسفههم جزاء يربي عليه ، فسمي جزاء الجهل جهلاً لازدواج الكلام وحسن تجانس اللفظ ، كما قال الله تعالى : « الله يستهزىء بهم » وقال الله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها» وقال جل ذكره : (ومكروا ومكر الله) . وقال جل وعلا : (يخادعون الله وهو خادعهم) . سمي جزاء الاستهزاء والسيئة والمكر والخداع استهزاء وسيئة ومكراً وخداعا لما ذكرنا .

٣– القطين : الخدم . القيل : الملك دون الملك الأعظم .

يقول : كيف تشاء يا عمرو بن هند أن نكون خدما لمن وليتموه أمرنا من الملوك الذين وليتموهم ؟ أي أي شيء دعاك إلى هذه المشيئة المحالة ؟ يريد أنه لم يظهر منهم ضعف يطمع الملك في إذلالهم باستخدام قيلة إياهم .

بأيِّ مَشيئَةٍ عَمْرَو بنَ هِنْدٍ ... تُطيعُ بنا ٱلوُشاةَ وَتَزْدَرِينا [1]
تَهَدَّدنا وَتوعِدْنا رُوَيْداً ... مَتى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينا [2]
فَإنَّ قَنَاتَنا يا عَمْرُو أَعْيَتْ ... على الأَعْداءِ قَبْلَكَ أن تَلينا [3]
إذا عَضَّ الثِّقافُ بها اشْمَأَزَّتْ ... وَوَلَّتْهُ عَشَوْزَنَةً زَبُونا [4]

١– ازدراه وازدرى به : قصر به واحتقره .
يقول : كيف تشاء أن تطيع الوشاة بنا إليك وتحتقرنا وتقصر بنا ؟ أي أي شيء دعاك إلى هذه المشيئة ؟ أي لم يظهر منا ضعف يطمع الملك فينا حتى يصغي إلى من يشي بنا إليه ويغريه بنا فيحتقرنا .

٢– القتو : خدمة الملوك ، والفعل قتا يقتو ، والقتي مصدر كالقتو ، تنسب إليه فتقول مقتوي ، ثم يجمع مع طرح ياء النسبة فيقال مقتوون في الرفع ، ومقتوين في الجر والنصب ، كما يجمع الأعجمي بطرح ياء النسبة فيقال أعجمون في الرفع : وأعجمين في النصب والجر .

يقول : ترفق في تهددنا وإيعادنا ولا تمعن فيهما ، فمتى كنا خدما لأمك ؟ أي لم نكن خدما لها حتى نعبأ بتهديدك ووعيدك إيانا . ومن روى : تهددنا وتوعدنا ، كان إخباراً ، ثم قال : رويداً أي دع الوعيد والتهديد وأمهله .

٣– العرب تستعير للعز اسم القناة .
يقول : فإن قناتنا أبت أن تلين لأعدائنا قبلك ، يريد أن عزهم أبى أن يزول بمحاربة أعدائهم ومخاصمتهم ومكايدتهم ، يريد أن عزهم منيع لا يرام.

٤– الثقاف : الحديدة التي يقوم بها الرمح ، وقد ثقفته قومته . العشوزنة : الصلبة الشديدة . الزبون : الدفوع ، وأصله من قولهم : زبنت الناقة

عَشَوْزَنَةً إذا انْقلَبَتْ أَرَنَّتْ تَشُجُّ قَفَا المُثَقَّفِ وَالجَبينا [1]

فَهَلْ حُدِّثْتَ في جُشَمِ بنِ بَكْرٍ بِنَقْصٍ في خُطُوبِ الأَوَّلينا [2]

وَرِثْنا مَجْدَ عَلْقَمَةَ بنِ سَيفٍ أَباحَ لَنا حُصُونَ المَجْدِ دِينا [3]

وَرِثْتُ مُهَلْهِلاً والخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْراً نِعْمَ ذُخْرُ الذَّاخِرينا [4]

حالبها ، إذا ضربته بثفنات رجليها أي بركبتيهـا ، ومنه الزبانية لزبنهم أهل النار ، أي لدفعهم .

يقول : إذا أخذها الثقاف لتقويمها نفرت من التقويم وولت الثقاف قنـاة صلبة شديدة دفوعا ، جعل القناة التي لا يتهيأ تقويمهـا مثلا لعزتهم التي لا تضعضع ، وجعل قهرهـا من تعرض لهدمها كنفار القناة من التقويم والاعتدال .

١– أرنت : صوتت ، والإرنان هنا لازم وقد يكون متعديا ثم بالغ في وصف القناة بأنها تصوت إذا أريد تثقيفها ولم تطاوع الغامر بل تشج قفاه وجبينه ، كذلك عزتهم لا تضعضع لمن رامها بل تهلكه وتقهره .

٢– يقول : هل أخبرت بنقص كان من هؤلاء في أمور القرون الماضية أو بنقص عهد سلف... على نحو ما قاله (التبريزي) .

٣– الدين : القهر ، ومنه قوله عز وجـل : « فلولا أن كنتم غير مدينين » أي غير مقهورين .

يقولون : ورثنا مجد هذا الرجل الشريف من أسلافنا وقد جعل لنا حصون المجد مباحة قهراً وعنوة ، أي غلب أقرانه على المجد ثم أورثنا مجده ذلك .

٤– يقول : ورثت مجد مهلهل ومجد الرجل الذي هو خير منه وهو زهير فنعم ذخر الذاخرين هو ، أي مجده وشرفه للافتخار به .

وَعَتَّاباً وَكُلْثوماً جَميعــاً ... بِهِمْ نِلْنا تُراثَ الأكْرَمينا [1]

وَذا ألْبُرَةِ الْذي حُدِّثتَ عَنْهُ ... بِهِ نُحْمَى وَنَحْمي المُلْتَجينا [2]

وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعي كُلَيْبٌ ... فأيُّ المَجْدِ إلّا قَدْ وَلِينا [3]

مَتى نَعْقِدْ قَرِينَتَنــا بِحَبْلٍ ... تَجُذَّ الحَبْلَ أَوْ تَقِصِ الْقَرينا [4]

وَنُوجَدُ نَحْنُ أَمْنَعَهُمْ ذِماراً ... وَأَوْفاهُمْ إذا عَقَدوا يَمينا [5]

١– يقول : وورثنا مجد عتاب وكلثوم وبهم بلغنا ميراث الأكام أي حزنا مآثرهم ومفاخرهم فشرفنا بها وكرمنا .

٢– ذو البرة : من بني تغلب ، سمي به لشعر على أنفه يستدير كالحلقة .
يقول : وورثت مجد ذي البرة الذي اشتهر وعرف وحدثت عنه أيها المخاطب وبمجده يحمينا سيدنا وبه نحمي الفقراء الملجئين إلى الاستجارة بغيرهم .

٣– يقول : ومنا قبل ذي البرة الساعي للمعالي كليب ، يعني كليب وائل ، ثم قال : وأي المجد إلا قد ولينا ، أي قربنا منه فحويناه .

٤– يقول : متى قرنا ناقتنا بأخرى قطعت الحبل أو كسرت عنق القرين ، والمعنى : متى قرنا بقوم في قتال أو جدال غلبناهم وقهرناهم . الجذ : والفعل جذ يجذ . الوقص : دق العنق ، والفعل وقص يقص .

٥– يقول تجدنا أيها المخاطب أمنعهم ذمة وجواراً وحلفا وأوفاهم باليمين عند عقدها . الذمار : العهد والحلف والذمة ، سمي به لأنه يتذمر له أي يتغضب لمراعاته .

وَنَحْنُ غداةَ أوقِدَ في خَزَازَى رَفَدْنا فَوْقَ رِفْدِ الرَّافِدِينا [1]
وَنَحْنُ الحابِسُونَ بذي أَرَاطى تَسَفُّ الجِلَّةُ الخُورُ الدَّرِينا [2]
وَنَحْنُ الحاكِمُونَ إذا أُطِعْنا وَنَحْنُ العَازِمُونَ إذا عُصِينا
وَنَحْنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنا وَنَحْنُ الآخِذُونَ لِما رَضِينا
وَكُنَّا الأَيْمَنِينَ إذا التَقَيْنَا وكانَ الأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِينا [3]
فَصَالُوا صَوْلَةً فِيمَنْ يَليهِمْ وَصُلْنا صَوْلَةً فيمَنْ يَلينا [4]

١– الرفد : الإعانة ، والرفد الاسم .
يقول : ونحن غداة أوقدت نار الحرب في خزازى أعنّا نزاراً فوق إعانة المعينين ، يفتخر باعانة قومه بني نزار في محاربتهم اليمن .

٢– تسف أي تأكل يابسا ، والمصدر السفوف . الجلة : الكبار من الإبـل . الخور : الكثيرة الألبان . وقيل : الخور الغزار من الإبل ، والناقة خوراء. الدرين : ما اسود من النبت وقدم .

يقول : ونحن حبسنا أموالنا بهذا الموضع حتى سفت النوق الغزار قـديم النبت وأسوده لإعانة قومنا ومساعدتهم على قتال أعدائهم .

٣– يقول : كنا حماة الميمنة إذا لقينا الأعداء وكان إخواننا حماة الميسرة ، يصف غناءهم في حرب نزار واليمن عندما قتل كليب وائل لبيد بن عنق الغساني عامل ملك غسان على تغلب حين لطم أخت كليب وكانت تحته .

٤– يقول : فحمل بنو بكر على من يليهم من الأعداء وحملنا على من يلينا .

فآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا وَأُبْنا بالمُلوكِ مُصَفَّدِينا [1]
إلَيْكُمْ يا بَني بَكرٍ إلَيْكُمْ أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا اليَقينا [2]
أَلَمَّا تَعلَمُوا مِنَّا وَمِنكُمْ كَتَائِبَ يَطَّعِنَّ وَيَرْتَمِينا [3]
عَلَيْنا البَيْضُ وَاليَلَبُ اليَماني وَأَسيافٌ يَقُمْنَ وَيَنْحَنِينا [4]
عَلَيْنا كُلُّ سَابِغَةٍ دِلاصٍ تَرَى فَوْقَ النِّطاقِ لها غُضونا [5]

١– النهاب : الغنائم ، الواحـد نهب . الأوب : الرجوع . التصفيد : التقييد ، يقال : صفدته أي قيدته وأوثقته .
يقول : فرجع بنو بكر بالغنائم والسبايا ورجعنـا مع الملوك مقيدين ، أي اغتنموا الأموال وأسرنا الملوك .

٢– يقول : تنحوا وتباعدوا عن مساماتنـا ومباراتنا يا بني بكر ، ألم تعلموا من نجدتنا وبأسنا اليقين ؟ أي قد علمتم ذلك لنا فلا تتعرضوا لنا ، يقال : إليك إليك ، أي تنح .

٣– يقول : ألم تعلموا كتائب منـا ومنكم يطعن بعضهن بعضاً ويرمي بعضهن بعضا ؟ وما في قول ألما صلة زائدة . الاطّعان والارتماء : مثـل التطاعن والترامي .

٤– اليلب : نسيجة من سيور تلبس تحت البيض .
يقول : وكان علينـا البيض واليلب اليماني وأسياف يقمن وينحنين لطول الضراب بها .

٥– السابغة : الدرع الواسعة التامة . الدلاص : البراقة . الغضون : جمع غضن

اذا وُضِعَتْ عَنِ الأَبْطالِ يَوْماً ۞ رَأَيْتَ لَها جُلُودَ ٱلْقَوْمِ جُونا [1]

كَأَنَّ غُضونَهُنَّ مُتُونُ غُدْرٍ ۞ تُصَفِّقُها الرِّياحُ اذا جَرَيْنا [2]

وَتَحْمِلُنا غَداةَ الرَّوْعِ جُرْدٌ ۞ عُرِفْنَ لَنا نَقَائِذَ وَٱفْتُلِينا [3]

وهو التشنج في الشيء .

يقول : وكانت علينا كل درع واسعة براقة ترى أيها المخاطب فوق المنطقة لها غضونا لشعتها وسبوغها .

١– الجَون : الأسود ، والجَون الأبيض ، والجمع الجُون .
يقول : إذا خلعها الابطال يوما رأيت جلودهم سوداً للبسهم إياها ؛ قوله : لها ، أي للبسها .

٢– الغدر : مخفف غدُر وهو جمع غدير . تصفقه : تضربه ، شبه غضون الدرع بمتون الغدران إذا ضربتها الرياح في جريها ، والعرائق التي ترى في الدروع بالتي تراها في الماء إذا ضربته الريح .

٣– الروع : الفزع ويريد به الحرب هنا . الجرد : التي رق شعر جسدها وقصر ، والواحد أجرد والواحدة جرداء . النقائذ : المخلصات من ايدي الأعداء ، واحدتها نقيذة ، وهي فعلية بمعنى مفعلة ، يقال : أنقذتها ، أي خلصتها ، فهي منقذة ونقيذة . الفلو والافتلاء : الفطام .

يقول : وتحملنا في الحرب خيل رقاق الشعور قصارها عرفن لنا وفطمت عندنا وخلصناها من ايدي أعدائنا بعد استيلائهم عليها .

وَرَدْنَ دَوارِعاً وَخَرَجْنَ شُعثاً كَأمثالِ الرّصائِعِ قد بَلِينا [1]
وَرِثْناهُنَّ عَنْ آباءِ صِدْقٍ وَنُورِثُها إذا مُتْنا بَنِينا [2]
عَلى آثارِنا بِيضٌ حِسانٌ نُحاذِرُ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُونا [3]
أَخَذْنَ على بُعُولَتِهِنَّ عَهْداً إِذا لاقَوْا كَتائِبَ مُعْلِمِينا [4]

١– رجل دارع : عليه درع ، ودروع الخيل تجافيفها . الرصائع : جمع الرصيعة وهي عقدة العنان على قذال الفرس .

يقول : وردت خيلنا وعليها تجافيفها وخرجن منها شعثاً قد بلين بلي عقد الأعنة لما نالها من الكلال والمشاق فيها .

٢– يقول : ورثنا خيلنا من آباء كرام شأنهم الصدق في الفعال والمقال ونورثها أبناءنا إذا متنا ، يريد أنها تناتجت وتناسلت عندهم قديماً .

٣– يقول : على آثارنا في الحروب نساء بيض حسان نحاذر عليها أن يسبيها الأعداء فتقسمها وتهينها ، وكانت العرب تشهد نساءها الحروب وتقيمها خلف الرجال ليقاتل الرجال ذباً عن حرمها فلا تفشل مخافة العار بسبي الحرم .

٤– يقول : قد عاهدن أزواجهن إذا قاتلوا كتائب من الأعداء قد أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها في الحروب أن يثبتوا في حومة القتال ولا يفروا ، والبعول والبعولة جمع بعل ، يقال للرجل : هو بعل المرأة ، وللمرأة هي بعله وبعلته ، كما يقال : هو زوجها وهي زوجه وزوجته .

لَيَسْتَلِبُنَّ أَفْراساً وَبيضاً وَأَسْرَى في الحَديدِ مُقَرَّنِينا [1]

تَرَانا بارِزينَ وَكُلُّ حَيٍّ قَدِ اتَّخَذُوا مَخافَتَنا قَرِينا [2]

إذا ما رُحْنَ يَمْشِينَ الهُوَيْنَى كَما اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشَّارِبِينا [3]

يَقُتْنَ جِيادَنا وَيَقُلْنَ لَسْتُمْ بُعُولَتَنا اذا لَمْ تَمْنَعُونا [4]

ظَعَائِنَ مِن بَني جُشَمِ بنِ بَكْرٍ خَلَطْنَ بِمِيسَمٍ حَسَباً وَدِينا [5]

١– أي ليستلب خيلنا أفراس الأعداء وبيضهم وأسرى منهم قد قرنوا في الحديد .

٢– يقول : ترانا خارجين إلى الأرض البراز ، وهي الصحراء التي لا جبل بها ، لثقتنا بنجدتنا وشوكتنا ، وكل قبيلة تستجير وتعتصم بغيرها مخافة سطوتنا بها .

٣– الهوينى : تصغير الهونى وهي تأنيث الأهون ، مثل الأكبر والكبرى .
يقول : إذا مشين يمشين مشياً رفيقاً لثقل أردافهن وكثرة لحومهن ، ثم شبههن في تبخترهن بالسكارى في مشيهم .

٤– القوت : الإطعام بقدر الحاجة ، والفعل قات يقوت ، والاسم القوت والقيت ، والجمع الأقوات .
يقول : يعلفن خيلنا الجياد ويقلن لستم أزواجنا إذا لم تمنعونا من سبي الأعداء إيانا .

٥– الميسم : الحسن وهو من الوسام والوسامة وهما الحسن والجمال ، والفعل

وَمَا مَنَعَ الظعائِنَ مِثْلُ ضَرْبٍ   تَرَى مِنْهُ السَّواعِدَ كالقُلينا [1]

كَأَنّا وَالسُّيُوفُ مُسَلَّلاتٌ   وَلَدْنا النَّاسَ طرّاً أَجْمَعينا [2]

يُدَهْدِهْنَ الرُّؤُوس كما تُدَهْدي   حَزاوِرَةٌ بأَبْطَحِها الكُرينا [3]

وَقَدْ عَلِمَ القَبائِلُ مِنْ مَعَدٍّ   اذا قُبَبٌ بأَبْطَحِها بُنِينا [4]

وسم يوسم ، والنعت وسيم . الحسب : مـا يحسب من مكارم الإنسان ومكارم أسلافه ، فهو فعـل في معنى مفعول مثل النفض والخبط والقبض واللقط في معني المنفوض والمخبوط والمقبوض والملقوط ، فالحسب إذن في معنى المحسوب من مكارم آبائه .

يقول : هن نساء من هذه القبيلة جمعن إلى الجمال الكرم والدين .

١– يقول : ما منع النساء من سبي الأعداء إياهن شيء مثل ضرب تندر وتطير منه سواعد المضروبين كما تطير القلة إذا ضربت بالمقلى .

٢– يقول : كأنا حال استلال السيوف من أغمادها ، أي حـال الحرب ، ولدنا جميع الناس ، أي نحميهم حماية الوالد ولده .

٣– الحزور : الغلام الغليظ الشديد ، والجمع الحزاورة .

يقول: يدحرجون رؤوس أقرانهم كما يدحرج الغلمان الغلاظ الشداد الكرات في مكان مطمئن من الأرض .

٤– يقول : وقد علمت قبائل معد إذا بنيت قبابها بمكان أبطح . القبب والقباب جمعا قبة .

بأنّا المُطعِمونَ اذا قَدَرْنا ... وأنّا المُهلِكونَ اذا ابْتُلينا [1]

وأنّا المانِعونَ لِما أرَدْنا ... وأنّا النازِلونَ بِحَيْثُ شِينا [2]

وأنّا التّارِكونَ اذا سَخِطْنا ... وأنّا الآخِذونَ اذا رَضِينا [3]

وأنّا العاصِمونَ إذا أُطِعْنا ... وأنّا العازِمونَ إذا عُصِينا [4]

ونَشْرَبُ انْ وَرَدْنا الماءَ صَفْواً ... ويَشْرَبُ غَيْرُنا كَدِراً وطِينا [5]

ألا أَبْلِغْ بَني الطَّمّاحِ عَنّا ... ودُعْمِيّاً فَكَيْفَ وَجَدْتُمُونا [6]

١– يقول : قد علمت هـذه القبائل أنا نطعم الضيفان إذا قدرنا عليه ونهلك أعداءنا إذا اختبروا قتالنا .

٢– يقول : وانا نمنع الناس ما أردنا منعه إياهم وننزل حيث شئنا من بلاد العرب .

٣– يقول : وانا نترك ما نسخط عليه ونأخذ إذا رضينا ، أي لا نقبل عطايا من سخطنا عليه ونقبل هدايا من رضينا عليه .

٤– يقول : وانا نعصم ونمنع جيراننا إذا أطاعونا ونعزم عليهم بالعدوان إذا عصونا .

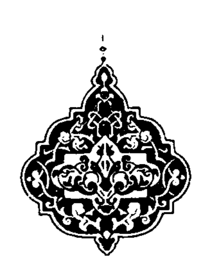
٥– يقول : ونأخذ من كل شيء أفضله وندع لغيرنا أرذله ، يريد أنهم السادة والقادة وغيرهم أتباع لهم .

٦– يقول : سل هؤلاء كيف وجدونا شجعاناً أم جبناء ؟

اذا ما المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خَسْفاً   أَبيْنَا أَنْ نُقِرَّ الذُّلَّ فِينا [1]

مَلأْنا البَرَّ حتى ضَاقَ عنَّا   وَظهر البَحْرِ نَمْلُؤُهُ سَفِينا [2]

اذا بَلَغَ الفِطامَ لَنـا صَبِيٌّ   تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدِينا [3]



١– الخسف والخسف ، بفتح الخاء وضمها : الذل . السوم : أن تجشم إنساناً مشقة وشراً ، يقال : سامه خسفاً ، أي حمله وكلفه ما فيه ذله .
يقول : إذا أكره الملك الناس على ما فيه ذلهم أبينا الانقياد له .

٢– يقول : عممنا الدنيا براً وبحراً فضاق البر عن بيوتنا والبحر عن سفننا .

٣– يقول : إذا بلغ صبياننا وقت الفطام سجدت لهم الجبابرة من غيرنا .

عَنْتَرة بنُ شَدَّادْ

الشاعر والفارس والقصة والمعلقة

شاعر الطفولة

قد تنسى كثيراً من الشعراء ورجال التاريخ ولكنه من الصعب عليك ان تنسى عنترة بن شداد ، ليس لانه شاعر بطـــل ، ولا فارس مغوار من مغاوير العرب قبل الاسلام ، ولكن لانه انسان فرضت علينا قصته ان نتعرف عليه منذ طفولتنا ، فلما تمّ التعارف ، واستقام اللقاء – روحياً طبعاً – لم يعد هناك سبيل لان نتركه او يتركنا ، او نفارقه ويفارقنا ، اصبح منا واصبحنا منه ، نردّد اسمه ، ونتندر بشعره ، ونضرب المثل ببطولته ، مـــا شاهدنا بطلاً من ابطالنـــا المعاصرين في مختلف ميادين الرياضة والقوة وصلابة الجسم وقوة العضلات .. او في البطولة والنخوة ونجدة الآخرين عندما يدعون وينادون :

« الا فتى لشد الازر والاخذ بالثأر ..؟

فنسمع عنترة يهتف قائلاً : ولا بأس ان يكون الهتـــاف من بيت لطرفة ابن العبد :

اذا القوم قالوا : من فتى ؟ خِلتُ انني عُنيت فلم اكسل ولم اتبلّد

وعنترة بن شداد الى هـــذا شاعر عربي لا شك في حياته ، ولا اختلاف على وجوده وبسالته ، ولا على بعض شعره ، واذا كان هناك من اختلاف فانما يقوم

على عدد ضحاياه وغزواته في قصته المعروفة .. وهي ظاهرة اذا خالفت التاريخ فانها لا تخالف الروح القصصية ، ولا العرف المتبع في امثالها من قصص البطولة الكلاسيكية .. فالالياذة مثلاً وهي قصة البطولة عند الاغريق ، والتي تدور حوادثها حول حرب طروادة.. تماثل قصة عنترة من حيث الاغراق، وتشاركها في تمجيد البطولة ، وتقدير الفروسية ، ووصف التضحية ..

واذا كانت المعارك التي تصفها الالياذة ، قد اوقدتها « هيلانة » الجميلة .. فان الغزوات والحروب التي تقصها علينا قصة عنترة ، قامت في سبيل « عبله » العربية ، وعينيها الجميلتين ..

واذا كانت « الالياذة » نشيد فرسان الاغريق .. في العصور الماضيات ، فحريّ ان تكون قصائد عنترة نشيد الكتائب العربية في هذا العصر وكل عصر .. انها في الواقع تمثل روح الفروسية احسن تمثيل .. وتمثل البطولة التي عرفناها في اخبار اجدادنا ، والتضحية التي خبرناها في وقائعهم وزحوفهم ، يوم كانت راياتهم تختال فوق الكتائب الزاحفة ، حتى اذا دخلت المعركة بيضاء ناصعة ، غادرتها حمراء قانية ..

الملحمة

وقصة عنترة ملحمة العرب .. كما ان الالياذة ملحمة الاغريق القدماء ، وقد جمعت الالياذة بين حاشيتيها صوراً كثيرة من حياة الاغريق ومعتقداتهم .. وفضائل النفس الانسانية في عصرهم وفي كل العصور ، كالبطولة المثالية ، والتضحية الغالية ، وبرّ الامهات ، واخلاص الزوجات ، والغضبة للوطن ونسيان الاحقاد الشخصية من اجله في ساعة الخطر حين يستحكم ، وفي رهبة الموقف حين يتحرج ، كما فعل البطل الاغريقي « اخيل » عندما ترك ساحة القتال وأوى الى عزلته ساخطاً على زميله « آغا ممنون » الجبار ، لاغتصابه احدى سباياه الجميلات .

ولكن (اخيل) ما لبث ان ترك العزلة ولبى النداء القارع اذنيه ، لما بلغه ان هكتور الطروادي عدو بلاده قتل ابن عمه وصديقه الحميم باتركلوس .. فهنا

تنسى الاحقـاد ، وتترك حفائظ الصدور ، وتغفر خطايا الاصدقاء في سبيل مواجهة العدو المشترك .. فيتصالح (اخيل) مع آغا ممنون ، وينزل الى الميدان منكلا باعداء وطنه الطرواديين ، ممثلا بجثة هكتور اشنع تمثيل .

وفي قصة عنترة من هذا الشيء الكثير ، ففيها وصف رائع للبطولة ، وفيها تقدير بالغ للكرم ، ولكل الاخلاق الفاضلة ، وفيها وصف بديع للحياة عنـد القبائل العربية قبل الاسلام ..

وعنترة الى هذا شاعر حفلت بمغامراته وحوادثه طفولتنـا ، فاثار اعجابنا ونحن صغار ، وتتبعنا ونحن اطفـال اخباره ووقائعه وغزواته في المجموعة المشهورة باسمه ، فكانت حياته مادة من مواد الطفولة ، حفزتنا في كثير من الاحايين على ترسم خطواته ، والتشبه به ، وترديد شعره ، والتغني بمفاخره ، فهو الشاعر الذي لن ينسى عربي اسمه ، وهو الفارس الذي ولد معنا ، وكان له في حياتنا الاولى ابعد الاثر ، واعظم التأثير ..

وعنترة بن شداد من قبيلة عبس احدى قبائل مضر . وكانت هذه القبيلة في سالفات الايام ، تسكن نجداً ، وكانت امه حبشية سوداء .. اسمها « زبيبة » سباها « شداد » ابوه في بعض غزواته .. فاولدها عنترة واستعبدها وابنهـا ، فلما استوى عنترة شاباً قوياً ، وفارساً بطلا ، وتمكن في ذات يوم — حين غزت « طي » قومه وهي قبيلة معادية واصابت منهم — من ردّ العـدو عن قومه واسترجاع الابل التي ظفر بها الخصوم حرّره ابوه واعتقه واعترف ببنوته ..

وكان عنترة الى هذا اسود الوجه كأمه ، وكان كثيراً ما يعيبه خصومه على سواده .. فكان يعمل جاهداً للتحرر من هذا العيب ، وكان يشعر ان لا سبيل الى غسل هذا العيب الا ببسالته وشجاعته ، فما زال يجاهـد ويتأتى لغايته بالمران والطراد ، حتى استقامت له البطولة ، وظفر بالفروسية ، واعترف له خصومه واعداؤه بانه البطل الذي لا يعرف الخوف ولا الموت ..

وعشق عبلة ابنة عمه في صباه ، فطلبها من ابيها فاباها عليه ، وكان لا يزال عبداً ، فحفزه هـذا للمعالي والامجاد يطلبها عن طريق الفروسية والسيف ،

واهاجت فيه هذه الاغراض المثالية الشعر ، فجاءه صافياً فخماً ، واجتمع له مع هذا الشعر القوي الفخم ، الخلق الجميل ، والشجاعة النادرة والمروءة والإباء والكرم فبزّ غيره وظهر على سواه .

والمؤرخون يجمعون على ان عنترة قضى حياته بين قومه يغزو معهم ويدافع عنهم ، ويرد عدوهم ما حاول هذا العدو غزوهم .. وحياة البدو قبل الاسلام كانت على هذا النحو ، سعي الى المـاء وطلب الكلأ والعشب الاخضر لترعاه اغنامهم ونوقهم ، وغزو للقبائل المجاورة ، مـا دعت الحاجة ، او لم تدع الى ذلك ..

ومن اشهر الغزوات التي شارك فيها عنترة قومه على نطـاق واسع حرب داحس والغبراء .. وقد وصفت حوادثها بكثير من المبالغات في قصته المعروفة .. وقد اجريناهـا باسلوب جديد لسنوات خلت ، وطبعت في مجلدات ثلاثة ، ونفدت عند ظهورها ، ثم اختصرناها في مجلد واحد نشر السنة الماضية ١٩٦٥ .

ويجمع الرواة على ان عنترة كان من المعمرين وانه توفي حوالي سنة ٦١٥ ميلادية ، كما يذكرون في سبب موته رمي وزير بن جابر النبهاني الملقب بالاسد الرهيص له بسهم وهو يغير على بني نبهان من طي .. فقطع مطاه وتحامـل عنترة حتى اتى قومه .. وهو يقول :

وان ابن سلمى عنده فاعلموا دمي ... وهيهات لا يرجى ابن سلمى ولا دمي

وهذه الرواية تذكرها القصة ، ويؤيدها ابن الكلبي ..

دين عنترة

واما ما ذهب اليه الاب لويس شيخو من تعميده في قبره فلا يؤكده مصدر تاريخي ، والقول بان امه حبشية نصرانية ، ولهذا فهو على دينها ، قول ضعيف لان لا شك في وثنية والده ، والعادة ان يتبع الابن اباه لا امه في دينه ولقبه ..

واما القول بانه ذكر الله والتوحيد في شعره ، وانه لا بد ان يكون من النصارى لهذا ، فقد ذكر غيره التوحيد والله في اقوالهم ، فاسماهم اهل زمانهم بالحنفاء ، ولم يقولوا بنصرانيتهم ..

واما كون الملك زهير ملك بني عبس وابنه قيس من النصارى ، فهو ما لم يؤكده مصدر تاريخي قطعاً . حتى قصة عنترة لم تشر في سطر من سطورها الى دين الرجلين من قريب او بعيد ..

واما اخلاق عنترة وسلوكه الجميل نحو فتاة الحي حين يقول :

اغشى فتاة الحي عند حليلها   واذا غزا بالجيش لا اغشاها
واغضّ طرفي ما بدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها

فقد كان جميع العرب يغارون على الحريم والنساء ، حتى لقد كان بعضهم يطمر فتاته وهي حية بالتراب مخافة ان تسبى ويلحقه العار بسبب ذلك ..

وكل من قرأ تاريخ العرب واشعارهم وجد الواناً من هذه الغيرة ، كما وجد الواناً من الكرم المفرط والدفاع عن الجار والمحافظة عليه ، واجارة الهارب والمظلوم ، ومحاربة عدوه استنقاذاً له .. ودفاعاً عنه ..

والواقع اني لم اجد في كل ما قرأت من كتب التاريخ من قديم وجديد اشارة الى ان شعراء المعلقات كانوا من النصارى إلا ما ذكره الاب لويس شيخو عنهم في كتابه شعراء النصرانية .

والحقيقة التي لا مراء فيها انه كان هناك نصارى في مكة ، وكان هناك نصارى في اليمن ، ولكنهم كانوا من القلة بحيث لا يعدون شيئاً مذكوراً ، خصوصاً في مكة ، التي كان اليهود فيها اكثر عدداً ..

واما بين القبائل العربية فقد كانت النصرانية نادرة إلا في الحيرة وعند الغساسنة .. حيث الحياة المستقرة والنعيم المقيم .. واذا كان هناك عدد من النصارى بين افراد قبيلة من القبائل فلا يعني هذا ان القبيلة كلها كانت تدين بالنصرانية ، نقول هذا احقاقاً للتاريخ .. ولو دان عرب الجاهلية بالنصرانية

لكان هذا خيراً لهم من وثنيتهم .. كما يؤكد ما نقوله ان القبائل العربية التي كانت تدين بالنصرانية ظلت على نصرانيتها ولم تقبل الاسلام كبني تغلب مثلاً .. واما القبائل التي كانت وثنية فهي التي اسرعت الى الاسلام وتقبلته ، ودانت به ، وهي اكثر القبائل العرب بما في ذلك كندة وعبس وغيرهما من القبائل التي قيل بنصرانيتها وهي ليست كذلك ..

الشعر والمعلقة

ولقد اختلف الرواة في شعر عنترة، نحله بعضهم ابياتاً ليست له ، ونسبوا اليه قصائد لم يقلها ، خصوصاً في القصة ..

وكما اختلفوا في الديوان اختلفوا في المعلقة وان كان اختلافهم اخف والين ، فالمعلقة لعنترة ما في ذلك شك ولا ريب ، وقد ذكرت اكثر ابياتها موزعة هنا وهناك في كتب الادب القديمة ، مثل جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي .. وطبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والكامل للمبرد ، وتهذيب الالفاظ لابن السكيت ، والاغاني للاصفهاني ، والامالي لابي علي القالي ، مما يقطع بصحة المعلقة .. الا بعض ابيات يختلف فيها المؤرخون كالمطلع ، وبعض ابيات اخرى ..

ويختلف الرواة ايضاً في عدد ابيات المعلقة فابن الزوزني يحددها في ٧٥ بيتاً ، وابن الورد في ٨٥ بيتاً ، وفي جمهرة اشعار العرب ١٠٥ ابيات.. والمشهور انها لا تتجاوز الثمانين بيتاً .. بل هي اقل من هذا الرقم ببيت واحد ..

واما ديوان عنترة فقد شك كثير من الرواة في بعض قصائده كما قدمنا ، وان كان عدد ما فيه من القصائد ليس كثيراً في الحقيقة ، لان ابن سلام الجمحي المتوفي في اواسط القرن التاسع الميلادي ذكر ان له شعراً كثيراً في كتابه « طبقات الشعراء » ..

وقد ذكر حاجي خليفة لعنترة ديواناً في كتابه « كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون» ، ولكنا لسنا على ثقة فيما اذا كان هذا الديوان القديم هو اساس

الطبعات التي طبعت من ديوان عنترة في العصور المتأخرة .. لأن ما لدينا من شعر عنترة في ديوانه يجمع بالتأكيد بين الاصيل والمنحول ، او بين القصيدة التي قالها عنترة في عشرين بيتاً مثلاً ، فجاء بعده من زادها الى الثلاثين .. ولا بد ان سبب هذا قصته ، وكثرة من رواها وتندّر بها من القصاصين .

وشعر عنترة سواء المنحول والاصيل يدور حول مذهبه في الفخر والحرب ووصف المعارك والمبارزات ... ويذهب بعضهم مثلاً الى ان قصيدة :

حكم سيوفك في رقاب العزل ..

ليست له .. وكذلك قصيدة :

طال الثواء على رسوم المنزل   بين اللكيك وبين ذات الحرمل

والهائية التي مطلعها :

وكتيبة لبستهـــا بكتيبة   شهباء باسلة يخاف رداهـــا

والغريب ان المنحول الذي يذكرونه في شعر عنترة، اذا قورن بمعلقته التي لا سبيل الى الشك فيها ، لا نجد فروقاً تذكر في الوصف واللغة والاسلوب ، بل بالعكس نجد كثيراً من التقارب والتلاؤم ..

واذا صحّ ان القصائد التي ذكروها منحولة لعنترة وليست له حقاً ، فلا بد ان المقلدين كانوا من البراعة بمكان حتى استقام لهم هذا القصيد المتناسب المستقيم المتآلف مع شعر عنترة نفسه ..

واخيراً نحن امام شاعر ابيض القلب اسود الوجه ، اخذ من مكارم الاخلاق باحسن نصيب واجمل قسط ، وتنزه عن الفحشاء ، وارتفع بقلبه الكبير حتى بلغ الغاية ، يغشى الوغى .. ويقتحم المعركة ، ثم لا يمـــدّ يده الى الغنائم ترفعاً وكبراً ، حتى لا يحني رأسه ، وهو يريده رفيعاً عالياً ..

يبيت على الطوى .. ويتقبل الجوع حتى يحصل على كريم المأكل ، فاما اذا كان المأكل دنيئاً فهو يرفضه وينزه نفسه عنه ..

كان شجاعاً ، ولكن شجاعته كانت في مكانها ، بل لقد كانت تماثل شجاعة

رجل السياسة وقد وصف عنترة نفسه ، وذكر ذلك صاحب الاغاني ، فقيل له :

– انت اشجع الناس واشدها ؟

قال : لا ..

فقيل له : فبماذا شاع عنك هذا في الناس ؟

فقال : كنت أقدم اذا رأيت الاقدام عزماً ، واحجم اذا رأيت الاحجام حزماً ، ولا ادخل موضعاً لا ارى لي منه مخرجاً ، وكنت اعتمد الضعيف الجبان ، فاضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع ، فاثني عليه واقتله ..

وقد كان عنترة شاعراً صادقاً في وصفه ، كشأن شعراء الجاهلية جميعهم قبل الاسلام يصفون في شعرهم ما يرون ، ويصورون ما يشاهدون ، ولا يغالون ولا يغرقون .. ويقصون القصة التي تحدث لهم باسلوبهم البدائي ، لا يزخرفون القول ، ولا يكذبون .. واذا غالوا يوماً في الوصف ، فهي مغالاة ساذجة لطيفة يطرب لها القارىء ابداً ودائماً ..

سبب نظم المعلقة

واما سبب نظم عنترة للمعلقة فيقول الرواة انها تعود لمساجلة جرت بينه وبين شخص من قومه فعيّره بسواده وامه ، فرد عليه عنترة ببلائه في الحروب وخوضه المعارك ، وشريف اخلاقه عند النصر وتوزيع المغانم ..

فقال الرجل : انا اشعر منك ..

فقال عنترة : ستعلم ذلك ..

ثم نظم المعلقة يشيد فيها بغزواته ، وشجاعته واخلاقه ..

والمعلقة بالاجماع احسن قصائده ومن اجمل شعره ..

واخيراً هذا هو عنترة الفارس العربي الذي عاش بين السيوف والرماح .. وصرف حياته في الحرب والنزال ، وامتاز على اقرانه بالخلق الكريم ، والعمل النبيل ، وذهب في التاريخ كشاعر السيف والبطولة دون غيره من شعراء العرب اجمعين ..

عَنْتَرة

هو أبو المغلّس عنترة بن شداد العبسي ، وأمّه زبيبة ، أمة حبشيّة . كان أبوه قد استعبده على عادة العرب في استعباد أبناء الإماء ، فاتفق أن أغار قوم من العرب على بني عبس فأصابوا منهم ، واستاقوا إبلاً فتبعهم العبسيون وعنترة معهم يومئذ ، فقال أبوه : كرّ يا عنترة !

فأجابه : العبد لا يُحسن الكرّ وإنّما يحسن الحلب والصرّ .

فقال له : كرّ وأنت حرّ !

فكرّ وقاتل قتالاً حسناً فادّعاه أبوه وألحقه بنسبه .

كان عنترة بطلاً شجاعاً كبير النفس ، رقيق القلب ، رحب الصدر ، عفيفاً. وقد أحبّ عبلة ابنة عمّه مالك ، فهاجت شاعريته واتسع خياله ، وأشهر شعره معلقته وهي السادسة في المعلقات ، قيل ان سبب نظمه لها أنه كان في أحد الأيام في مجلس بعد أن كان قد أبلى في حروبه بلاء حسناً ، فشاتمه رجل من بني عبس وعيّره سواده وسواد أمّه وإخوته ، وأنه لا يقول الشعر ، فسبّه عنترة وفخر عليه ، ثم أنشأ معلقته ، فبدأ بذكر عبلة وبُعد دارها ، ثم وصف ناقته ، ونفسه بأنه لا يظلم ولا يجرؤ أحد على ظلمه ، وبأنه يشرب الخمر فيكون كريماً شريفاً في شربه وصحوه . ثم وصف بطشه ، وصوّر فرسه تصويراً جميلاً رفعه فيه إلى درجة الإنسانية . وفي معلقته من شرف المعاني ، وسهولة اللفظ ، وحسن الانسجام ، ومتانة التعبير والموسيقى ما جعل العرب يسمونها : بالذهبيّة .

المعلّقة

هَلْ غادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ ... أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ [1]

يا دارَ عَبْلَةَ بالجِوَاءِ تَكَلَّمي ... وَعِمِّي صَباحاً دارَ عَبْلَةَ وَاسْلَمي [2]

---

١ ـ المتردم : الموضع الذي يسترقع ويستصلح لمـا اعتراه من الوهن والوهي ، والتردم أيضاً مثل الترنم وهو ترجيع الصوت مع تحزين .
يقول : هل تركت الشعراء موضعاً مسترقعاً إلا وقـد رقعوه وأصلحوه ؟ وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار ، أي لم يترك الشعراء شيئاً ، يصاغ فيه شعر إلا وقد صاغوه فيه ؛ وتحرير المعنى : لم يترك الأول للآخر شيئاً ، أي سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعاً أرقعـه ومستصلحاً أصلحه ، وإن حملته على الوجـه الثاني كان المعنى : إنهم لم يتركوا شيئاً إلا رجعوا نغماتهم بإنشاء الشعر وإنشاده في وصفه ورصفه ، ثم أضرب عن هذا الكلام وأخذ في فن آخر فقال مخاطباً نفسه : هل عرفت دار عشيقتك بعد شكك فيها ، وأم ههنا معناه بل أعرفت ، وقد تكون أم بمعنى بـل مع همزة الاستفهام ، كما قال الأخطل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ... غلس الظلام من الرباب خيالا

أي بل أرأيت ، ويجوز أن يكون هل ههنا بمعنى قد كقوله عز وجـل : (هل أتى على الإنسان) أي قد أتى .

٢ ـ الجو : الوادي ، والجمع الجواء ، والجواء في البيت موضـع بعينه . عبلة :

فَوَقَفْتُ فيها نَاقتي وَكَأَنَّها فَدَنٌ لأَقْضِي حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ [1]

وَتَحُلُّ عَبْلَةُ بِالْجِوَاءِ وَأَهْلُنا بِالْحَزْنِ فالصَّمَّـانِ فالْمُتَثَلَّمِ [2]

حُيِّيْتَ مِنْ طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقْفَرَ بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَمِ [3]

حَلَّتْ بأَرْضِ الزَّائِرِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابنَةَ مَخْرَمِ [4]

اسم عشيقته ، وقد سبق القول في قوله عمي صباحاً .

يقول : يا دار حبيبتي بهذا الموضع تكلمي واخبريني عن أهلك مـا فعلوا ، ثم أضرب عن استخباره إلى تحيتها فقال : طاب عيشك في صباحك وسلمت يا دار حبيبتي .

١ ـ الفدن : القصر ، والجمع الأفدان . المتلوم : المتمكث .
يقول : حبست ناقتي في دار حبيبتي ، ثم شبه الناقة بقصر في عظمها وضخم جرمها ، ثم قال : وإنمـا حبستها ووقفتها فيها لأقضي حاجة المتمكث بجزعي من فراقها وبكائي على أيام وصالها .

٢ ـ يقول : وهي نازلة بهذا الموضع وأهلنا نازلون بهذه المواضع .

٣ ـ الإقواء والإقفار : الخلاء ، جمع بينهما لضرب من التأكيد كما قـال طرفة : (متى أدن منه ينأ عني ويبعد) جمع بين النأي والبعد لضرب من التأكيد .
أم الهيثم : كنية عبلة .
يقول : حييت من جملة الأطلال ، أي خصصت بالتحية من بينها ، ثم أخبر أنه قدم عهده بأهله وقد خلا عن السكان بعد ارتحال حبيبته عنه .

٤ ـ الزائرون : الأعـداء ، جعلهم يزأرون زئير الأسد ، شبه توعدهم وتهددهم بزئير الأسد .

عُلِّقْتُها عَرَضاً وَأَقْتُلُ قَوْمَها زَعْماً لَعَمْرُ أبيكَ ليس بِمَزْعَمِ [1]

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فلا تَظُنِّي غَيْرَهُ مِنّي بِمَنْزِلَةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ [2]

كَيْفَ المَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُها بِعُنَيْزَتَيْنِ وَأَهْلُنَا بالغَيْلَمِ [3]

يقول : نزلت الحبيبة بأرض أعدائي فعسر علي طلبها ، وأضرب عن الخبر في الظاهر إلى الخطاب ، وهو شائع في الكلام ، قال الله تعالى : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح) .

١ ـ قوله : عرضاً ، أي فجأة من غير قصد له . التعليق هنا : التفعيل من العلق والعلاقة وهما العشق والهوى ، يقال : علق فلان بفلانة، إذا كلف بها ، علقاً وعلاقة . العمر والعمر ، بفتح العين وضمها : الحياة والبقاء ، ولا يستعمل في القسم إلا بفتح العين . الزعم : الطمع . والمزعم : المطمع . يقول : عشقتها وشغفت بها مفاجأة من غير قصد مني ، أي نظرت إليها نظرة أكسبتني شغفاً بها وكلفاً مع قتلي قومها ، أي مع ما بيننا من القتال ، ثم قال : أطمع في حبك طمعاً لا موضع له لأنه لا يمكنني الظفر بوصالك مع ما بين الحيين من القتال والمعاداة ؛ والتقدير : أزعم زعماً ليس بمزعم أقسم بحياة أبيك أنه كذلك .

٢ ـ يقول : وقد نزلت من قلبي منزلة من يحب ويكرم فتيقني هذا واعلميه قطعاً ولا تظني غيره .

٣ ـ يقول : كيف يمكنني أن أزورها وقد أقام أهلها زمن الربيع بهذين الموضعين وأهلنا بهذا الموضع وبينها مسافة بعيدة ومشقة مديدة ؟ أي كيف يتأتى لي زيارتها وبين محلتي ومحلها مسافة ؟ المزار في البيت : مصدر كالزيارة . التربع : الإقامة زمن الربيع .

إنْ كُنْتِ أزْمعْتِ ٱلفِراقَ فإنّما   زُمّتْ رِكابُكُمُ بلَيْلٍ مُظْلِمِ[1]
ما راعَني إلّا حَمُولَةُ أهْلِها   وَسْطَ الدّيارِ تَسَفُّ حبَّ الخِمْخِمِ[2]
فيها اثْنَتانِ وَأرْبعُونَ حَلُوبَةً   سُوداً كخافِيَةِ ٱلغُرابِ الأسْحمِ[3]

---

١ ـ الإزماع : توطين النفس على الشيء . الركاب : الإبل ، لا واحد لها من لفظها ، وقال الفراء : واحدها ركوب مثل قلوص وقلاص .
يقول : إن وطنت نفسك على الفراق وعزمت عليه فاني قد شعرت به بزمكم إبلكم ليلا ، وقيل : بل معناه قد عزمت على الفراق فان إبلكم قد زمت بليل مظلم ، فان على القول الأول حرف شرط ، وعلى القول الثاني حرف تأكيد .

٢ ـ راعه روعاً : أفزعه . الحمولة : الإبل التي تطيق أن يحمل عليها . وسط ، بتسكين السين ، لا يكون إلا ظرفاً ، والوسط ، بفتح السين ، اسم لما بين طرفي الشيء . الخمخم : نبت تعلفه الإبل . السف والاستفاف معروفان .
يقول : ما أفزعني إلا استفاف إبلها حب الخمخم وسط الديار ، أي ما أنذرني بارتحالها إلا انقضاء مدة الانتجاع والكلإ فاذا انقضت مدة الانتجاع علمت أنها ترتحل إلى دار حيها .

٣ ـ الحلوبة : جمع الحلوب عند البصريين ، وكذلك قتوبة وقتوب وركوبة وركوب ، وقال غيرهم : هي بمعنى محلوب ، وفعول إذا كان بمعنى المفعول جاز أن تلحقه تاء التأنيث عندهم . الأسحم : الأسود . الخوافي من الجناح : أربع من ريشها ، والجناح عند أكثر الأئمة : ست عشرة ريشة ، أربع قوادم وأربع خواف وأربع مناكب وأربع أباهر ، وقال بعضهم : بل هي عشرون ريشة وأربع منها كلى .

إذْ تَسْتَبيكَ بذي غُروبٍ وَاضِحٍ   عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لَذيذِ المَطْعَمِ [1]

وَكَأَنَّ فارَةَ تاجِرٍ بِقَسيمَةٍ   سَبقَتْ عَوارِضَها إِلَيكَ مِنَ الفَمِ [2]

أَوْ رَوْضَةً أُنفاً تَضَمَّنَ نَبْتَها   غَيْثٌ قَليلُ الدِّمْنِ لَيسَ بِمَعْلَمِ [3]

يقول : في حمولتها اثنتان وأربعون ناقة تحلب سوداً كخوافي الغراب الأسود ، ذكر سوادها دون سائر الألوان لأنها أنفس الإبل وأعزها عندهم ، وصف رهط عشيقته بالغنى والتمول .

١- الاستباء والسبي واحد . غرب كل شيء : حده ، والجمع غروب . الوضوح : البياض . المقبل : موضع التقبيل . المطعم : الطعم .

يقول : إنما كان فزعك من ارتحالها حين تستبيك بثغر ذي حدة واضح عذب موضع التقبيل منه ولذا مطعمه ؛ أراد بالغروب الأشر التي تكون في أسنان الشواب ؛ وتحرير المعنى : تستبيك بذي أشر يستعذب تقبيله ويستلذ طعم ريقه .

٢- أراد بالتاجر : العطار . سميت فارة المسك فارة لأن الروائح الطيبة تفور منها ، والأصل فائرة فخففت فقيل فارة ، كما يقال : رجل خائل مال وخال مال ، إذا كان حسن القيام عليه . القسامة : الحسن والصباحة ، والفعل قسم يقسم ، والنعت قسيم ، والتقسيم التحسين ، ومنه قول العجاج : ورب هذا الأثر المقسم ، أي المحسن ، يعني مقام إبراهيم ، عليه السلام . العوارض من الأسنان معروفة .

يقول : وكأن فارة مسك عطار بنكهة امرأة حسناء سبقت عوارضها إليك من فيها ، شبه طيب نكهتها بطيب ريح المسك ، أي تسبك نكهتها الطيبة عوارضها إذا رمت تقبيلها .

٣- روضة أنف : لم ترع بعد ، وكأس أنف استؤنف الشرب بها ، وأمر أنف

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كالدِّرْهَمِ [1]
سَحًّا وَتَسْكاباً فَكُلَّ عَشِيَّةٍ يَجْرِي عَلَيْهَا المَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ [2]

مستأنف ، وأصله كله من الاستئناف والائتناف وهما بمعنى . الدمن : جمع دمنة وهي السرجين .

يقول : وكأن فارة تاجر أو روضة لم ترع بعد وقد زكا نبتها وسقاه مطر لم يكن معه سرجين وليست الروضة بمعلم تطؤه الدواب والناس .

يقول: طيب نكهتها كطيب ريح فارة المسك أو كطيب ريح روضة ناضرة لم ترع ولم يصبها سرجين ينقص طيب ريحها ولا وطئتها الدواب فينقص نضرتها وطيب ريحها .

١– البكر من السحاب : السابق مطره ، والجمع الأبكار . الحرة : الخالصة من البرد والريح . والحر من كل شيء : خالصه وجيده ، ومنه طين حر لم يخالطه رمل ، ومنه أحرار البقول وهي التي تؤكل منها ، وحرر المملوك خلص من الرق ، وأرض حرة لا خراج عليها ، وثوب حر لا عيب فيه . ويروى : جادت عليه كل عين ثرة . العين : مطر أيام لا يقلع . والثرة والثرثار : الكثيرة الماء . القرارة : الحفرة .

يقول : مطرت على هذه الروضة كل سحابة سابقة المطر لا برد معها او كل مطر يدوم أياماً ويكثر ماؤه حتى تركت كل حفرة كالدرهم لاستدارتها بالماء وبياض مائها وصفائه .

٢– السح : الصب والانصباب جميعا ، والفعل سح يسح . التسكاب : السكب ، يقال : سكبت الماء أسكبه سكبا فسكب هو يسكب سكوبا . التصرم : الانقطاع .

وَخلا الذّبابُ بها فَلَيْسَ بِبارِحٍ غَرِداً كَفِعْلِ الشّارِبِ المُتَرَنِّمِ [1]

هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِهِ قَدْحَ المُكبِّ على الزِّنادِ الأَجذَمِ [2]

تُمسي وَتُصبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حشيَّةٍ وَأَبيتُ فَوْقَ سَراةِ أدهمَ مُلجَمِ [3]

وَحشيَّتي سَرْجٌ على عَبْلِ الشَّوى نَهْدٍ مَراكِلُهُ نَبيلِ المَحْزِمِ [4]

يقول : أصابها المطر الجود صبا وسكبا فكل عشية يجري عليها مـــاء السحاب ولم ينقطع عنها .

١– البراح : الزوال ، والفعل برح يبرح . التغريد : التصويت ، والفعل غرّد ، والنعت غرد . الترنم : ترديد الصوت بضرب من التلحين .

يقول : وخلت الذباب بهذه الروضة فلا يزايلنها ويصوتن تصويت شارب الخمر حين رجع صوته بالغناء ، شبه أصواتها بالغناء .

٢– هزجاً : مصوتاً . المكب : المقبل على الشيء . الأجذم : الناقص اليد .

يقول : يصوت الذباب حال حكه إحدى ذراعيه بالأخرى مثل قدح رجل ناقص اليد قد أقبل على قدح النار ، شبه حكه إحدى يديه بالأخرى بقدح رجل ناقص اليد النار من الزندين . لما شبه طيب نكهة هذه المرأة بطيب نسيم الروضة بالغ في وصف الروضة وأمعن في نعتها ليكون ريحها أطيب ثم عاد إلى النسيب فقال : تمسي ...

٣– السراة : أعلى الظهر .

يقول : تصبح وتمسي فوق فراش وطيء وأبيت أنا فوق ظهر فرس أدهم ملجم ، يقول : هي تتنعم وأنا أقاسي شدائد الأسفار والحروب .

٤– الحشية من الثياب : ما حشي بقطن أو صوف أو غيرهما ، والجمع الحشايا .

هَل تُبلِغَنِّي دَارَها شَدَنِيَّةٌ لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ[1]

خَطَّارَةٌ غِبَّ السُّرَى زَيَّافَةٌ تَطِسُ الإكامَ بوَخذِ خُفٍّ مِيثَمِ[2]

العبل : الغليظ ، والفعل عبل عبالة . الشوى : الأطراف والقوائم . النهد : الضخم المشرف . المراكل : جمع المركل وهو موضع الركل ، والركل : الضرب بالرجل ، والفعل ركل يركل . النبيل : السمين ، ويستعار للخير والشر لأنها يزيدان على غيرهما زيادة السمين على الأعجف . المحزم : موضع الحزام من جسم الدابة ..

يقول : وحشيتي سرج على فرس غليظ القوائم والأطراف ضخم الجنبين منتفخها سمين موضع الحزام ، يريد أنه يستوطىء سرج الفرس كما يستوطىء غيره الحشية ويلازم ركوب الخيل لزوم غيره الجلوس على الحشية والاضطجاع عليها ، ثم وصف الفرس بأوصاف يحمدونها وهي : غلظ القوائم وانتفاخ الجنبين وسمنها .

١– شدن : أرض أو قبيلة تنسب الإبل إليها . أراد بالشراب اللبن . التصريم : القطع .

يقول : هل تبلغني دار الحبيبة ناقة شدنية لعنت ودعي عليها بأن تحرم اللبن ويقطع لبنها ، أي لبعد عهدها باللقاح ، كأنها قد دعي عليها بأن تحرم اللبن فاستجيب ذلك الدعاء ، وإنما شرط هذا لتكون أقوى وأسمن وأصبر على معاناة شدائد الأسفار لأن كثرة الحمل والولادة تكسبها ضعفاً وهزالا .

١– خطر البعير بذنبه يخطر خطراً وخطراناً إذا شال به . الزيف : التبختر ، والفعل زاف يزيف . الوطس والوثم : الكسر .

يقول : هي رافعة ذنبها في سيرها مرحاً ونشاطاً بعدما سارت الليل كله

وَكَأَنَّمَا تَطِسُ ٱلإِكَامَ عَشِيَّةً   بِقَرِيبِ بَيْنَ ٱلْمَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ [1]
تَأْوِي لَهُ قُلُصُ ٱلنَّعَامِ كَمَا أَوَتْ   حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لِأَعْجَمَ طِمْطِمِ [2]

متبخترة تكسر الإكام بخفهـا الكثير الكسر للأشياء . ويروى : بذات خف ، أي برجل ذات خف ، ويروى : بوخد خف . الوخد والوخدان : السير السريـع . الميثم : للمبالغة كأنه آلة الوثم ، كما يقال : رجـل مسعر حرب وفرس مسح ، كأن الرجـل آلة لسعر الحروب والفرس آلة لسح الجري .

١– المصلم : من أوصاف الظليم لأنه لا أذن له ، والصلم الاستئصال ، كأن أذنه استؤصلت .
يقول : كأنما تكسر الإكام لشدة وطئها عشية بعد سرى الليل وسير النهار كظليم قرب ما بين منسميه ولا أذن له ، شبهها في سرعة سيرها بعد سرى ليلة ووصل سير يوم به بسرعة سير الظليم ، ولما شبهها في سرعة السير بالظليم أخذ في وصفه فقال : تأوي ...

٢– القلوص من الإبل والنعام : بمنزلة الجارية من الناس ، والجمع قلص وقلائص . يقال : أوى يأوي أوياً ، أي انضم ، ويوصـل بإلى يقال : أويت إليه ، وإنمـا وصلها باللام لأنه أراد تأوي إليه قلص له . الحزق : الجماعات ، والواحـدة حزقة وكذلك الحزيقة ، والجمع حزيق وحزائق . الطمطم : الذي لا يفصح ، أي العي الذي لا يفصح . وأراد بالأعجم الحبشي .
يقول : تأوي إلى هذا الظليم صغائر النعام كما تأوي الإبل اليمانية إلى راع أعجم عي لا يفصح ، شبه الظليم في سواده بهذا الراعي الحبشي ، وقلص النعام بابل يمانية لأن السواد في إبل اليمانيين أكثر ، وشبه أويها إليه بأوي الإبل إلى راعيها ، ووصفه بالعي والعجمة لأن الظليم لا نطق له .

يَتْبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وكأنَّهُ حِدْجٌ على نَعْشٍ لَهُنَّ مُخَيَّمِ [1]
صَعْلٍ يَعُودُ بذي ٱلْعُشَيْرَةِ بَيضَهُ كالعبدِ ذي ٱلْفَرْوِ الطَّويلِ الأَصْلَمِ [2]
شَرِبتْ بماءِالدُّحْرُضَينِ فأصبَحتْ زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِياضِ الدَّيلَمِ [3]

١- قلة الرأس : أعلاه . الحدج : مركب من مراكب النساء . النعش : الشيء المرفوع ، والنعش بمعنى المنعوش . المخيم : المجعول خيمة .
يقول : تتبع هؤلاء النعام أعلى رأس هذا الظليم ، أي جعلته نصب أعينها لا تنحرف عنه ، ثم شبه خلقه بمركب من مراكب النساء جعل كالخيمة فوق مكان مرتفع .

٢- الصعل والأصعل : الصغير الرأس . يعود : يتعهد . الأصلم : الذي لا أذن له ، شبه الظليم بعبد لبس فرواً طويلاً ولا أذن له لأنه لا أذن للنعام ، وشرط الفرو الطويل ليشبه جناحيه ، وشرط العبد لسواد الظليم ، وعبيد العرب السودان . ذو العشيرة : موضع ، ثم رجع إلى وصف ناقته فقال : شربت ..

٣- الزور : الميل ، والفعل زور يزور ، والنعت أزور ، والأنثى زوراء ، والجمع زور . مياه الديلم : مياه معروفة ، وقيل : العرب تسمي الأعداء ديلماً لأن الديلم صنف من أعدائها .
يقول : شربت هذه الناقة من مياه هذا الموضع فأصبحت مائلة نافرة عن مياه الأعداء . والباء في قوله بماء الدحرضين زائدة عند البصريين كزيادتها في قوله تعالى : « ألم يعلم بأن الله يرى » . وقول الشاعر :
هن الحرائر لا ربات أخمرة سود المحاجر لا يقرأن بالسور
أي لا يقرأن السور ، والكوفيون يجعلونها بمعنى من ، وكذلك الباء في قوله تعالى : (عيناً يشرب بها عباد الله) قد اختلف فيه على هذا الوجه .

وَكَأنَّما تَنْأى بجانِبِ دَفِّها الْ ... وَحْشِيِّ من هَزِجِ الْعشيِّ مُؤَوَّمِ [1]

هِرٍّ جَنيبٍ كُلَّما عطَفَتْ لَهُ ... غضْبَى اتَّقاها باليَدَيْنِ وَبالفَمِ [2]

بَرَكَتْ على جَنْبِ الرِّداعِ كأنّما ... بَرَكَتْ على قَصَبٍ أجشَّ مُهَضَّمِ [3]

١– الدف : الجنب . الجانب الوحشي : اليمين ، وسمي وحشياً لأنه لا يركب من ذلك الجانب ولا ينزل . الهزج : الصوت ، والفعل هزج يهزج ، والنعت هزج . المؤوم : القبيح الرأس العظيمه ، قوله : من هزج العشي ، أي من خوف هزج العشي ، فحذف المضاف ، والباء في قوله بجانب دفها للتعدية . يقول : كأن هذه الناقة تبعد وتنحي الجانب الأيمن منها من خوف هر عظيم الرأس قبيحه ، وجعله هزج العشي لأنهم إذا تعشوا فانه يصيح على هذا الطعام ليطعم ، يصف هذه الناقة بالنشاط في السير وأنها لا تستقيم في سيرها نشاطاً ومرحاً فكأنها تنحي جانبها الأيمن خوف خدش سنور إياه ، وقيل : بل أراد أنها تنحيه وتبعده مخافة الضرب بالسوط فكأنها تخاف خدش سنور جانبها الأيمن .

٢– هر : بدل من هزج العشي . جنيب أي مجنوب إليها أي مقود . اتقاها أي استقبلها .

يقول : تتنحى وتتباعد من خوف سنور كلما انصرفت الناقة غضبى لتعقره استقبلها الهر بالخدش بيده والعض بفمه ، يقول : كلما أمالت رأسها إليه زادها خدشاً وعضاً .

٣– رداع : موضع . أجش : له صوت . مهضم أي مكسر .
يقول : كأنما بركت هذه الناقة وقت بروكها على جنب الرداع على قصب

وَكَأَنَّ رُبًّا أَوْ كُحَيْلاً مُعْقَداً   حَشَّ الوَقُودُ بِهِ جَوانِبَ قُمْقُمِ [1]
يَنْباعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ   زَيَّافَةٍ مِثْلَ الفَنِيقِ المُكْدَمِ [2]

مكسر له صوت ، شبه أنينها من كلالها بصوت القصب المكسر عند بروكها عليه ، وقيل : بل شبه صوت تكسر الطين اليابس الذي نضب عنه المـــاء بصوت تكسر القصب .

١- الرب : الطلا . الكحل : القطران . عقدت الدواء : أغليته حتى خثر . حش النار يحشها حشاً : أوقدها . الوقود: الحطب ، والوقود ، بضم الواو ، الإيقاد ، شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل في قمقم أوقدت عليه النار فهو يترشح به عند الغليان ، وعرق الإبل اسود لذلك شبهه بهما وشبه رأسها بالقمقم في الصلابة ؛ وتقدير البيت : وكأن رباً أو كحيلاً حش الوقود باغلائه في جوانب قمقم عرقها الذي يترشح منها .

٢- أراد ينبع فأشبع الفتحة لإقامة الوزن فتولدت إشباعها ألف ، ومثله قول إبراهيم بن هرمة بن حرث : (مـــا سلكوا أدنو فانظرو) أراد فانظر فأشبعت الضمة فتولدت من إشباعها واو ، ومثله قولنا آمين والأصل أمين ، فأشبعت الفتحة فتولدت من إشباعهـا ألف ، يدلك عليه أنه ليس في كلام العرب اسم جاء على فاعيل ، وهذه اللفظة عربية بالإجماع ، ومنهم من جعله ينفعل من البوع وهو طي المسافة . الذفرى : ما خلف الأذن . الجسرة : الناقة الموثقة الخلق . الزيف : التبختر ، والفعـــل زاف يزيف . الفنيق : الفحل من الإبل .
يقول : ينبع هـذا العرق من خلف أذن ناقة غضوب موثقة الخلق شديدة التبختر في سيرهـا مثل فحل من الإبل قد كدمته الفحول ، شبهها بالفحل في تبخترها ووثاقة خلقها وضخمها .

إنْ تُغْدِفي دُوني ٱلقِناعَ فإنّني … طَبٌّ بأخْذِ ٱلفارِسِ ٱلمُسْتَلْئِمِ [1]

أَثْني عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فإنَّني … سَمْحٌ مُخالَقَتي إذا لَمْ أُظْلَمِ [2]

وإذا ظُلِمْتُ فإنَّ ظُلْمي باسِلٌ … مُرٌّ مَذاقَتُهُ كَطَعْمِ ٱلعَلْقَمِ [3]

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ ٱلمُدامَةِ بعدما … رَكَدَ ٱلهَواجِرُ بالمَشُوفِ المُعْلَمِ [4]

١– الإغداف : الإرخاء . طب : حاذق عالم . استلأم : لبس اللأمة .
يقول مخاطبا عشيقته : إن ترخي وترسلي دوني القناع ، أي تستتري عني ، فإني حاذق بأخذ الفرسان الدارعين ، أي لا ينبغي لك أن تزهدي فيّ مع نجدتي وبأسي وشدة مراسي ، وقيل : بل معناه إذا لم أعجز عن صيد الفرسان الدارعين فكيف أعجز عن صيد أمثالك .

٢– المخالقة : مفاعلة من الخلق .
يقول : أثني علي أيتها الحبيبة بما علمت من محامدي ومناقبي فاني سهل المخالطة والمخالقة اذا لم يهضم حقي ولم يبخس حظي .

٣– باسل : كريه ، ورجل باسل شجاع ، والبسالة الشجاعة .
يقول : وإذا ظلمت وجدت ظلمي كريهاً مراً كطعم العلقم ، أي من ظلمني عاقبته عقاباً بالغاً يكرهه كما يكره طعم العلقم من ذاقه .

٤– ركد : سكن. الهواجر : جمع الهاجرة وهي أشد الأوقات حراً . المشوف : المجلو . المدام والمدامة : الخمر ، سميت بها لأنها أديمت في دنها .
يقول : ولقد شربت من الخمر بعد اشتداد حر الهواجر وسكونه بالدينار المجلو المنقوش ، يريد أنه اشترى الخمر فشربها ، والعرب تفتخر بشرب الخمر والقمار ، لأنها من دلائل الجود عندها . قوله : بالمشوف ، أي بالدينار

بِزُجاجَةٍ صَفْرَاءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ   قُرِنَتْ بأزْهَرَ في الشّمالِ مُقَدَّمِ [1]
فإذا شَرِبْتُ فإنَّني مُسْتَهْلِكٌ   مَالي وَعِرْضي وَافِرٌ لَمْ يُكْلَمِ [2]
وَإذا صَحَوْتُ فَما أُقَصِّرُ عن نَدًى   وكما عَلِمْتِ شَمائِلي و تَكَرُّمي [3]
وَحَليلِ غانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً   تَمْكُو فَريصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلَمِ [4]

المشوف ، فحذف الموصوف ، ومنهم من جعله من صفة القدح وقال : أراد بالقدح المشوف .

١ – الأسرة : جمع السر والسرر ، وهما الخط من خطوط اليد والجبهة وغيرهما ، وتجمع أيضاً على الأسر ثم تجمع الأسرار على أسارير . بأزهر أي بإبريق أزهر . مفدم : مسدود الرأس بالفدام .
يقول : شربتها بزجاجة صفراء عليها خطوط قرنتها بإبريق أبيض مسدود الرأس بالفدام لأصب الخمر من الإبريق في الزجاجة .

٢ – يقول : فإذا شربت الخمر فإنني أهلك مالي بجودي ولا أشين عرضي فأكون تام العرض مهلك المال لا يكلم عرضي عيب عائب ، يفتخر بأن سكره يحمله على محامد الأخلاق ويكفه عن المثالب .

٣ – يقول : وإذا صحوت من سكري لم أقصر عن جودي ، أي يفارقني السكر ولا يفارقني الجود ، ثم قال : وأخلاقي وتكرمي كما علمت أيتها الحبيبة ، افتخر بالجود ووفور العقل إذ لم ينقص السكر عقله . وهذان البيتان قد حكم الرواة بتقدمهما في بابها .

٤ – الحليل ، بالمهملة : الزوج ، والحليلة الزوجة ، وقيل في اشتقاقها إنهما من

سَبَقَتْ يَدَايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ   وَرَشَاشِ نَافِذَةٍ كَلَوْنِ ٱلْعَنْدَمِ [1]
هَلَّا سَأَلْتِ ٱلْخَيْلَ يَا ٱبْنَةَ مَالِكٍ   إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي [2]

الحلول فسميا بها لأنهما يحلان منزلا واحداً وفراشاً واحداً ، فهو على هذا القول فعيل بمعنى مفاعل ، مثل شريب وأكيل ونديم بمعنى مشارب ومؤاكل ومنادم ، وقيل : بل هما مشتقان من الحل لأن كلا منهما يحل لصاحبه ، فهو على هذا القول فعيل بمعنى مفعل مثل الحكيم بمعنى المحكم ، وقيل : بل هما مشتقان من الحل ، وهو على هذا القول فعيل بمعنى فاعل ، وسميا بها لأن كلا منهما يحل إزار صاحبه . الغانية : ذات الزوج من النساء لأنها غنيت بزوجها عن الرجال ؛ وقال الشاعر :

أحب الأيامى إذ بثينة أيم   وأحببت لما أن غنيت الغوانيا

وقيل : بل الغانية البارعة الجمال المستغنية بكمال جمالها عن التزين ، وقيل : الغانية المقيمة في بيت أبويها لم تزوج بعد ، من غني بالمكان إذا أقام به ، وقال عمارة بن عقيل : الغانية الشابة الحسناء التي تعجب الرجال ويعجبها الرجال ، والأحسن القول الثاني والرابع . جدلته : ألقيته على الجدالة ، وهي الأرض ، فتجدل أي سقط عليها . المكاء : الصفير . العلم : الشق في الشفة العليا .

يقول : ورب زوج امرأة بارعة الجمال مستغنية بجمالها عن التزين قتلته وألقيته على الأرض وكانت فريصته تمكو بانصباب الدم منها كشدق الأعلم ، قال أكثرهم : شبه سعة الطعن بسعة شدق الأعلم ، وقال بعضهم : بل شبه صوت انصباب الدم بصوت خروج النفس من شدق الأعلم .

١– العندم : دم الأخوين ، وقيل : بل هو البقم ، وقيل : شقائق النعمان .
يقول : طعنته طعنة في عجلة ترش دماً من طعنة نافذة تحكي لون العندم .

٢– يقول : هلا سألت الفرسان عن حالي في قتالي إن كنت جاهلة بها ؟

إذْ لا أزالُ على رِحالَةِ سابحٍ نَهْدٍ تَعاوَرَهُ ٱلكُماةُ مُكَلَّمِ [1]
طَوْراً يُجَرَّدُ للطِّعانِ وتارَةً يأوي إلى حصدِ ٱلقسيِّ عَرَمرَمِ [2]
يُخْبِركَ مَنْ شَهِدَ الْوَقيعَةَ أَنَّني أَغْشى الوَغى وأَعِفُّ عِندَ ٱلمَغْنَمِ [3]
ومُدَجَّجٍ كَرِهَ ٱلكُماةُ نِزالَهُ لا مُمْعِنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ [4]

١– التعاور : التداول ، يقـــال : تعاوروه ضرباً إذا جعلوا يضربونه على جهة التناوب ، وكذلك الاعتوار . الكلم : الجرح ، والتكليم : التجريح .
يقول : هلا سألت الفرسان عن حالي إذ لم أزل على سرج فرس سابح تناوب الأبطـــال في جرحه ، أي جرحه كل منهم ، ونهد من صفة السابح وهو الضخم .

٢– الطور : التارة والمرة ، والجمع الأطوار .
يقول : مرة أجرده من صف الأولياء لطعن الأعـداء وضربهم وانضم مرة إلى قوم محكمي القسي كثير ، يقول : مرة أحمل عليه على الأعداء فأحسن بلائي وأنكي فيهم أبلغ نكاية ، ومرة أنضم إلى قوم أحكمت قسيهم وكثر عددهم ، أراد أنهم رماة مـــع كثرة عددهم . العرمرم : الكثير . حصد الشيء حصداً إذا استحكم ، والإحصاد : الإحكام .

٣– يخبرك : مجزوم لأنه جواب هلا سألت . الوقعة والوقيعة : اسمان من أسماء الحروب ، والجمع الوقعات والوقائع . الوغى : أصوات أهـــل الحرب ثم استعير للحرب . المغنم والغنم والغنيمة واحد .
يقول : إن سألت الفرسان عن حالي في الحرب يخبرك من حضر الحرب بأني كريم عالي الهمة آتي الحروب وأعف عن اغتنام الأموال .

٤– المدجج : التام السلاح . الإمعـــان : الإسراع في الشيء والغلو فيه .

جَادَتْ لَهُ كَفِّي بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ   بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الْكُعُوبِ مُقَوَّمِ [1]
فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ   لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَا بِمُحَرَّمِ [2]
فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ يَنُشْنَهُ   يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنَانِهِ وَالمِعْصَمِ [3]

الاستسلام : الانقياد والاستكانة .
يقول : ورب رجل تام السلاح كانت الأبطال تكره نزاله وقتاله لفرط بأسه وصدق مراسه لا يسرع في الهرب إذا اشتد بأس عدوه ولا يستكين له إذا صدق مراسه .

١– يقول : جادت يدي له بطعنة عاجلة برمح مقوم صلب الكعوب ، والبيت جواب رب المضمر بعد الواو في ومدجج . قوله : بعاجل طعنة ، قدم الصفة على الموصوف ثم أضافها إليه ، تقدير : بطعنة عاجلة . الصدق : الصلب .

٢– الشك : الانتظام ، والفعل شك يشك . الأصم : الصلب .
يقول : فانتظمت برمحي الصلب ثيابه ، أي طعنته طعنة أنفذت الرمح في جسمه وثيابه كلها ، ثم قال : ليس الكريم محرماً على الرماح ، يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام ، وقيل : بل معناه أن كرمه لا يخلصه من القتل المقدر له .

٣– الجزر : جمع جزرة وهي الشاة التي أعدت للذبح. النوش : التناول، والفعل ناش ينوش نوشاً . القضم : الأكل بمقدم الأسنان ، والفعل قضم يقضم .
يقول : فصيرته طعمة للسباع كما يكون الجزر طعمة للناس ، ثم قال : تتناوله السباع وتأكل بمقدم أسنانها بنانه الحسن ومعصمه الحسن ، يريد أنه قتله فجعله عرضة للسباع حتى تناولته وأكلته .

وَمِشَكِّ سابِغَةٍ هَتَكْتُ فُرُوجَها بالسَّيْفِ عن حامي الحَقِيقةِ مُعلِمِ[1]

رَبِذٍ يَداهُ بالقِداحِ إذا شَتَا هَتَّاكِ غاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ[2]

لَمَّا رَآني قَدْ نَزَلْتُ أُرِيدُهُ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيرِ تَبَسُّمِ[3]

١- المشك : الدرع التي قد شك بعضها إلى بعض ، وقيل مساميرها ، يشير الى أنه الزرد ، وقيل : الرجل التام السلاح . الحقيقة : ما يحق عليك حفظه أي يجب . المعلم ، بكسر اللام : الذي أعلم نفسه أي شهرها بعلامة يعرف بها في الحرب حتى ينتدب الأبطال لبرازه ، والمعلم ، بفتح اللام : الذي يشار إليه ويدل عليه بأنه فارس الكتيبة وواحد السرية .

يقول : ورب مشك درع ، أي رب موضع انتظام درع واسعة ، شققت أوساطها بالسيف عن رجل حام لما يجب عليه حفظه شاهر نفسه في حومة الحرب أو مشار إليه فيها ، يريد أنه هتك مثل هذه الدرع عن مثل هذا الشجاع فكيف الظن بغيره .

٢- الربذ : السريع . شتا : دخل في الشتاء ، يشتو شتواً . الغاية : راية ينصبها الخمار ليعرف مكانه بها . أراد بالتجار الخمارين . الملوم : الذي ليم مرة بعد اخرى . والبيت كله من صفة حامي الحقيقة .

يقول : هتكت الدرع عن رجل سريع اليد خفيفها في إجالة القداح في الميسر في برد الشتاء ، وخص الشتاء لأنهم يكثرون الميسر فيه لتفرغهم له ، عن رجل يهتك رايات الخمارين ، أي كان يشتري جميع ما عندهم من الخمر حتى يقلعوا راياتهم لنفاد خمرهم ، ملوم على إمعانه في الجود وإسرافه في البذل ، وهذا كله من صفة حامي الحقيقة .

٣- يقول : لما رآني هذا الرجل نزلت عن فرسي أريد قتله كشر عن أنيابه

عَهْدي به مَدَّ النَّهارِ كَأَنَّما   خُضِبَ ٱلْبَنانُ وَرَأْسُهُ بالعِظْلِمِ [١]

فَطَعَنْتُهُ بالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ   بِمُهَنَّدٍ صافي ٱلْحَدِيدَةِ مِخْذَمِ [٢]

بَطَل كَأَنَّ ثِيابَهُ في سَرْحَةٍ   يُحْذَى نِعالَ السِّبْتِ ليسَ بتَوْأَمِ [٣]

ياشاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ   حَرُمَتْ عَليَّ وَلَيْتَها لم تَحْرُمِ [٤]

غير متبسم ، أي لفرط كلوحه من كراهية الموت قلصت شفتاه عن اسنانه ، وليس ذاك لتكلم ولا لتبسم ولكن من الخوف ، ويروى لغير تكلم .

١– مد النهار : طوله ، العظلم : نبت يختضب به ، العهد : اللقاء ، يقال : عهدته أعهده عهداً إذا لقيته ، يقول : رأيته طول النهار وامتداده بعد قتلي إياه وجفاف الدم علته كأن بنانه ورأسه مخضوبان بهذا النبت .

٢– المخذم : السريع القطع .
يقول : طعنته برمحي حين ألقيته من ظهر فرسه ثم علوته مع سيف مهند صافي الحديد سريع القطع .

٣– السرحة : الشجرة العظيمة ، يحذى : أي تجعل حذاء له ، والحذاء : النعل ، والجمع الأحذية .
يقول : وهو بطل مديد القد كأن ثيابه ألبست شجرة عظيمة من طول قامته واستواء خلقة تجعل جلود البقر المدبوغة بالقرظ نعالاً له ، أي تستوعب رجلاه السبت ، ولم تحمل أمه معه غيره ، بالغ في وصفه بالشدة والقوة بامتداد قامته وعظم أعضائه وتمام غذائه عند إرضاعه إذ كان فذاً غير توأم .

٤– ما : صلة زائدة ، الشاة : كناية عن المرأة .
يقول : يا هؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلت له فتعجبوا من حسنها وجمالها

فَبَعَثْتُ جارِيَتي فقُلتُ لها اذْهَبي	فتَجَسَّسي أخبارَها ليَ واعْلَمي [1]
قالَتْ رَأيتُ مِنَ الأعادي غِرَّةً	والشَّاةُ مُمْكِنَةٌ لِمَنْ هُوَ مُرتَمِ [2]
وكأنَّما التَفَتَتْ بجيدِ جَدايَةٍ	رَشَإٍ مِنَ الغِزْلانِ حُرٍّ أرْثَمِ [3]
نُبِّئْتُ عَمْراً غيرَ شاكِرِ نِعْمَتي	والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لنفسِ المُنعِمِ [4]

فإنها قد حازت أتم الجمال ، والمعنى : هي حسناء جميلة مقنع لمن كلف بها وشغف بحبها ولكنها حرمت عليّ وليتها لم تحرم عليّ ، أي ليت أبي لم يتزوجها حتى كان يحل لي تزوجها ، وقيل : أراد بذلك أنها حرمت عليه باشتباك الحرب بين قبيلتيهما ثم تمنى بقاء الصلح .

١– يقول : فبعثت جاريتي لتتعرف أحوالها لي .

٢– الغرة : الغفلة ، رجل غر غافل لم يجرب الأمور .
يقول : فقالت جاريتي ، لما انصرفت لي : صادفت الأعادي غافلين عنها ورمي الشاة ممكن لمن أراد أن يرتميها ، يريد أن زيارتها ممكنة لطالبها لغفلة الرقباء والقرناء عنها .

٣– الجداية : ولد الظبية ، والجمع الجدايا ، الرشأ : الذي قوي من أولاد الظباء ، والغزلان جمع الغزال ، الحر من كل شيء : خالصه وجيده ، الأرثم : الذي في شفته العليا وأنفه بياض .
يقول : كأن التفاتها إلينا في نظرها التفات ولد ظبية هذه صفته في نظره .

٤– التنبئة والتنبيء : مثل الإنباء ، وهذه من سبعة أفعال تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، وهي : أعلمت وأريت وأنبأت ونبأت وأخبرت وخبرت

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى   إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْفَمِ [1]

فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ الَّتِي لا تَشْتَكِي   غَمَرَاتِهَا الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ [2]

إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ لَمْ أَخِمْ   عَنْهَا وَلَكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمِي [3]

وحدثت ، وإنما تعدت الخمسة التي هي غير أعلمت وأرأيت إلى ثلاثة مفاعيل لتضمنها معنى أعلمت .

يقول : أعلمت أن عمراً لا يشكر نعمتي و كفران النعمة ينفر نفس المنعم عن الإنعام ، فالتاء في نبئت هو المفعول الأول قد أقيم مقام الفاعل وأسند الفعل إليه ، وعمراً هو المفعول الثاني ، وغير هو المفعول الثالث .

١- الوصاة والوصية شيء واحد . وضح الفم : الأسنان . القلوص : التشنج والقصر .

يقول : ولقد حفظت وصية عمي إياي باقتحامي القتال ومناجزتي الأبطال في أشد أحوال الحرب وهي حال تقلص الشفاه عن الأسنان من شدة كلوح الأبطال والكماة فرقاً من القتل .

٢- حومة الحرب : معظمها وهي حيث تحوم الحرب أي تدور ، وغمرات الحرب : شدائدها التي تغمر أصحابها ، أي تغلب قلوبهم وعقولهم . التغمغم : صياح ولجب لا يفهم منه شيء .
يقول : ولقد حفظت وصية عمي في حومة الحرب التي لا تشكوها الأبطال إلا بجلبة وصياح .

٣- الاتقاء : الحجز بين الشيئين ، تقول : اتقيت العدو بترسي ، أي جعلت

لمَّا رَأَيْتُ ٱلْقَومَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ   يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غيرَ مُذَمَّمِ [1]
يَدعُونَ عَنتَرَ والرِّماحُ كأنَّها   أَشْطانُ بِئْرٍ في لَبَانِ ٱلأَدْهَمِ [2]
ما زِلْتُ أَرْمِيهِمْ بثُغْرَةِ نَحْرِهِ   وَلَبَانِهِ حتى تَسَرْبَلَ بالدَّمِ [3]
فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ ٱلقَنا بِلَبَانِهِ   وَشَكا إليَّ بِعَبْرَةٍ . وَتَحَمْحُمِ [4]

الترس حاجزاً بيني وبين العدو . الخيم : الجبن . المقدم : موضع الإقدام ، وقد يكون الإقدام في غير هذا الموضع .
يقول : حين جعلني أصحابي حاجزاً بينهم وبين أسنة أعدائهم ، أي قدموني وجعلوني في نحور أعدائهم ، لم أجبن عن أسنتهم ولم أتأخر ولكن قد تضايق موضع إقدامي فتعذر التقدم فتأخرت لذلك .

١ – التذامر : تفاعل من الذمر وهو الحض على القتال .
يقول : لما رأيت جمع الأعداء قد أقبلوا نحونا نحض بعضهم بعضاً على قتالنا عطفت عليهم لقتالهم غير مذمم ، أي محمود القتال غير مذمومه .

٢ – الشطن : الحبل الذي يستقى به ، والجمع الأشطان . اللبان : الصدر .
يقول : كانوا يدعونني في حال إصابة رماح الأعداء صدر فرسي ودخولها فيه ، ثم شبهها في طولها بالجبال التي يستقى بها من الآبار .

٣ – الثغرة : الوقبة في أعلى النحر ، والجمع الثغر .
يقول : لم أزل أرمي الأعداء بنحر فرسي حتى جرح وتلطخ بالدم وصار الدم له بمنزلة السربال ، أي عم جسده عموم السربال جسد لابسه .

٤ – الازورار : الميل . التحمحم : من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له

لَوْ كانَ يَدري ما المحاوَرَةُ اشتكى　وَلكانَ لَوْ علِمَ الكلامَ مُكَلِّمي [1]

ولقد شَفَى نفسي وَأَذْهَبَ سُقْمَها　قِيلُ الفوارِسِ وَيكَ عَنترَ أَقدِمِ [2]

وَالخَيْلُ تَقْتَحِمُ الخَبارَ عَوَابِسا　من بينِ شَيظَمَةٍ وَآخَرَ شَيْظَمِ [3]

ذُلُلٌ رِكابي حيثُ شِئْتُ مُشايعي　لُبِّي وَأَحْفِزُهُ بأمرٍ مُبْرَمِ [4]

يقول : فمال فرسي مما أصابت رماح الأعداء صدره ووقوعها به وشكا إلي بعبرته وحمحمته ، أي نظر إلي وحمحم لأرق له .

١– يقول : لو كان يعلم الخطاب لاشتكى إلي مما يقاسيه ويعانيه ولكلمني لو كان يعلم الكلام ، يريد أنه لو قدر على الكلام لشكا إلي مما أصابه من الجراح .

٢– يقول : ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها قول الفوارس لي : ويلك يا عنترة أقدم نحو العدو واحمل عليه ، يريد أن تعويل أصحابه عليه والتجاءهم إليه شفى نفسه ونفى غمه .

٣– الخبار : الأرض اللينة . الشيظم : الطويل من الخيل .
يقول : والخيل تسير وتجري في الأرض اللينة التي تسوخ فيها قوائمها بشدة وصعوبة وقد عبست وجوهها لما نالها من الإعياء وهي لا تخلو من فرس طويل أو طويلة ، أي كلها طويلة .

٤– ذلل : جمع ذلول من الذل وهو ضد الصعوبة . الركاب ، الإبل ، لا واحد لها من لفظها عند جمهور الأئمة ، وقال الفراء : إنها جمع ركوب مثل قلوص وقلاص ولقوح ولقاح . المشايعة : المعاونة ، أخذت من الشياع وهو دقاق الحطب لمعاونته النار على الإيقاد في الحب الجزل . الحفز : الدفع . الإبرام : الإحكام .

وَلقدْ خشيتُ بأنْ أموتَ ولَمْ تدُرْ   للحرْبِ دائِرَةٌ على ابْنَي ضَمْضَمِ [1]

الشَّاتِمَيْ عِرْضِي ولَمْ أشْتِمْهُما   والنَّاذِرَيْنِ إذا لم ألْقَهُما دَمِي [2]

إنْ يَفْعَلا فلَقَدْ تَرَكْتُ أباهُما   جَزَرَ السِّباعِ وكُلِّ نَسْرٍ قَشْعَمِ [3]

يقول : تذل إبلي لي حيث وجهتها من البلاد ويعاونني على أفعالي عقلي وأمضي ما يقتضيه عقلي بأمر محكم .

١– الدائرة : اسم للحادثة ، سميت بها لأنها تدور من خير إلى شر ومن شر إلى خير ، ثم استعملت في المكروهة دون المحبوبة .

يقول : ولقد أخاف أن أموت ولم تدر الحرب على ابني ضمضم بما يكرهانه ، وهما حصين وهرم ابنا ضمضم .

٢– يقول : اللذان يشتمان عرضي ولم أشتمها أنا والموجبان على أنفسهما سفك دمي إذا لم أرهما ، يريد أنهما يتوعدانه حال غيبته فأما في حال الحضور فلا يتجاسران عليه .

٣– يقول : إن يشتماني لم أستغرب منهما ذلك فإني قتلت أباهما وصيرته جزر السباع وكل نسر مسن .

الحارث بن حلّزة (*)

وقصة الاحتكام بين بكر وتغلب

وكيف نظمت المعلقتان ، معلقة عمرو ابن كلثوم ، ومعلقة الحرث بن حلزة

كان (الحرث بن حلزة)[1] من كبار قبيلة بكر بن وائل ، شريفاً في قومه ، حكيماً في اقواله ، تفزع اليه قبيلته لتأخذ رأيه في الملمات والمشاكل ..

ولسنا نملك من اخباره ونشأته إلا انه عاش في القرن السادس الميلادي ، وانه كان معاصراً لعمرو بن كلثوم ، وقد اختاره قبيله ليدافع عنهم في مجلس عمرو بن هند ، حين اختلفوا مع بني تغلب ..

وكان الذي اصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس ، المنذر الثالث بن ماء السماء ، وفي هذا يقول ابن الكلبي عن ابيه :

« ان الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء .. وكان قد شرط... ايّ رجل وجد قتيلاً في دار قوم ، فهم ضامنون لدمه . وان وجد بين محلّتين ، قيس ما بينهما ، فينظر اقربهما اليه فتضمن ذلك القتيل .. وكان الذي ولي ذلك ، واحتمى لبني تغلب ، قيس بن شراحيل بن مرة بن همام . ثم ان المنذر اخذ من الحيّين اشرافهم واعلامهم ، فبعث بهم الى مكة ، فشرط بعضهم

---

١ ـ الحلزة في اللغة المرأة القصيرة او البخيلة او السيئة الخلق ..

على بعض ، وتوافقوا على ان لا يبقي واحد منهم لصاحبه غائلة ، ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء . وبعث المنذر معهم رجلاً من بني تميم ، يقال له العلاّق . وفي ذلك يقول الحرث مخاطباً عمرو بن قيس بن شراحيل :

فهلاّ سعيت لصلح الصديق كسعي بن مارية الاقسم
وقيس تدارك بكر العراق وتغلب من شرّها الاعظم
واصلح ما افسدوا بينهم وذلك فعل الفتى الاكرم
وبيت شراحيل من وائل مكان الثريّا من الانجم

وقيل : ان ذاك الصلح كان في ذي المجاز ، استناداً الى البيت ٤١ من معلّقة الحرث . وكان المنذر ، ومن بعده ابنه وخليفته عمرو ، يحتفظ بعدد من شبّان الفريقين ، يبلغ من كل قبيلة سبعين ، او ثمانين ، او مائة على اختلاف الروايات .

الاستعداد للجلسة

فلما هلك التغلبيون من ريح سموم هبت عليهم .. وسلم البكريون ، طالبت تغلب بدية ابنائها ، فابت بكر وتحاكم الفريقان الى عمرو بن هند ، وقال عمرو بن كلثوم ، بعد ان اختاروه محامياً عنهم : بمن ترون بكراً تعصب امرها اليوم ؟

قالوا : « بمن عسى الا برجل من ابناء ثعلبة » .

قال عمرو : « ارى الامر ، والله ، سينجلي عن احمر اصلع اصم من بني بكر » .

وقد توقع عمرو بن هند مثل ذلك . واراد كلاهما النعمان بن هرم ، وكان من شيوخ بكر ، من ثعلبة بن غنم بن يشكر .

فلما اصبحوا ، كان ما توّقع العمران من اختيار بكر للنعمان بن هرم . فاقبل في قومه متشامخاً ، فتحرّش به عمرو بن كلثوم قائلاً :

– يا اصم .. جاءت بك اولاد ثعلبة تناضل عنهم ، وهم يفخرون عليك ؟

قال : « وعلى من اظلّت السماء يفخرون .. ثم لا ينكر ذلك » .

فقال عمرو : « والله لو لطمتك لطمة ما اخذوا لك بها » .

فأجابه : والله لو فعلت ما افلـّت بها ، انت ومن فضّلك » .

فغضب عمرو بن هند لهذا التعريض ، وكان يؤثر بني تغلب على بني بكر ، فاراد اسكاته . فاغلظ له هذا في الكلام ، فازداد غضبه ، وطرد النعمان .

وعنـــد ذاك وقف عمرو بن كلثوم فارتجل قسماً من معلـّقته ، وتهوّر في المبالغة بالفخر حتى عرّض بالملك ، ظاناً انه يفوز بالظفر على البكريين بعد ما شاهد من طرد خطيبهم . ولكنه ما كاد ينتهي من قصيده ، حتى وقف الحرث والقى معلـّقته ، وفيها احتال برزانة ودهاء ، فسدّ تلك الثلمة التي احدثهـــا سلوك النعمان ، واستمال الملك الى قومه ففاز بالغلبة .

ويقال ان الحرث كان مصاباً بالبرص ولهذا لم يتقدم لالقاء معلقته او دفاعه في اول الامر ، لانه كان يخشى ان يعامله الملك معاملته للبرص من امثاله ، فلمـــا طرد الملك (النعمان) حلّ الحرث محله ، فقال احد خصومه :

— ان به وضحاً ..

فامر الملك عندئذ ان تمدّ بينه وبين الحرث سبعة ستور ، فمدت .. وبدأ الحرث يلقي معلقته وهو غاضب ناقم لما نزل به ، فاعجب الملك بانشاد (الحرث) وكانت امه هند تسمع فقالت لابنها :

— تالله ما رأيت كاليوم قط .. رجلاً يقول مثل هذا القول .. ويتكلم من وراء سبعة ستور ..

فقال الملك : ارفعوا ستراً وادنوا الحرث ..

ولم تزل هنـــد تقول ذلك ، والملك يأمر بازالة ستر بعد ستر حتى رفعوا الستور كلهـــا .. فادنى الحرث منه ، واطعمه من جفنته .. ثم جزّ نواصي ا السبعين بكريا ، الذين كانوا رهنا عنده ، ودفعها اليه ، فلم تزل تلك النواصي في بني يشكر بعد الحرث يفتخرون بها وبشاعرهم ..

وكان الحرث رجلاً فخوراً حتى ضرب المثل به فقيل : افخر من الحرث بن

حلزة ، وكان عاقلاً رزيناً محنكاً ذكياً يحسن استمالة الناس وكسبهم ، واذا نزل به خطر تمالك اعصابه وعمل على رفعه ..

واهم ما يحفظ لنا التاريخ معلقته وفيها معلومات تاريخية هامة لأيام العرب ، مما وقع بين الفرس والعرب ، او بين قبائل العرب انفسهم ، فيذكر المعارك التي دارت بين مختلف القبائل خصوصاً التغلبيين وكيف تغلب التغلبيون فيها على عدوهم ، وكيف انتصر البكريون عليهم في (ملحة) و (الصاقب) ..

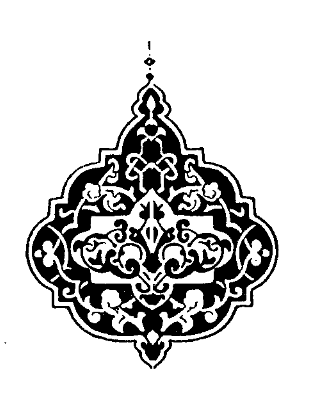
ثم يمضي الشاعر جاهداً في استمالة الملك لقومه فيذكر فتكه ببني تغلب لما قتل المنذر .. ودعاهم عمرو بن هند الى طاعته فابوا ، ويذكر الصلح في ذي المجاز وكيف حاول التغلبيون نقضه ..

كما ان المعلقة تعتبر قطعة ادبية رائعة في الفن الخطابي ، ومحامي الدفاع ، من حيث براعته في تعيير التغلبيين في اكثر من مكان وموطن ويوم من ايامهم .. ثم يذكر اندفاع عمرو بن كلثوم كبيرهم ومبالغاته في ذكر مفاخر قومه حتى يتعرض للملك نفسه ، بحيث فضل الملك قصيدة (الحرث) ودفاعه على عمرو بن كلثوم ، فقد كان الحرث معتدلاً ، متواضعاً ليناً ، عرض قضية قومه في لطف ولباقة فكسب عطف الملك ورضاه ..

والمعلقة بالتأكيد دقيقة الوصف فيها التنسيق والمنطق والايجاز البليغ وحسن السبك ، ومختلف الحكم حتى قدّرها وامتدحها كثير من كبار الادباء القدامى واثنوا عليها ... .

(*) الحرث بن ظليم بن حلـّزة من بني بكر ، كان شديد الفخر بقومه حتى ضرب به المثل فقيل : أفخر من الحرث بن حلـّزة ، ومعلقته هي السابعة في المعلقات أنشدها في حضرة الملك عمرو بن هند ، ردّاً على عمرو بن كلثوم وغضباً لقومه ؛ وكان عمرو بن كلثوم قد تجاوز الحدّ في فخره ولم يرع حرمة الملك فتصدى له الحرث بمعلقته ، وكان قد أعدّها وروّاها جماعة من قومه ،

لينشدوها عنه ، لأنه كان به برص وكره أن ينشدها الملك من وراء سبعة ستور ثم يغسل أثره بالماء ، كما يُفعل بسائر البرص . ولمـــا طرد الملك النعمانَ بن هرم شاعر البكريين لإساءته إليه ، خاف الحرث على قومه ، وقـام ينشد بين يدي الملك من وراء الستور ، فأصلح ما أفسده النعمان ، وكان لقصيدته وقع حسن في نفس الملك ، حتى رفـــع الستور التي كانت بينهما وأدناه منه وأطعمه في جفنته ، وأمر أن لا ينضح أثره بالماء ، ثم جزّ نواصي السبعين الذين كانوا رهناً عنده من بني بكر وسلّمها إليه . وفي معلقة الحرث من الدهاء في التعريض بالتغلبيين وسرد الحوادث التاريخيّة ومن الحكمة والرزانة ما يجعلها في مصافّ الشعر الخطابي ، وأفضل مثالٍ للشعر السياسي في العصر الجاهلي .



المعلقة

آذَنَتْنَا بِبَيْنِها أَسْمَاءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ [1]

بَعْدَ عَهْدٍ لَنا بِبُرْقَةِ شَمَّا ... ءَ فَأَدْنَى دِيَارِهَا الخَلْصاءُ [2]

فَالمُحَيَّاةُ فالصِّفاحُ فَأَعْنَا ... قُ فِتَاقٍ فَعَاذِبٌ فَالوَفَاءُ [3]

فَرِياضُ القَطَا فَأَوْدِيَةُ الشُّرْ ... بُبِ فالشُّعْبَتانِ فالأَبْلاءُ [4]

١– الإيذان : الإعلام . البين : الفراق . الثواء والثوي : الإقامة ، والفعل ثوى يثوي .
يقول : أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا ، أي بعزمها على فراقنا ، ثم قال : رب مقيم تمل إقامته ولم تكن أسماء منهم ، يريد أنها وإن طالت إقامتها لم أملها ، والتقدير : رب ثاو يمل من ثوائه .

٢– العهد : اللقاء ، والفعل عهد يعهد .
يقول : عزمت على فراقنا بعد أن لقيتها ببرقة شماء وخلصاء التي هي أقرب ديارها إلينا .

٣و٤ – هذه كلها مواضع عهدها بها .
يقول : وقد عزمت على مفارقتنا بعد طول العهد .

لا أَرَى مَنْ عَهِدْتُ فيها فأبكي آلْ ... يَوْمَ دَلْهاً وما يُحِيرُ آلْبُكَاءُ [1]

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدُ النَّا ... رَ أَخيراً تُلْوِي بِهَا آلْعَلْيَاءُ [2]

فَتَنَوَّرْتُ نَارَها مِن بَعِيدٍ ... بِخَزَازَى هَيْهاتَ مِنْكَ الصِّلاءُ [3]

١– الإحارة : الرد ، من قولهم : حار الشيء يحور حوراً ، أي رجع ، وأحرته أنا أي رجعته فرددته .

يقول : لا أرى في هذه المواضع من عهدت فيهـا ، يريد أسماء ، فأنا أبكي اليوم ذاهب العقل وأي شيء رد البكاء على صاحبه ؟ وهذا استفهام يتضمن الجحود ، أي لا يرد البكاء على صاحبه فائتاً ولا يجدي عليه شيئاً . تحرير المعنى : لما خلت هذه المواضع منها بكيت جزعاً لفراقها مع علمي بأنه لا طائل في البكاء . الدله : ذهاب العقل ، والتدليه إزالته .

٢– ألوى بالشيء : أشار به . العلياء : البقعة العالية .
يخاطب نفسه ويقول : وإنما أوقدت هند النار بمرآك ومنظر منك ، وكأن البقعة العالية التي أوقدتها عليها كانت تشير إليك بها يريد أنهـا ظهرت لك أتم ظهور فرأيتها أتم رؤية .

٣– التنور : النظر إلى النار . خزارى : بقعة بعينها . هيهات : بعـد الأمر جداً . الصلاء: مصدر صلى النار ، وصلي بالنار يصلى صلى ويصلا إذا احترق بها أو ناله حرها .

يقول : ولقد نظرت إلى نار هند بهذه البقعة على بعد بيني وبينها لأصلاها ، ثم قال : بعد منك الاصطلاء بها جداً ، أي أردت أن آتيها فعاقتني العوائق من الحروب وغيرها .

أَوْقَدَتْها بَيْنَ ٱلْعَقيقِ فَشَخْصَيْـ ... نِ بعُودٍ كما يَلُوحُ الضِّياءُ[1]

غيرَ أَنّي قَدْ أَسْتَعِينُ على الهَمِّ ... إذا خَفَّ بالثَّوِيِّ النَّجــاءُ[2]

بِزَفُوفٍ كَأَنَّهــا هِقْلَةٌ أُ ... مُّ رِئالٍ دَوِّيَّةٌ سَقْفــاءُ[3]

آنَسَتْ نَبْأَةً وَأَفْزَعَها ٱلْقُـ ... نَّاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنا الإِمْساءُ[4]

١- يقول : أوقدت هنـــد تلك النار بين هذين الموضعين بعود فلاحت كما يلوح الضياء .

٢- غير أني : يريد ولكني ، انتقل من التسيب إلى ذكر حاله في طلب المجد .
الثوي والثاوي : المقيم . النجاء : الإسراع في السير ، والباء للتعدية .
يقول : ولكني أستعين على إمضـاء همي وقضاء أمري إذا أسرع المقيم في السير لعظم الخطب وفظاعة الخوف .

٣- الزفيف : إسراع النعامة لسيرها ثم يستعار لسير غيرهــا ، والفعل زف يزف ، والنعت زاف ، والزفوف مبالغة . الهقلة : النعامة ، والظليم هقل .
الرأل : ولد النعامة ، والجمــع : رئال . الدوية : منسوبة إلى الدو وهي المفازة . سقف : طول مع انحناء ، والنعت أسقف .
يقول . أستعين على إمضاء همي وقضاء أمري عنـد صعوبة الخطب وشدته بناقة مسرعة في سيرها كأنهـا في إسراعها في السير نعامة لها أولاد طويلة منحنية لا تفارق المفاوز .

٤- النبأة : الصوت الخفي يسمعه الإنسان أو يتخيله . القنــاص : جمع قانص وهو الصائد . الإفزاع : الأخافة . العصر : العشي .

فَتَرَى خَلْفَها مِنَ الرَّجعِ والوَقْـ ـعِ مَنيناً كَأَنَّهُ إِهْبـــاءُ [1]

وَطِرَاقاً مِنْ خَلْفِهِنَّ طِراقٌ سَاقِطاتٌ أَلْوَتْ بها الصَّحْراءُ [2]

أَتَلَهَّى بها الْهَوَاجِرَ إِذْ كُلُّ ابْـ ـنِ هَمٍّ بَلِيَّةٌ عَمْيـــاءُ [3]

يقول : أحست هذه النعامة بصوت الصيادين فأخافها ذلك عشياً وقد دنا دخولها في المساء ، لما شبه ناقته بالنعامة وسيرهـــا بسيرها بالغ في وصف النعامة بالإسراع في السير بأنها تؤوب إلى أولادها مع إحساسها بالصيادين وقرب المساء ، فإن هذه الأسباب تزيدها إسراعاً في سيرها .

١– المنين : الغبار الرقيق . الأهباء : جمع هباء ، والأهباء إثارته .
يقول : فترى أنت أيها المخاطب خلف هذه الناقة من رجعها قوائمها وضربها الأرض بها غباراً رقيقاً كأنه هباء منبث ، وجعله رقيقاً إشارة إلى غـــاية إسراعها .

٢– الطراق : يريد بها أطباق نعلهـــا . ألوى بالشيء : أفناه وأبطله ، وألوى بالشيء أشار به .

يقول : وترى خلفها أطباق نعلها في أماكن مختلفة قد قطعها وأبطلها قطع الصحراء ووطؤها .

٣– يقول : أتلعب بها في أشد مـــا يكون من الحر إذا تحير صاحب كل هم تحير الناقة البلية العمياء .

يقول : أركبها وأقتحم بهـــا لفح الهواجر إذا تحير غيري في أمره ، يريد أنه لا يعوقه الحر عن مرامه .

وَأَتانا مِنَ الحوَادِثِ وَالأَنبا ... ءِ خَطْبٌ نُعْنى بهِ وَنُسَاءُ[1]
إنَّ إِخْوَانَنا الأَراقِمَ يَغْلُو ... نَ عَلَينـــا في قِيلِهِمْ إِخْفاءُ[2]
يَخْلِطُونَ البَرِيءَ مِنَّا بذي الذَّ ... نْبِ وَلا يَنْفَعُ الخَلِيَّ الخَلاءُ[3]
زَعَموا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْ ... رَ مُوَالٍ لَنـــا وَأَنَّا الولاءُ[4]

١– يقول . ولقد أتانا من الحوادث والأخبـــار أمر عظيم نحن معنيون محزونون لأجله . عني الرجل بالشيء يعنى به فهو معني به ، وعني يعنى إذا كان ذا عناء به . وسؤت الرجل سوءاً ومساءة وسوائية أحزنته .

٢– الأراقم : بطون من تغلب ، سموا بها لأن امرأة شبهت عيون آبائهم بعيون الأراقم . الغلو : مجاوزة الحد . الأحفاء : الألحاح . ثم فسر ذلك الخطب فقال : هو تعدي إخواننا من الأراقم علينا وغلوهم في عدوانهم علينـــا في مقالتهم .

٣– يريد بالخلي : البريء الخالي من الذنب .
يقول : هم يخلطون براءنا بمذنبينا فلا تنفع البريء براءة ساحته من الذنب .

٤– العير في هذا البيت يفسر : بالسيد ، والحمار ، والوتد ، والقذى ، وجبـــل بعينه . قوله : وأنا الولاء ، أي أصحاب ولائهم ، فحذف المضاف ، ثم إن فسر العير بالسيد كان تحرير المعنى : زعم الأراقم أن كل من يرضى بقتـــل كليب وائل بنو أعمامنـــا وأنا أصحاب ولائهم تلحقنا جرائرهم ، وإن فسر بالحمار كان المعنى : أنهم زعموا أن كل من صاد حمر الوحش موالينا ، أي الزموا العامة جناية الخاصة ، وإن فسر بالوتد كان المعنى ، زعموا أن كل من ضرب الخيام وطنبهـــا بأوتادها موالينا ، أي ألزموا العرب جناية

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشاءً فلمَّا ... أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضاءُ [1]

مِنْ مُنادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَصْـ ... ـهالِ خَيْلٍ خِلالَ ذاكَ رُغاءُ [2]

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرَقِّشُ عَنَّا ... عِندَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذاكَ بَقاءُ [3]

لا تَخَلْنا على غَراتِكَ إِنَّا ... قَبْلُ ما قَدْ وَشَى بِنا الأَعْداءُ [4]

بعضنا ، وإن فسر بالقذى كان المعنى : زعموا أن كل من صار إلى هذا الجبل موال لنا . وتفسير آخر البيت في جميع الأقوال على نمط واحد .

١– الضوضاء : الجلبة والصياح . إجماع الأمر : عقد القلب وتوطين النفس عليه. يقول : أطبقوا على أمرهم من قتالنا وجدالنا عشاء فلما أصبحوا جلبوا وصاحوا .

٢– التصهال كالصهيل ، وتفعال لا يكون إلا مصدراً ، وتفعال لا يكون إلا اسماً .
يقول : اختلطت أصوات الداعين والمجيبين والخيل والإبل ، يريد بذلك تجمعهم وتأهبهم .

٣– يقول : أيها الناطق عند الملك الذي يبلغ عنا الملك ما يريبه ويشككه في محبتنا إياه ودخولنا تحت طاعته وانقيادنا لحبل سياسته هل لذلك التبليغ بقاء ؟ وهذا استفهام معناه النفي ، أي لا بقاء لذلك لأن الملك يبحث عنه فيعلم أن ذلك من الأكاذيب المخترعة والأباطيل المبتدعة ؛ وتحرير المعنى : أنه يقول : ايها المضرب بيننا وبين الملك بتبليغك إياه عنا ما يكرهه لابقاء لما أنت عليه لأن بحث الملك عنه يعرفه أنه كذب بحت محض .

٤– الغراة : اسم بمعنى الإغراء . يخاطب من يسمى بهم من بني تغلب إلى عمرو ابن هند ملك العرب .

فبَقِينـــا على الشناءَة تَنميـ نـا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعْساءُ[1]
قَبْلَ ما ٱلْيَوْمِ بَيَّضَتْ بعُيُونِ النـ اسِ فيهـــا تَغَيُّظٌ وَإِبَاءُ[2]
وكأَنَّ ٱلْمَنُونَ تَرْدي بنـــا أَرْ عَنَ جَوْناً يَنجابُ عَنهُ ٱلْعَماءُ[3]

يقول : لا تظننا متذللين متخاشعين لإغرائك الملك بنا فقد وشى بنا أعداؤنا الى الملوك قبلك ؛ وتحرير المعنى : إن إغراءك الملك لا يقدح في أمرنا كما لم يقدح إغراء غيرك فيه ، قوله : على غراتك ، أي على امتـــداد غرأتك ، والمفعول الثاني لتخلنا محذوف تقديره : لا تخلنا متخاشعين ، ومـــا أشبه ذلك .

١– الشناءة : البغض . تنمينا : ترفعنا .
يقول : فبقينا على بغض الناس إيانا وإغرائهم الملوك بنا ترفع شأننـــا وتعلي حصون منيعة وعزة ثابته لا تزول .

٢– الباء في بعيون زائدة ، أي بيضت عيون الناس ، وتبييض العين : كناية عن الاعماء . وما في قوله : قبل ما ، صلة زائدة .
يقول : قد أعمت عزتنا قبل يومنا الذي نحن فيه عيون اعدائنا من الناس ، يريد ان الناس يحسدوننا على إباء عزتنا على من كادها وتغيظها على من أرادها بسوء حتى كأنهم عموا عند نظرهم إلينا لفرط كراهيتهم ذلك وشدة بغضهم إيانا ، وجعل التغيظ والإباء للعزة مجازاً وهما عند التحقيق لهم .

٣– الردي : الرمي ، والفعل منه ردي يردي . قوله بنـــا ، أي تردينا . الأرعن : الجبل الذي له رعن . الجون : الأسود والأبيض جميعـــاً ، والجمع الجُـون ، والمراد به الأسود في البيت . الانجياب : الانكشاف والانشقاق . العماء : السحاب .
يقول : وكأن الدهر برميه إيانا بمصائبه ونوائبه يرمي جبـــلاً أرعن أسود

مُكْفَهِرّاً على ٱلحوَادِثِ لا تَرْ ... تُوهُ للدَّهْرِ مُؤَيِّدٌ صمَّاءُ [1]

إرَميٌّ بِمِثْلِهِ جَالَتِ ٱلخَيْـ ... لُ وَتَأْبَى لِخَصْمِها الإجْلاءُ [2]

مَلِكٌ مُقْسِطٌ وَأَفْضَلُ مَنْ يَمْـ ... شي وَمنْ دُونِ ما لَدَيْهِ الثَّناءُ [3]

أيُّما خُطَّةٍ أرَدْتُمْ فأدُّوهـ ... ـا إلَيْنا تُشْفَى بِها الأَمْلاءُ [4]

ينشق عنه السحاب ، أي يحيط به ولا يبلغ أعلاه ، يريد أن نوائب الزمان وطوارق الحدثان لا تؤثر فيهم ولا تقدح في عزهم كما لا تؤثر في مثـــل هذا الجبل الذي لا يبلغ السحاب أعلاه لسموه وعلوه .

١– الاكفهرار : شدة العبوس والقطوب . الرتو : الشد والإرخاء جميعاً ، وهو من الأضداد ، ولكنه في البيت بمعنى الإرخاء . المؤيد : الداهية العظيمة ، مشتقة من الأيد والآد وهما القوة . الصماء : الشديدة ، من الصمم الذي هو الشدة والصلابة ، والبيت من صفة الأرعن .

يقول : يشتد ثباته على انتياب الحوادث لا ترخيه ولا تضعفه داهيـــة قوية شديدة من دواهي الدهر ، يقول : ونحن مثل هذا الجبل في المنعة والقوة .

٢– إرم : جد عاد ، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام .

يقول : هو إرمي من الحسب قديم الشرف بمثله ينبغي أن تجول الخيل وأن تأبى لخصمها أن يجلى صاحبهـــا عن أوطانه ، يريد أن مثله يحمي الحوزة ويذب عن الحريم .

٣– الإقساط : العدل .

يقول : هو ملك عادل وهو افضل ماش على الارض ، اي افضـــل الناس ، والثناء قاصر عما عنده .

٤– الخطة : الأمر العظيم الذي يحتاج الى مخلص منه . أدوها اي فوضوهـــا .

إِنْ نَبَشْتُمْ ما بَينَ مِلْحَةَ فالصَّا قِبِ فيهِ الأَمْوَاتُ وَالأَحياءُ [1]

أَوْ نَقَشْتُمْ فالنقْشُ يجْشَمُهُ النا سُ وَفيهِ الإِسْقامُ والإِبْرَاءُ [2]

الأملاء : الجماعـــات من الأشراف ، الواحد ملأ ، لأنهم يملأون القلوب والعيون جلالة وجمالاً .

يقول : فوضوا الى آرائنا كل خصومة اردتم تشفى بهـا جماعات الأشراف والرؤساء بالتخلص منها إذ لا يجدون عنهـــا مخلصاً ، يريد انهم أولو رأي وحزم يشفى به ويسهل عليهم مـــا يتعذر على غيرهم من الأشراف في فصل الخصومات والقضاء في المشكلات .

في رواية اخرى : تسعى ، وفي رواية التبريزي : تمشي ، والشروع مختلفـة عما هي عليه هنا .

١– يقول : ان بحثتم عن الحروب التي كانت بيننا وبين هذين الموضعين وجدتم قتلى لم يثأر بها وقتلى ثئر بها ، فسمى الذين لم يثأر بهم امواتاً ، والذين ثئر بهم احياء لأنهم لما قتل بهم من اعدائهم كأنهم عادوا احيـــاء إذ لم تذهب دماؤهم هدراً ، يريد انهم ثأروا بقتلاهم وتغلب لم تثأر بقتلاهم .

٢– الإسقام : مصدر ، والأسقام جمع سقم ، الإبراء : الصدر ، والأبراء : جمع برء . النقش : الاستقصاء ، ومنه قيـل لاستخراج الشوك من البدن نقش . والفعل منه نقش ينقش .

يقول : فإن استقصيتم في ذكر ما جرى بيننا من جدال وقتال فهو شيء قد يتكلفه النـــاس ويتبين فيه المذنب من البريء ، كني بالسقم عن الذنب وبالبرء عن براءة الساحة ، يريد ان الاستقصاء فيها ذكر يبين براءتنـا من الذنب والذنب ذنبكم .

أَوْ سَكَتُّمْ عنا فكُنا كَمَنْ أَغْ مَضَ عيناً في جَفْنِها الأَقْذاءُ [1]
أَوْ مَنعْتُمْ ما تسأَلونَ فَمَنْ حُدِّ ثْتُمُوهُ لَهُ علَيْنــا العَلاءُ [2]
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُنتَهَبُ النا سُ غِوَاراً لِكُلِّ حَيٍّ عُوَاءُ [3]
إِذْ رَفَعْنا الجِمالَ مِنْ سَعَفِ البَحْ رينِ سَيراً حتى نَهاها الحِساءُ [4]

١– الأقذاء : جمع القذى ، والقذى جمع قذاة .

يقول : وان أعرضتم عن ذلك أعرضنا عنكم مع إضمارنا الحقد عليكم كمن أغضى الجفون على القذى .

٢– يقول : وان منعتم مـا سألناكم من المهادنة والموادعة فمن الذي حدثتم عنه أنه عزنا وعـلانا ، أي فأي قوم أخبرتم عنهم أنهم فضلونا ، أي لا قوم أشرف منا ، فلا نعجز عن مقابلتكم بمثل صنيعكم .

٣– الغوار : المغـاورة . العواء : صوت الذئب ونحوه ، وهو ههنـا مستعار للضجيج والصياح .

يقول : قـد علمتم غناءنا في الحروب وحمايتنا أيام اغارة الناس بعضهم على بعض وضجيجهم وصياحهم مما ألم بهم من الغارات . وهل في البيت بمعنى قد لأنه يحتج عليهم بما علموه . الانتهاب : الإغارة .

٤– السعف : أغصان النخلة ، والواحدة سعفة . قوله : سيراً ، أي فسارت سيراً ، فحذف الفعل لدلالة المصدر عليه . الحساء : موضع بعينه .

يقوله : حين رفعنـا جمالنا على أشد السير حتى سارت من البحرين سيراً شديداً الى ان بلغت هذا الموضع الذي يعرف بالحساء ، أي طوينا مـا بين

ثُمَّ مِلْنا على تَميمٍ فأحرَمْـ نا وفِينا بَناتُ قَوْمٍ إماءُ [1]

لا يُقيمُ العَزيزُ بالبَلَدِ السَّهْـ لِ ولا يَنفَعُ الذَّليلَ النجَاءُ [2]

لَيسَ يُنجي الَّذي يُوائِلُ مِنا رأسُ طَوْدٍ وحَرَّةٌ رَجْلاءُ [3]

مَلِكٌ أضرَعَ البَرِيَّةَ لا يُو جَدُ فيها لِما لَدَيْهِ كِفاءُ [4]

هذين الموضعين سيراً واغارة على القبائل فلم يكفنا شيء عن مرامنـا حتى انتهينا الى الحسـاء .

١– أحرمنا اي دخلنا في الشهر الحرام .
يقول : ثم ملنا من الحسـاء فأغرنا على بني تميم ثم دخـل الشهر الحرام وعندنا سبايا القبائل قد استخدمناهن ، فبنات الذين أغرنا عليهم كن إماء لنا .

٢– النجاء ، ممدوداً ومقصوراً : الإسراع في السير .
يقول : وحين كان الأحياء الأعزة يتحصنون بالجبال ولا يقيمون بالبـلاد السهلة والأذلاء كان لا ينفعهم اسراعهم في الفرار ، يريد أن الشر كان شاملا عاماً لم يسلم منه العزيز ولا الذليل .

٣– وأل وواءل أي هرب وفزع . الرجلاء : الغليظة الشديدة .
يقول : لم ينج الهارب منا تحصنه بالجبل ولا بالحرة الغليظة الشديدة .

٤– أضرع : ذلل وقهر ، ومنه قولهم في المثل : الحمى أضرعتني لك . الكفاءة والمكافأة : المساواة .
يقول : هو ملك ذلل وقهر الخلق فما يوجـد فيهم من يساويه في معاليه . والكفاء بمعنى المكافىء ، فالمصدر موضوع موضع اسم الفاعل .

كتكاليفِ قومِنا إذْ غزَا المنْـ ذِرُ هلْ نحْنُ لابنِ هندٍ رِعاءُ[1]
ما أصابُوا مِنْ تغْلبيٍّ فمطْلُو لٌ عليْهِ إذا أصِيب العفَاءُ[2]
إذْ أحلَّ العَلْياءَ قُبَّةَ ميْسُو نَ فأدْنى دِيارِها العَوْصاءُ[3]
فتأوَّتْ لهُ قرَاضِبَةٌ مِنْ كُلِّ حيٍّ كأنَّهُمْ ألْقَاءُ[4]

١– التكاليف : المشاق والشدائد .
يقول : هل قاسيتم من المشاق والشدائد ما قاسى قومنا حين غزا منذر أعداءه فحاربهم ؟ وهل كنا رعاء لعمرو بن هند كما كنتم رعاءه ؟ ذكر أنهم نصروا الملك حين لم ينصره بنو تغلب وعيّرهم بأنهم رعاء الملك وقومه يأنفون من ذلك .

٢– طل دمه وأطل : أهدر . العفاء : الدروس ، وهو أيضاً التراب الذي يغطي الأثر .
يقول : ما قتلوا من بني تغلب أهدرت دماؤهم حتى كأنها غطيت بالتراب ودرست ، يريد أن دماء بني تغلب تهدر ودماؤهم لا تهدر بل يدركون ثأرهم .

٣– ميسون : امرأة .
يقول : وانما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة علياء وعوصاء التي هي أقرب ديارها الى الملك .

٤– القرضوب والقرضاب : اللص الخبيث ، والجمع القراضبة . التأوي : التجمع. الألقاء جمع : لقوة وهي العقاب .
يقول : تجمعت له لصوص خبثاء كأنهم عقبان لقوتهم وشجاعتهم .

فَهَدَاهُمْ بالأَسْوَدَينِ وَأَمرُ اللّـ ـهِ بِلْغٌ تَشْقَى بِهِ الأَشْقِياءُ [١]

إذْ تَمَنَّوْنَهُمْ غُرُوراً فَسَاقَتْـ ـهُمْ إِلَيْكُمْ أُمنِيَّةٌ أَشْرَاءُ [٢]

لَمْ يَغُرُّوكُمْ غُرُوراً وَلَكِنْ رَفَعَ الآلُ شَخْصَهُمْ والضَّحاءُ [٣]

أَيُّها النَاطِقُ ٱلمُبَلِّغُ عَنَّا عندَ عَمْرٍو وَهَلْ لِذاكَ انْتِهاءُ [٤]

مَنْ لَنا عِندَهُ مِنَ الخَيْرِ آيا تٌ ثلاثٌ في كُلِّهِنَّ ٱلقَضاءُ [٥]

١– الأسودان : الماء والتمر . هداهم أي تقدمهم .
يقول : وكان يتقدمهم ومعه زادهم من الماء والتمر ، وقد يكون هدى بمعنى قاد ، والمعنى : فقاد هذا العسكر وزادهم التمر والماء ، ثم قال : وأمر الله بالغ مبالغه يشقى به الأشقياء في حكمه وقضائه .

٢– الأشر : البطر ، والأشراء : البطرة .
يقول : حين تمنيتم قتالهم إياكم ومصيرهم إليكم اغتراراً بشوكتكم وعدتكم فساقتهم إليكم أمنيتكم التي كانت مع البطر .

٣– الآل : ما يرى كالسراب في طرفي النهار . الضحاء : بعيد الضحى .
يقول : لم يفاجئوكم مفاجأة ولكن أتوكم وأنتم ترونهم خلال السراب حتى كأن السراب يرفع أشخاصهم لكم .

٤– يقول : أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو بن هند الملك ألا تنتهي عن تبليغ الأخبار الكاذبة عنا ؟

٥– يقول : هو الذي لنا عنده ثلاث آيات ، أي ثلاث دلائل من دلائل غنائنا

آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا ءَتْ مَعَدٌّ لِكُلِّ حَيٍّ لِوَاءُ [1]
حَوْلَ قَيسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ قَرَظِيٍّ كَأَنَّهُ عَبْلاءُ [2]
وَصَتِيتٍ مِنَ الْعَوَاتِكِ لا تَنْ هَاهُ إِلَّا مُبْيَضَّةٌ رَعْلاءُ [3]

وحسن بلائنا في الحروب والخطوب ، يقضي لنا على خصومنا في كلها ، أي يقضي الناس لنا بالفضل على غيرنا فيها .

١- الشقيقة : أرض صلبة بين رملتين ، والجمع شقائق . الشروق : الطلوع والإضاءة .
يقول : إحداها شارق الشقيقة حين جاءت معد بألويتها وراياتها . وأراد بشارق الشقيقة : الحرب التي قامت بها .

٢- أراد قيس بن معد يكرب من ملوك حمير . الاستلئام : لبس اللأمة وهي الدرع . القرظ : شجر يدبغ به الأديم . الكبش : السيد ، مستعار له بمنزلة القرم . العبلاء : هضبة بيضاء .
يقول : جاءت مع راياتها حول قيس متحصنين بسيد من بلاد القرظ ، وبلاد القرظ : اليمن ، كأنه في منعته وشوكته هضبة من الهضاب ، يريد أنهم كفوا عادية قيس وجيشه عن عمرو بن هند .

٣- الصتيت : الجماعة . العواتك : الشواب الحرائر الخيار من النساء . الرعلاء : الطويلة الممتدة .
يقول : والثانية جماعة من أولاد الحرائر الكرائم الشواب لا يمنعها عن مرامها ولا يكفها عن مطالبها إلا كتيبة مبيضة ببياض دروعها وبيضها عظيمة ممتدة ، وقيل : بل معناه إلا سيوف مبيضة طوال ، وقوله : من العواتك ، أي من أولاد العواتك .

فَرَدَدْنَاهُمْ بطَعْنٍ كما يَخْ ... رُجُ مِنْ خُرْبَةِ المَزَادِ المَاءُ[1]

وَحَمَلْنَاهُمْ على حَزْمِ ثَهْلا ... نَ شِلالاً وَدُمِّيَ الأَنْسَاءُ[2]

وَجَبَهْنَاهُمْ بطَعْنٍ كما تُنْـ ... ـهزُ في جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدِّلاءُ[3]

وَفَعَلْنَا بِهِمْ كما عَلِمَ اللهُ ... وَمَا انْ لِلحَائِنِينَ دِمَاءُ[4]

١- خربة المزاد : ثقبها . والمزاد : جمع مزادة وهي زق الماء خاصة .
يقول : رددنا هؤلاء القوم بطعن خرج الدم من جراحه خروج الماء من أفواه القرب وثقوبها .

٢- الحزم : أغلظ من الحزن . ثهلان : جبل بعينه . الشلال : الطراد . الأنساء: جمع النسا وهو عرق معروف في الفخذ . التدمية والإدماء : اللطخ بالدم .
يقول : ألجأناهم الى التحصن بغلظ هذا الجبل والالتجاء اليه في مطاردتنا إياهم وأدمينا أفخاذهم بالطعن والضرب .

٣- الجبه : أعنف الردع ، والفعل جبه يجبه . النهز : التحريك . الجمة : الماء الكثير المتجمع . الطوي : البئر التي طويت بالحجارة أو اللبن .
يقول : منعناهم أشد منع وأعنف ردع فتحركت رماحنا في أجسامهم كما تحرك الدلاء في ماء البئر المطوية بالحجارة .

٤- حان : تعرض للهلاك ، وحان : هلك ، يحين حيناً .
يقول : وفعلنا بهم فعلاً بليغاً لا يحيط به علماً إلا الله ولا دماء للمتعرضين للهلاك أو الهالكين ، أي لم يطلب بثأرهم ودمائهم .

ثُمَّ حُجْراً أَعْني ابنَ أُمِّ قَطَام   وَلَهُ فارِسيَّةٌ خَضْراءُ [١]

أَسدٌ في ٱللِّقَاءِ وَرْدٌ هَمُوسٌ   وَرَبيعٌ انْ شَمَّرَتْ غَبْرَاءُ [٢]

وَفَكَكْنا غُلَّ امرىءِ ٱلْقَيسِ عَنْهُ   بعْدَما طَالَ حَبْسُهُ وٱلْعَنَاءُ [٣]

وَمَعَ الجَوْنِ جَوْنِ آلِ بَني الأَوْسِ   عَتُودٌ كَأَنَّهَا دَفْوَاءُ [٤]

ما جَزِعْنا تَحْتَ ٱلْعَجاجَةِ اذْ وَلَّوْا شِلالاً وَاذْ تَلَظَّى الصِّلاءُ [٥]

١– يقول : ثم قاتلنـــا بعد ذلك حجر بن أم قطام وكانت له كتيبة فارسية خضراء لما ركب دروعها وبيضها من الصدإ ، وقيل : بل أراد وله دروع فارسية خضراء لصدئها .

٢– الورد : الذي يضرب لونه الى الحمره . الهمس : صوت القدم . وجعل الأسد هموساً لأنه يسمع من رجليه في مشيه صوت . شمرت : استعدت . الغبراء : السنة الشديدة لاغبرار الهواء فيها .

يقول : كان حجر اسداً في الحرب بهذه الصفة ، وكان للناس بمنزلة الربيـع إذا تهيأت واستعدت السنة الشديدة للشر ، يريـــد أنه كان ليث الحرب غيث الجدب .

٣– يقول : وخلصنا امرأ القيس من حبسه وعنائه بعدما طال عليه .

٤– يقول : وكانت مع الجون كتيبة شديدة العناد كأنها في شوكتها وعدتهـــا هضبة دفئة . والجون الثاني بدل من الأول والأول في التقدير محذوف كقوله تعالى : « لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات » .

٥– العجاجة : الغبـــار . تلظى : تلهب . الصلاء والصلي : مصدر صليت بالنار

وَأَقَدْنَاهُ رَبَّ غَسَّانَ بِالْمُنْـ ذِرِ كَرْهاً إِذْ لا تُكالُ الدِّمَاءُ [1]
وَأَتَيْنَاهُمُ بِتِسْعَةِ أَمْلا كٍ كِرَامٍ أَسْلابُهُمْ أَغْلاءُ [2]
وَوَلَدْنَا عَمْرَو بنَ أُمِّ أُنَاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا الحِبَاءُ [3]
مِثْلُهَا تُخْرِجُ النَّصِيحَةَ لِلقَوْ مِ فَلاةٌ مِنْ دُونِهَا أَفْلاءُ [4]

أصلى إذا نالك حرها .
يقول : ما جزعنا تحت غبـــار الحرب حين تولوا في حال الطراد ولا حين تلهب نار الحرب .

١- أقدته : أعطيته القود .
يقول : وأعطيناه ملك غسان قوداً بالمنذر حين عجز النــاس عن الاقتصاد وإدراك الآثار ، وجعل الدماء مستعاراً للقصاص ، وهذه هي الآية الثالثة .

٢- يقول : وأتيناهم بتسعة من الملوك وقد أسرناهم وكانت أسلابهم غالية الأثمان لعظم أخطارهم وجلالة أقدارهم . الأسلاب : جمع السلب وهو الثيـــاب والسلاح والفرس .

٣- يقول : وولدنا هذا الملك بعد زمان قريب لمـا أتانا الحباء ، أي زوجنا أمه من أبيه لما أتانا مهرها ، يريد إنا أخوال هذا الملك .

٤- يقول : مثل هــذه القرابة تستخرج النصيحة للقوم الأقارب قربى أرحام يتصل بعضها ببعض كفلوات يتصل بعضها ببعض . الفلاة تجمع على الفلا ثم تجمع الفلا على الأفلاء . وتحرير المعنى : ان مثل هذه القرابة التي بيننا وبين الملك تجب النصيحة له إذ هي أرحام مشتبكة .

فاتركوا الطَّيْخَ والتَّعاشِي وَإمّا تتعاشَوْا ففي التَّعاشي الدَّاءُ [1]

وَاذكُرُوا حِلْفَ ذي المجازِ وَما قُدِّ مَ فيهِ العُهُودُ وَالكُفَلاءُ [2]

حَذَرَ الجَوْرِ وَالتَّعدّي وَهَلْ يَنْ قُضُ ما في المَهارِقِ الأَهْواءُ [3]

واعْلَمُوا أَننـا وَإيّاكُمْ فِيـ مَا اشْتَرَطْنا يَوْمَ اخْتَلَفْنا سَواءُ [4]

١– الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي ، وهما تكلف العشى والعمى ممن ليس به عشى وعمى وكذلك التفاعل إذا كان بمعنى التكلف .

يقول : فاتركوا التكبر وإظهار التجبر والجهل وإن لزمتم ذلك ففيه الداء ، يعني أفضي بكم ذلك الى شر عظيم .

٢– ذو المجاز : موضع جمع به عمرو بن هند بكراً وتغلب وأصلح بينهما وأخذ منهما الوثائق والرهون .

يقول : واذكروا العهد الذي كان منا بهذا الموضع وتقديم الكفلاء فيه .

٣– المهارق : جمع المهرق ، وهو فارسي معرب ، يأخذون الخرقة ويطلونهـا بشيء ثم يصقلونها ثم يكتبون عليها شيئاً ، والمهرق : معرب مهر كرد .

يقول : وإنمـا تعاقدنا هناك حذر الجور والتعدي من إحدى القبيلتين فلا ينقض ما كتب في المهارق الأهواء الباطلة ، يريد أن مـا كتب في العهود لا تبطله أهواؤكم الضالة .

٤– يقول : واعلموا أننا وإياكم في تلك الشرائط التي أوثقناهـا يوم تعاقدنا مستوون .

عَنَنا باطِلاً وَظُلْماً كما تُعْ تَرُ عَنْ حُجْرَةِ الرَّبيضِ الظِّباءُ[1]

أعَلَيْنا جُناحُ كِنْدَةَ أنْ يَغْ نَمَ غازِيهِمُ وَمِنَّا الجَزَاءُ[2]

أمْ عَلَيْنا جَرَّى ايادٍ كما نِيـ طَ بجَوْزِ المُحَمَّلِ الأَعْباءُ[3]

لَيْسَ مِنَّا المُضَرَّبونَ ولا قَيْ سٌ ولا جَنْدَلٌ وَلا الحَذَّاءُ[4]

١ـ العنن : الاعتراض ، والفعـل عن يعن . العتر : ذبح العتيرة ، وهي ذبيحة كانت تذبح للأصنام في رجب . الحجرة : الناحية ، والجمع الحجرات . وقد كان الرجل ينذر ان بلغ الله غنمه مائة ذبح منها واحدة للأصنام ثم ربمـا ضنت نفسه بها فأخذ ظبياً وذبحه مكان الشاة الواجبة عليه .

يقول : ألزمتمونا ذنب غيرنا عنناً باطلاً كما يذبح الظبي لحـق وجب في الغنم .

٢ـ الجناح : الإثم .
يقول : أعلينا ذنب كندة أن يغنم غازيهم منكم ومنا يكون جزاء ذلك ؟ يوبخهم ويعيرهم أن كندة غزتهم فغنمت منهم وأنا يلزمنا جزاء ذلك .

٣ـ الجراء والجرى ، بالمد والقصر : الجناية . النوط: التعليق . الجوز : الوسط، والجمع الأجواز . العبء : الثقل .

يقول : أم علينـا جناية إياد ؟ ثم قال : ألزمتمونا ذلك كما تعلق الاثقال على وسط البعير المحمل .

٤ـ يقول : هؤلاء المضربون ليسوا منا ، عيرهم بأنهم منهم .

أمْ جَنـايَا بَني عَتيقٍ فَإنّا   مِنْكُمُ انْ غَدَرْتُمْ بُرآءُ [١]

وثَمانُونَ مِنْ تَميمٍ بأيْدِيـ   ـهِمْ رِمَاحٌ صُدُورُهُنَّ القَضاءُ [٢]

تَرَكُوهُمْ مُلَحَّبِينَ وآبُوا   بِنِهابٍ يَصُمُّ مِنْها الحُداءُ [٣]

أمْ عَلَيْنا جَرّى حَنيفَةَ أمْ ما   جَمَّعَتْ مِنْ مُحارِبٍ غَبْراءُ [٤]

أمْ عَلَيْنا جَرَّى قُضاعَةَ أمْ لَيْـ   ـسَ عَلَيْنا فيما جَنَوْا أنْداءُ [٥]

ثُمَّ جاؤُوا يَسْتَرْجِعُونَ فَلَمْ تَرْ   جِعْ لَهُمْ شَامَةٌ وَلا زَهْراءُ [٦]

١– يقول : أم علينا جنايا بني عتيق ؟ ثم قال : ان نقضتم العهد فإنا برآء منكم .

٢– القضاء : القتل .
يقول : وغزاكم ثمانون من تميم بأيديهم رماح أسنتها القتل ، أي القاتلة .
وصدر كل شيء : أوله .

٣– التحليب : التقطيع . الأوب والإياب : الرجوع .
يقول : تركت بني تميم هؤلاء القوم مقطعين بالسيوف وقد رجعوا الى بلادهم مع غنائم يصم حداء حداتها آذان السامعين ، أشار بذلك الى كثرتها .

٤– يقول : أم علينا جناية بني حنفية أم جناية ما جمعت الأرض أو السنة الغبراء من محارب .

٥– يقول : أم علينا جناية قضاعة ؟ بل ليس علينا في جنايتهم ندى ، أي لا تلحقنا ولا تلزمنا تلك الجناية .

٦– يقول : ثم جاؤوا يسترجعون الغنائم فلم ترد عليهم شاة زهراء ، أي

لَمْ يُحِلُّوا بَني رِزَاحٍ بِبَرْقَا ءِ نِطَاعٍ لَهُمْ عَلَيْهِمْ دُعَاءُ [1]
ثُمَّ فَاؤُوا مِنهُمْ بِقَاصِمَةِ الظَّهْرِ وَلَا يَبْرُدُ الغَلِيلَ المَاءُ [2]
ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذاكَ مَعَ الغَلَّاقِ لا رَأْفَةٌ ولا ابْقاءُ [3]
وَهُوَ الرَّبُّ والشَّهِيدُ على يَوْمِ الحِيَارَيْنِ وَالبَلاءُ بَلاءُ [4]

بيضاء ، ولا ذات شامة ، هـــذه الأبيات كلها تعبير لهم وإبانة عن تعديهم وطلبهم المحال لأن مؤاخذة الإنسان بذنب غيره ظلم صراح .

١– أحللته : جعلته حلالا .
يقول : ما أحل قومنا محارم هؤلاء القوم وما كان منهم دعـاء على قومنا ، يعيرهم بأنهم أحلوا محارم هؤلاء القوم بهذا الموضع فدعوا عليهم .

٢– الفيء : الرجوع ، والفعل فاء يفيء .
يقول : ثم انصرفوا منهم بداهية قصمت ظهورهم وغليل أجواف لا يسكنه شرب الماء لانه حرارة الحقد لا حرارة العطش ، يريـد أنهم فاؤوا وقتلوا ولم يثأروا بقتلاهم .

٣– يقول : ثم جاءتكم خيل من الغلاق فأغارت عليكم ولم ترحمكم ولم تبق عليكم .

٤– يقول : وهو الملك والشاهد على حسن بلائنا يوم قتالنا بهذا الموضع والعناء عناء ، أي قد بلغ الغاية ، يريد عمرو بن هند فانه شهد عناءهم هـذا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

....

انتهى شرح الزوزني للمعلقات السبع ، ونبدأ شرح معلقات الشعراء الثلاثة الآخرين الذين ضمهم نقاد الادب الى شعراء المعلقات . فجعلوهم عشراً لا سبعاً ..

....

النّابغة الذّبياني

نشأته وتاريخه وتقربه من المناذرة والغساسنة
شاعر سياسي .. وقوّام للشعر في سوق عكاظ

شاعر البلاطين

شاعر البلاطين .. وهو ما لم يصل اليه احد من شعراء الجاهلية قبله ..

فقد عاش النابغة عند مناذرة العراق في الحيرة زمناً ثم عند الغساسنة في الشام زمناً آخر .. فاستطاع العيش مع الخصمين ، وارضاء النقيضين ، حتى اذا ثارت حرب داحس والغبراء نراه يساعد قومه بني ذبيان ويسعى لكسب الانصار والمؤيدين لهم في حربهم مع بني عبس واحلافها ..

وهو زياد بن معاوية بن ضباب .. بن مرة بن ذبيان .. ولا نعرف من امره في نشأته شيئاً يذكر ، فاذا ظهر في التاريخ وبدا.. نراه في الحيرة يمدح امراءها اثيراً عند المنذر الثالث بن ماء السماء حتى اذا هلك هذا في معركة دارت بينه وبين الحارث بن جبلة الغساني قرب قنسرين — جزيران سنة ٥٥٤ م — كان النابغة لا يزال عند امراء العراق ، وقد شهد جلوس عمرو بن هند على عرش ابيه ، وهنأه بقصيدة ذكرت في ديوانه ، ثم لم يعد يذكره في شعره ابداً .. مما يقطع بانه لم يتصل به اتصاله بابيه ، ولا كان اثيراً عنده كما كان عند ابيه ..

وكذلك لا يذكر لنا التاريخ مدى اتصاله بقابوس او بخلفائه من بعده .. إلا

مـا ذكره (ابن قتيبة) من انه – اي النابغة – كان مع النعمان بن المنذر ومع ابيه وجده ، وكانوا له مكرمين ..

ولما اعتلى النعمان ابو قابوس بن المنذر الرابع (٦٠٢) عرش الحيرة قرّب النابغة اليه وجعله نديمه واكرمه كثيراً ..

مشاكل قومه

وكانت قبائل غطفان واشهرها عبس وذبيان تقيم في الشمال الغربي من نجد بين وادي القرى شرقاً .. وجبلي طيء – اجـا وسلمى – غرباً ، ووادي السرحان في بادية السماوة شمالاً ، ووادي الشرية جنوباً ، فاذا أجدبت ارضهم وقلّ المطر عندهم اغـاروا على جيرانهم فنشبت المعارك والغزوات بين القبائل المختلفة .. وكان هـذا امراً عادياً في الجزيرة العربية قبل الاسلام .. خصوصاً بين قبائل البدو الضاربة في الصحارى والواحات ..

وكان بنو عبس وذبيان اولاد عم ينتمون الى غطفان ، ويعيشون متجاورين في البادية ، يناصرون بعضهم في الحروب والغزوات ، فلمـا كان سباق داحس والغبراء ، بين امير بني عبس – قيس بن زهير .. وامير فزارة من ذبيان حذيفة ابن بدر ، والاول صاحب الفرس داحس ، والثاني صاحب الغبراء ، كمن رجال لحذيفة في طريق السبق .. فردوا (داحس) حتى لا يسبق الغبراء ، فلمـا طالب حذيفة بحق السبق وهو مائة ناقة رفض قيس دفع الرهان لان فرسه هو السابق ، فنشبت الحرب المعروفـة في التاريخ بحرب (داحس والغبراء) .. وصارت ذبيان عدواً لعبس وعامر .. وتحالفت مع تميم وبني اسد ، وقـد استمرت هذه الحرب اربعين سنة وكان بين من شاركوا فيها عنترة بن شداد مع قومه بني عبس ..

وطبعاً لم يقف الخصمان في الميدان الواحد للآخر طوال هـذا العدد من السنوات ، فقد كانوا يتحاربون يوماً او ساعات من نهار ، ثم ينصرفون ليعودوا

بعد شهور او اسابيع او سنة الى مثـــل ذلك ، وداموا على هذا الحال اربعين سنة .. حتى جـــاء الاسلام ، واراحهم من الحرب والخصومات القبلية التي انهكتهم واضعفتهم وافقرتهم ..

وفي اثناء هذه الحرب كان النابغة يناصر قبيلته ، كما كان يتقرب في الوقت نفسه تارة الى ملوك الحيرة وتارة الى ملوك غسان ..

وكما اختلفت قبائل العرب خصوصاً البدو منها بعضها مع بعض ، اختلف ملوك الحيرة الذين يؤيدهم الفرس ، مع ملوك غسان الذين يؤيدهم قياصرة الروم نكاية بالفرس ، وقد انتصر الغساسنة على ملوك الحيرة خصوصاً يوم (حليمة) قرب قنسرين .. ويوم (عين آباغ) /٥٧٠/ ميـــلادية . واحرقوا الحيرة سنة ٥٨٠ .. وكان الغساسنة نصارى يدينون بالولاء للكنيسة البيزنطية ، كما كان بعض المناذرة من النصارى ايضاً .. وكان من شأن ملوك الحيرة السيطرة على القبائل العربية التي تعيش بجوارهم ، وفرض طاعتهم عليها ، كما كان من شأن الغساسنة القيام بنفس الدور مع القبائل العربية الضاربة حولهم ..

وكان بنو ذبيان في هـــذه الاثناء اذا أجدبت الصحراء واشتد القحط .. اغاروا على اطراف مملكة الغساسنة يرعون كلأها .. او يسوقون ما يصادفونه من ابلها وماشيتها ، فيقع القتال بين بني ذبيان يساعدهم بنو اسد انصار الحيرة والغساسنة ، والنصر لهؤلاء تارة واولئك تارة اخرى ، فاذا انتهت المعركة كانت حصيلتها بعض الاسرى من بني ذبيـــان واسد يسوقهم الغسانيون الى السجون .. فيعمل النابغة لانقاذهم ويمدح الغساسنة لاخلاء سبيلهم ..

الحسد والقطيعة

ولا بد ان المكانة التي حظي بها النابغة في بلاط ملوك الحيرة قد اثارت عليه عاصفة من الحسد والحقد ، فاخذ بعض المقربين من البلاط يتهمونه بشتى التهم ، حتى اوغروا صدر النعمان عليه ، وقد يكون هؤلاء قد اتخذوا من وصفه العاري للمتجردة زوجة النعمان سبيلاً للكيد له ، وقد يكون السبب مدحه ملوك غسان

في الوقت الذي كان فيه مقرباً من ملوك الحيرة ، وبين العاصمتين ما بينهما من الخلاف والخصومات .

فلما احسّ الشاعر بالشر غادر الحيرة هارباً قبل ان يبطش به الملك ويذهب في الغابرين ..

الى غسان

الى غسان توجه النابغة الذبياني بعد ان خسر عطف المناذرة عليه بعد سنة ٥٩٠ ميلادية ، وكان امير غسان عند قدومه عمرو بن الحرث السادس الاصغر ، فمدحه بقصائد اشهرها البائية :

كليني لهم يا اميمة ناصب   وليل اقاسيه بطيء الكواكب

فاكرمه الامير الغساني ، بل بالغ في اكرامه كما يقولون ، ولما توفي عمرو بن الحرث ، خلفه النعمان السادس ابو كرب ، وكان محباً للحروب والغزوات ، وكانت قبيلة الشاعر تغزو اطراف غسان وتسوق ما تجده فيها من الماشية ، فكان الشاعر يتوسط لقومه عند امير غسان فيطلق هذا سراح من يأسرهم منهم ، ولما قتل النعمان لم يتمالك النابغة ان رثاه بقصيدة مشهورة ..

والواقع ان التحاق الشاعر بالغساسنة لم ينسه ملوك الحيرة ، فقد ظلّ قلبه يحن اليهم .. ولما احسّ عند النعمان بن المنذر استعداداً للعفو عنه ، غادر غسان الى الحيرة حيث نظم قصيدته المشهورة التي يعتذر فيها عن ما فرط منه .. والتي يقول الرواة انه القاها بالاتفاق مع صديقين للنعمان الى احدى القيان تتغنى بابيات منها ، فلما سمع النعمان الشعر قال :

« اقسم بالله انه لشعر النابغة .. »

وسأل ندماءه عنه .. ولم يكن بعيداً .. فأخبر به ، فامّنه وقربّه وظل عنده حتى غضب كسرى الفرس على النعمان فقتله تحت ارجل الفيلة سنة ٦٠٢ ، فغادر النابغة الحيرة حيث التحق بقومه وعاش معهم حتى مات سنة ٦٠٤ ..

ويقول الرواة فيما يقولون ان النابغة كان يجلس مجلس الحكم بين الشعراء في

سوق عكاظ يفصل في شعر الشعراء ، ويقدّم المتقدم ، ويؤخر العـــاجز ، ومن المؤكد انه لم يكن يحضر السوق في كل سنة ، وانما في بعض السنوات ، وانه في السنة التي كان يحضر فيها السوق كانوا يقدمونه ويرئسونه ..

والنابغة الى هـذا يمثل روح الشعر الجاهلي تمثيلاً خاصاً من حيث انه شعر شاعر عاش في بلاط الملوك ، وفي ارض الحضارة ، لا في البوادي والصحاري .

شاعر جاهلي

ولقـــد كان من المفروض في الشعر ، وهو فن دقيق رفيع من فنون الادب الانساني ، ان لا يكون اداة للتكسب والسؤال ، وكان من المفروض على الشاعر ان يمدح قوماً او شخصاً اقراراً بفضل ، او شكراً على نعمة ، او فخراً واعجاباً بنباهة الممدوح وعظيم خطره ، وجليل آثاره ، فلما نشأ النابغة ، واخذ يتكسب بشعره ، فتح للشعراء فتحاً جديداً لم يكن لهم به عهد قبل ذلك ..

ولكن النابغة الى هذا لم يقل الشعر إلا في الملوك غالباً ، يفد على المناذرة في الحيرة ، وعلى الغساسنة في الشام ، فيكرمون وفادته ويثنون على مدائحه ، ومن عجيب امره انه كان لا يرى كبير امر في هذه الحياة المصطنعة التي كانت توجب عليه ان يمدح ملك الحيرة ، وعدوه ملك غسان ، مع ما بين ملوك الشام وملوك العراق من عداء وضغينة وحروب ..

ولكن مدائحه هذه في الغساسنة لم تصبح امراً منظوراً إلا لمـــا تنكر له النعمان بن المنذر ، فقصد النابغة خصيمه الامير الغساني عمرو بن الحـارث فمدحه ، ثم عاد الى الحيرة يعيد ما انقطع من صداقة وولاء ..

والحقيقة ان النابغة اجاد في مدائحه واعتذاراته وكان مردّ الاجادة انه كان مخلصاً في الناحيتين .. فالصدق في الاعتذار لا يستلزم الحب للممدوح مثلاً ، والشاعر انما كان يصف صورة من صور الحياة في عهده ، وحدثا من هـــذه

الاحداث التي كانت تلم به ، ومن هـــذه الناحية وفق كل التوفيق ، واذا كان الشاعر مكيناً في فنه ، امكنه الاجـــادة في مختلف الاغراض التي يتعلق هواه في وصفهـــا ، والنابغة كان شاعراً موفقاً ، متفوقاً في شعره الذي امتاز بصفاء الديباجة وجمال التعبير ، وبرع في الغزل والوصف والمديح والاعتذار ..

يصف الغساسنة

اذا ما غزوا بالجيش حلقّ فوقهم   عصائب طير تهتـدي بعصائب
ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب
لهم شيمة لم يعطهـــا الله غيرهم   من الجود ، والاحلام غير عوازب
مجلتهم ذات الالـــه ودينهم   قويم فما يرجون غير العواقب

ويمدح النعمان بن المنذر ، وقد اجاد في تعظيم ملكه حين يقول :

ولا ارى فاعلاً في الناس يشبهه   ولا احاشي في الاقوام من احـد
إلا سليمان اذ قـــال الاله له   قم في البرية ، فاحددها عن الفند
وخيّس الجن اني قـد اذنت لهم   يبنون (تدمر) بالصّفاح والعمد

كما اجاد في وصف كرمه بهذا النفس الشعري الطويل :

وما الفرات اذا جاشت غواربه   ترمي اواذية العبرين بالزبـــد
يمـــده كل واد مترع لجب   فيه ركام من الينبوت والخضـــد
يظل من خوفه الملاح معتصماً   بالخيزرانة بعـــد الاين والنجد
يوماً باجود منه سيب نافلة   ولا يحول عطاء الامس دون غد

حتى اذا راح يعتذر قال :

وعيد ابي قابوس في غير كنهه   اتاني ودوني راكس فالضواجع
فبت كأني ساورتني ضئيلة   من الرقّش في انيابهـا السم ناقـع
اتاني ابيت اللعن انـك لمتني   وتلك التي تستك منهـــا المسامع

ومنها :

فان كنت لا ذو الضغن عني مكذب ولا حلفي على البراءة نافـــع
فانك كالليـل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

لنابغة وشعره

والنابغة يقول الشعر من علٍ كالمتنبي ، لا يقوله متوسلاً ولا خائفاً ولا وجلاً فقد اكسبته حياة القصر فخامة وجلالاً اجراهمـا في قصيده ومدائحه ، فان تمعنت في اسلوبه وجدت فيـه الامتداد والقوة وحسن التخلص ، سواء أكان مادحاً ام مستعطفاً ام معتذراً ام سالكاً طرق السياسة للوصول الى غرضـه ، من عفو عن قومه ، او اعتذاراً لجرم اجرموه ..

وهو وصّاف يعرّي موصوفه ، فيقدمه لك على حقيقته ، فان وصف الحياة البدوية طفرت البداوة في شعره ، وان وصف الحضارة علت الفاظـه ، ورقت معانيه ، وكذلك حاله مع المرأة يزداد في وصفها رقة وليونة وجمالا ..

وهو شاعر يحسن سرد القصص ، وتصوير الحوادث التي وقعت له او تراءت له .. كما تحس بانه من هؤلاء الشعراء الذين يعنون بشعرهم ، ويعيدون النظر فيه قبل نشره ، ولكنه مع ذلك لم يخل من بعض التراكيب الغريبة ، والجمـــل المستعصية ، والكلمات النافرة ، واعتذارنا عنه انها كانت نافقة في عهده سهلة في زمنه ، ثم جاء من بعد النابغة شعراء وادباء طرحوها جانباً ، بعد ان احلوا مكانها جملاً الين واجمل واكثر موسيقى..

وكذلك حال اللغة كحال مظاهر الحياة تتبدل مع الايام ، وتتغير مــع الزمن ، وكلما كانت الجملة لينة ، والكلمة هينة ، كلما انتظمت لها حيـــاة اطول وابقى ..

الديوان والمعلقة

وكان اول من جمع شعر النابغة ابو سعيد عبـــد الملك بن قريب المعروف

بالاصمعي .. فاختار له ٢٤ قصيدة ، زاد عليها الطوسي في منتصف القرن التاسع بضع قصائد .. وقد نشرت كلها في مجموعة دواوين الشعراء الستة الجاهليين التي نشرها المستشرق وليم بن الورد في لندن ١٨٧٠ وقد الحق بشعر النابغة فيها كل ما عثر عليه من شعره المتفرق القليل في كتب الادب ..

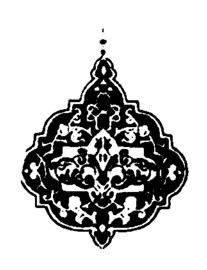
وفي سنة ١٨٦٨ نشر المستشرق ديرنبورغ ديوان النابغة بعد ان قدم له بمقدمة واسعة تناولت حياة الشاعر وصفاته ، والحق به القصيدة التي لم تذكر في الديوان ، والتي اوردها ابو زيد القرشي في جمهرة اشعار العرب وجعلها الثالثة بين المعلقات ومطلعها :

عرجوا فحيوا لنُعمٍ دمنةَ الدار ماذا تُحيُّون من نُؤيٍ واحجار

واما التبريزي فيجعل المعلقة الدالية :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الابد

ونحن من رأي التبريزي في ان الدالية هي المعلقة ، وهي بالتأكيد احسن قصائده واروعها ..



المعلَّقة

يا دار ميّة بالعلياء ، فالسنَدِ   أقوت ، وطال عليها سالف الابدِ [1]

وقفت فيها اصيلاً كي أُسائلَها   عيَّت جواباً ، وما بالرَّبع من احدِ [2]

الّا الأَواريَّ ، لأياً ، ما أُبيّنها   والنؤيَ كالحوض بالمظلومة الجلَدِ [3]

الاعتذاريات اشهر شعر النابغة بلا خلاف ، قالها يعتذر بها للنعمان بن المنذر عن تركه اياه ورحيله الى بني غسَّان ، ويتبرّأ مما رُمي به . وقد رضي عنه النعمان على اثر ذلك . واشهر الاعتذاريات الداليَّة التي يعدّها من المعلـّقات مَن يجعلون هذه القصائد عشراً لا سبعاً . وقـد تصرّف فيها الشاعر بفنون مختلفة من وصف ، وقصص ، ومدح ، واعتذار .

١- ميَّة : اسم المرأة التي يُشبّب بهـا . العلياء . المرتفع من الارض . السند : سند الوادي في الجبل ، وهو اول ارتفاعه . اقوت : خلت من اهلها . السالف : الماضي . الابد : الدهر .

٢- اصيلاً كي : في رواية : أُصَيلاناً ؛ وفي أُخرى : طويلاً كي .

٣- الأواري : ج . الآريّ : الأخيَّة : حبل يدفن في الارض مثنياً فيبرز منه شبه حلقة تشدّ فيها الدابة . اللأي : الجهد والمشقة . النؤي : حُفرة تجُعل

ردَّت عليه اقاصيه ، ولبّده ضربُ الوليدة بالمسحاة في الثأدِ [1]
جلَّت سبيل أتيٍّ كان يحبسه ورفّعته الى السِجفين فالنضدِ [2]
اضحت خلاءً،واضحى اهلُها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لُبَدِ [3]

حول الخيمة لئلا يصل اليها الماء . المظلومة : الارض التي حُفر فيها حوض فكان في غير موضعه. الجَلَد: الارض الغليظة الصلبة .والمعنى:ان الدار قد عفت لقدم عهدها وخفيت آثارها مـــا عدا الاواري التي لا تظهر الا بعد جهدٍ ومشقة ، والنؤي الذي شبّهه بالحوض لاستدارته ، وجعل الحوض في الارض الغليظة الصلبة دلالة على بقاء اثره .

١– اقاصيه : اطرافه ، والضمير للنؤي . لبّده : الصق ترابه بعضه ببعض . الوليدة : الخادمة الشابة . المسحاة : آلة لاخذ الطين كالمجرفة . الثأد : البلل والندى.والمعنى ردّت الجاريةُ ما تفرّق من تراب هذا النؤي لئلا يصل الماء الى المضرب ، والصقت بعضه ببعض بأن ضربته بالمسحاة ، وهو نديّ .

٢– الأتيّ : السيل . السجفان : ستران رقيقان يكونان في مقدّم البيت . النضَد : ما نُضّد من متاع البيت وراء السجفين . بمعنى يتابع المعنى نفسه فيقول : ان تلك الجارية باصلاحها النؤي جعلت فيه سبيلاً للسيل بان رفعت كل مـــا كان يحبسه في المجرى ، ثم رفعت جانب النؤي حتى بلغت به الى السجفين .

٣– اضحت : الضمير للدار . اخنى عليها : اتى عليهـــا ، افسد . لُبَد : اسم نسر كان آخر نسور لقمان بن عاد ، وعددهـــا سبعة . وتزعم العرب ان هذا الحكيم بقي بقـــاء الأنسر السبعة ، ومات بموت آخرها لُبَد الذي عمَّر مائتي سنة .

وصف العراك بين الثور الوحشي والكلاب :

فعدِّ عمّا ترى ، اذ لا ارتجاعَ له ... وانمِ القُتودَ على عَيرانةٍ أُجُدِ [1]

مقذوفةٍ بدخيس النحضِ ، بازُلها ... له صريفٌ صريفَ القَعوِ بالمسَدِ [2]

كأنَّ رحلي ، وقد زال النهارُ بنا ... يومَ الجليل، على مستأنسٍ وحِدِ [3]

من وحش وَجرَةَ ، موشيٍ أكارُعه ... طاوي المصير، كسيف الصيقل الفرِدِ [4]

١– عمّا ترى : في رواية : عما مضى . وعدّ عنه . تجاوزه الى غيره . انمِ : ارفع . القُتود : ج . قتَد : خشبة الرحـل . العَيرانة : الناقة المشتبهة بالعَير لصلابة خفّها . الأجُد : الموثقة الخلق .

٢– مقذوفة : مرميـة . الدخيس : كثرة اللحم . النحض : اللحم . البازل : السن . الصريف : الصوت . القَعو : الآلة التي تضم البكرة اذا كانت من خشب ، فان كانت من حديد فهي الخطّاف . المَسَد : الحبل ، وهو يصف الناقة : بانها قوية كأنها رميت باللحم رمياً لصلابته ، ولاسنانها صوت يشبه صوت القَعو اذا أُديرت فيه البكرة .

٣– زال النهار : انتصف . الجليل : موضع ، وفي رواية : بذي الجليل : وادٍ قرب مكة . مستأنس : صفة الثور الوحشي الذي يخـاف الانس فينظر يمنةً ويسرةً . وحِـد : منفرد . يصف سرعة ناقته حتى في شدّة الحر في منتصف النهار فيشبّهها بالثور الوحشي المُسرع من وجه القناص .

٤– يتابع وصف الثور فيقول انه من وحش وَجرَة : فلاة بين مران وذات عِرق ، قليلة الماء ، تجتمع فيها الوحوش . موشي اكارعه : اي ابيض وفي قوائمه نقط سود . المصير : ج . مصران ، كنّى به عن البطن ، وطاويه : ضامره . كسيف الصيقل : اي انه ابيض يلمع ويلوح عن بعـد . الفرِد : الوحيد .

سرت عليه من الجوزاءِ ساريةٌ تُزجي الشمالُ عليه جامدَ البَرَدِ[1]
فارتاعَ من صوت كلّابٍ،فبات له طوعَ الشوامت،من خوفٍ،ومن صرَدِ[2]
فبثَّهنَّ عليه ، واستمرَّ بـــه صُمعُ الكعوب بريئاتٌ من الحرَدِ[3]
وكان ضُمران منه حيث يوزعه طعنَ المعاركِ عندا لُمحجَرِ النَجُدِ[4]

١– سرت : جاءت ليلاً . الجوزاء : نجم يطلع بالليل في صميم الحرّ وتكون في اوقاتــه انواء وامطار . سارية : عاصفة اتت في نوء الجوزاء . اراد ان الثور لما اصابه المطر والبَرَد ، وهو خائف من الصائد ، احتدّت نفسه ، وتضاعف خوفه .

٢– الكلاّب ، صاحب الكلاب . له : الضمير للصوت او الكلاّب . الصَرَد : البرد . الشوامت : قد يكون اراد بهـا الاعداء فيكون المعنى : انَ هذا الثور بات من الخوف والبرد مبيت سوء ، ومبيته على هـــذه الحال يُسر اعداءه الشامتين . او ان تكون الشوامت : القوائم ، فيكون المعنى : ان الثور اصبح طوع قوائمه يذهب حيث تقوده ، اي على غير هدى لمـا اصابه من الروع . ولعله اصح .

٣– بثّهنّ : فرّقهنّ ؛ ضمير الفاعل للكلاّب ، وضمـــير المفعول لكلابه . استمرّ : الضمير للثور صُمع : ج . صمعـــاء . محدّدة الاطراف ، شديدة ملساء . الكعوب : ج . كعب : المفصل من العظام . الحرَد . استرخاء عصب اليد من شدّ العقال .– المعنى : ان الصائــد فرّق كلابه على الثور ، فلما احسَّ بها هذا عدا على قوائم صلبة المفاصل ليس فيها استرخاء .

٤– وكان : في رواية : فهاب . ضُمران : اسم احد الكلاب . يوزعه : يُغريه . المُحْجَر : الملجأ. النَجُد : الشجاع. نعت المعارك. والمعنى كان ضمران من الثور حيث اغراه الصياد بان يكون، ونصب طعن على المصدر ، اي فكأنه طعن الثور طعن الشجاع الفاتك .

شكَّ الفريصة بالمدرى، فانفذها شكَّ المُبَيْطِرِ، اذ يشفي من العضَدِ [1]

كأنه، خارجاً من جنب صفحته سفّودُ شَرْبٍ نسوه عند مفتأدِ [2]

فظلَّ يعجمُ اعلى الرَّوق، منقبضاً في حالك اللون، صَدْقٍ، غير ذي أوَدِ [3]

لما رأى واشقٌ اقعاصَ صاحبه ولا سبيل الى عقلٍ، ولا قوَدِ [4]

قالت له النفس: «اني لا ارى طمعاً وان مولاك لم يسلم، ولم يصدِ» [5]

١ــ شكّ : طعن ، والضمير للثور . الفريصة : عضلة في مرجع الكتف . المدرى : القرن . العَضَد : داء يصيب العضُد. والمعنى طعن الثور الكلب بقرنه فخرق فريصته ، ونفذ فيها قرنه كما ينفذ مبضع البيطار في لحم الدابة اذا داوى من العضد .

٢ــ كأنه : اي كأن القرن . السفّود : قضيب حديد يُشك فيه اللحم اذا أُريد شواؤه . الشّرب : قوم يشربون . المفتأد : موضع النار الذي يشوى فيه .

٣ــ يعجم : يمضغ ويعضّ ، الضمير للكلب . الرّوق : القرن . في : بمعنى على. الحالك: الاسود. الصَّدْق: الصلب . الأوَد: الاعوجاج. والمعنى ان الكلب وهو على قرن الثور الاسود ، المستقيم ، ظلّ يعضّه ، وهو منقبّض لما اصابه من الوجع .

٤ــ واشق : اسم الكلب الآخر . الإقعاص : القتل السريع . العَقل : الدية . القَوَد : القصاص . ــ اي لما مات الكلب الاول سريعاً لم يُعقل ولم يُقد به ، قال الثاني في نفسه (البيت التالي) .

٥ــ المولى : اراد به الحليف ، والصاحب ، اي الكلب المقتول .

فتلك تُبلغني النعمان ، إنّ له فضلاً على الناس ، في الادنى ، وفي البُعُدِ [1]

ولا ارى فاعلاً في الناس يُشبهه ولا أحاشي من الاقوام من احدِ

الاّ سليمانَ ، اذ قال الاله له : « قُمْ في البرّية ، فاحددها عن الفنَدِ [2]

« وخيّس الجنَّ ، اني قد اذنتَ لهم يبنون تدمُرَ بالصُفّاح والعَمَدِ [3]

« فمن اطاعك ، فانفعه بطاعته كما اطاعك ، وادلُله على الرشَدِ ،

« ومن عصاك فعاقبه معاقبةً تنهى الظلومَ ، ولا تقعد على ضمَدِ [4]

١– فتلك : اي الناقة الموصوفة .

٢– سليمان : سليمان الحكيم ابن داود . وتقول العرب ان الجنّ بنت له مدينة تدمر ، كما ورد في البيت التالي . وقد شبه به النعمان لعظم ملكه . احددها : احبسها ، وامنعها . الفَنَد : الخطأ في الرأي والقول ، الظلم .

٣– خيّس : ذلّل . الصُفّاح : ج . صفيحة : الحجر العريض . العَمَد : ج . عمود : السارية من الحجر .

٤– معاقبة تنهى الظلوم : اي يرتدع بها غيره . الضَمَد : الذلّ ، الغيظ ، الحقد .

« الاَّ لمثلك ، او من انت سابقه   سبقَ الجوادِ اذا استولى على الأمدِ »[1]

اعطى لفارهةٍ ، حلوٍ توابعها   من المواهب، لا تُعطى على نكَدِ [2]

الواهبُ المائةَ المعكاء ، زيّنها   سعدانُ تُوضِحَ ، في أوبارها اللِبَدِ [3]

والساحبات ذيول الرَّيطِ فنَّقها   بردُ الهواجر ، كالغزلان بالجرَدِ [4]

١– الامد : الغاية . يتعلّق هذا البيت بقوله في البيت السابق : « ولا تقعد على ضمد » الا لمثلك... : اي لا تضمر الحقد الا لمن كان مثلك من الرجال العظام او لمن كنت افضل منه بقليل ، فلا يكون بينك وبينه الا كما بين الجواد السابق والمصلّي . اما من دون ذلك من الانام فاغفر لهم وسامحهم . يقوله النابغة عن لسان الله لسليمان الحكيم ، ولكنه يريد فيه ان يرغب النعمان في العفو عنه . هذا ملخّص . آراء الشرّاح ، الا ان المازني يرى ان موضع البيت قبل البيت الاخير .

٢– اعطى... : صفة « فاعلاً » في قوله : « ولا ارى فاعلا ... » في المقدمة الفارهة : الناقة الكريمة ، المطيّة الحسنة . لا تُعطى على نكد : اي لا تُعطى ونفس المعطي تتبعها وتأسف على خروجها. وفي رواية : على حسَد.

٣– المعكاء : مفرد وجمع : الغِلاظ ، الشداد . السعدان : نبت تسمن عليه الابل . توضح : اسم مكان كانت ابل الملوك ترعاه . اللبَد : ج . لبدة : ما تلبّد من الوبر ، اشارة الى ان هذه الابل لم تُركب ولم تُحمّل فتحتّت اوبارها .

٤– الساحبات ...: الجواري . فنّقها : نعّم عيشها . الجرَد : الموضع الذي لا ينبت شيئاً ، فتكون غزلانه ظاهرة ، بادٍ حسنها .

والخيلَ تمزع غرباً في اعنّتها كالطير تنجو من الشؤبوبِ ذي البَرد[1]
والأُدْمَ قد خُيّست، فتلاً مرافقها مشدودةً برحالِ الحِيرة الجدُدِ[2]

طلب التروّي من النعمان

أحكمْ كحُكمِ فتاة الحيّ، اذ نظرت الى حمامٍ شِراعٍ واردِ الثَّمَدِ[3]
يحفُّه جانبـــا نيقٍ، وتُتبعه مثلَ الزجاجة لم تُكحلْ من الرمدِ[4]

١– تمزع : تمرّ مرّاً سريعاً . غرباً : حـدّةً ، وفي رواية : قبّاً : ضامرة ، فتكون صفة للخيل . الشؤبوب : الدفعة القوية من المطر .

٢– الأدم : ج . ادماء : الناقة البيضاء . خُيِّست : ذُلّلت . فـتلاً مرافقها : اي ان مرافقها مندمجة بعيدة عن آباطها ، واذا كانت كذلك سلمت الناقة من الجراح التي قد تصيبها من احتكاك المرافق بالكراكر ، فتمنعها عن السير . الحِيرة : عاصمة النعمان ، وهي مشهورة بصنع الرحال :

٣– احكم : كن حكيماً ، ولا تقبل وشاية الاعداء بي ، بل اصب في امري كما اصابت في حكمها فتاة الحي : زرقاء اليمامة . وخبرها انهـا رأت جماعة من القطا طائرة فعدّتها ، وكان لها قطاة ، فقالت : ليت ذا القطا لنـــا ، مع نصفه الى قطاتنا ، فيتم لنا مائه . فنظروا ، فاذا عدد القطا ستٌ وستون كما قالت . والى هـــذه الحادثة يشير في الابيات التالية . شراع : مجتمعة ؛ ويروى : سراع . الثّمَد : الماء القليل يكون في الشتاء ويجفّ في الصيف .

٤– النِيق : الجبل . واذا كان الحمام بين الجبلين تراكم بعضه على بعض فصعب عدّه تـُتبعه : تـُلحقه ، الضمير للفتاة . مثل الزجاجة : اي عينها ، اراد انها صافية لم يصبها رمد ، فتحتاج الى كحل .

قالت : « الا ليتما هذا الحمامُ لنا الى حمامتنا ، ونصفه ، فقدِ »

فحسَّبوه ، فالفوه كما حسبت : تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزدِ

فكمّلت مائةً فيهـــا حمامتها واسرعت حِسبةً في ذلك العددِ [1]

تبرير نفسه — الاختتام بمدح النعمان

فلا ، لعمرُ الذي مسَّحت كعبتَه وما هُريق على الانصاب من جسدِ [2]

والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ ، تمسحها ركبانُ مكة ، بين الغيْل والسَّعَدِ [3]

ما قلت من سيّءٍ ممـــا أُتيتَ به اذاً ، فلا رفعت سوطي اليَّ يدي [4]

١– في هـذه الابيات الثلاثة بعض الاضطراب مما جعل بعضَ النقاد يشكون في صحة نسبتها للنابغة .

٢– يبتدىء بهذا البيت بتبرير نفسه ، بعد ان طلب من النعمان ان يتأتي ويتبصّر في أمره . فيحلف اولاً برب الكعبة التي مسّحها : طاف بهـــا ولمسها . الانصاب : حجارة كانت تُنصب في الجاهلية وتذبح عليهـــا الذبائح . الجسد : الدم .

٣– المؤمن . اسم فاعـل من آمن ، اراد به الله . عائذات الطير : التي عاذت بالحَـرَم ، اي التجأت اليه فأمنت ، وهي مفعول به من مؤمن . تمسحها : تلمسها ، او تزورها وضمير المفعول للطير . الغِيل والسعد : اجمتان بين مكة ومِنى . وروى الاصمعي : الغَيْل : ماء كان يخرج من اصـــل ابي قبيس في مكة .

٤– مـــا قلت : جواب القسم . اذاً ... اي ان كنت كاذباً ، شلّ الله يدي حتى لا يمكنني رفع سوطي بها على خفته . وقد ورد الشطر الاول في بعض الروايات : « ما ان اتيت بشيءٍ انت تكرهه » .

النابغة الذبياني .

اذاً ، فعاقبني ربي معاقبةً   قرّت بها عين من يأتيك بالفَنَدِ [1]

هذا ، لأَبرأ من قولٍ قذفتُ به   طارت نوافذه حرّاً على كبدي [2]

أُنبئت انَّ ابا قابوسَ اوعدني   ولا قرارَ على زأرٍ من الاسدِ [3]

مهلاً ! فداءٌ لك الاقوام كلهم   ومــا أُثمّرُ من مالٍ ومن ولدِ

لا تقذِفنّي برُكنٍ لا كفاءَ له   وان تأثّفك الاعداءُ بالرِفَدِ [4]

فما الفراتُ ـ اذا هبَّ الرياح له   ترمي اواذِيُّه العِبرَينِ بالزَبَدِ [5]

١– الفَنَد . الكذب ، الخطأ ، الظلم .

٢– هذا : اي هذا القسم . نوافذ : ج . نافذة : اراد بهــا حدّة هذه الاقوال ومبلغ تأثيرها .– هذه رواية بعض مجموعات المعلّقات . اما رواية الديوان فقد ورد فيها البيت على الوجه التالي :

الا مقالة اقوامٍ شقيت بها   كانت مقالتهم قرعاً على كبدي

٣– ابو قابوس : كنية النعمان . اوعدني : هدّدني . القرار : الاطمئنان . الزأر ، والزئير : صوت الاسد ، والشطر من نوع ارسال المثل .

٤– لا كفاء له : ليس له من نظير ولا مثيل ، تأثفك الاعداء : اجتمعوا حولك ، وداروا بك . الرفد : المعاونة – المعنى : لا ترمينّي بداهية ، اي بسخطك الذي لا مثيــل له ولا كفؤ ، ولا تسمع للوشاة الذين اجتمعوا حولك ، يعاون بعضهم بعضاً على السعاية بي عندك .

٥– اذا هبَّ الرياح له : في رواية : اذا جاشت غواربه . الاواذي : ج . آذي : الموج . العبران : الضفّتان .

يمدُّه كل وادٍ مُترَعٍ لجبٍ ... فيه ركامٌ من الينبوت والخضَدِ [1]

يظلّ، من خوفه، الملَّاحُ معتصماً ... بالخيزُرانة، بعد الأينِ والنجدِ [2]

يوماً - باجودَ منه سيب نافلةٍ ... ولا يحول عطاءُ اليوم دون غدِ [3]

هذا الثناءُ، فان تسمع به حسناً ... فلم أعرّض - أبيتَ اللعنَ! - بالصفدِ [4]

ها انَّ ذي عذرةٌ، الا تكن نفعت ... فان صاحبها مشاركُ النكدِ [5]

اعتـــذار آخر

في ترتيب ابيات القصيدة اختلاف بين الرواة حتى ان بعضهم كابن ميمون صاحب « منتهى الطلب »، وياقوت، وغيرهما، زادوا فيها بضعة ابيات. وقد فضّلنا اتباع الرواية المشهورة، وهي :

١- يمدّه : يزيد فيه بانصباب مائه . الرُكام : الحطام المتكاثف المجتمع بعضه فوق بعض . الينبوت : شجر الخشخاش . الخضد : الشجر المتكسّر .

٢- خوفه : الهـاء راجعة للفرات . الخيزُرانه : السُكّان، ذنب السفينة . الأين : العياء، التعب . النَجَد : الكرب والشدة .

٣- السيب : العطاء . النافلة : الزيادة، الفضل .

٤- ابيتَ اللعن : تحيَّة كانوا يحيّون بها الملوك في الجاهلية معناها : ابيت ان تأتي من الامور ما تُلعن عليه وتُذم . الصفد : العطاء . المعنى : ان هـذا هو الثناء الصحيح الصادق، فان اعجبك، فاني لم اتعرّض بـه لعطائك، لكن امتدحتك اقراراً بفضلك .

٥- ذي : هذه . عِذرة : الاعتذار . النَكَد : سوء الحظ . يقول : هـذا

اتاني ، ابيتَ اللعنَ !، انك لُمتَني وتلك التي اهتمُّ منها ، وانصَبُ [1]

فبتّ كأنَّ العائداتِ فرشنني هِراساً به يُعلى فراشي ويُقشبُ [2]

حلفتُ ، فلم اترك لنفسك ريبةً وليس ، وراء الله ، للمرء مطلب [3]

لئن كنتَ قد بُلّغت عني خيانةً لَمُبلغك الواشي اغشُّ واكذبُ

ولكنني كنت امرءا لي جانبٌ من الارض،فيه مُستَرادٌ ومذهبُ [4]

ملوكٌ واخوانٌ ، اذا ما اتيتُهم أُحكَّم في اموالهم ، واقرَّبُ [5]

اعتذاري ، فان لم ينفع ، فاني سيء الحظ مشؤوم الطالع .

١ - تلك : اي تلك الملامة هي التي صيرتني مهتماً . انصَب : اعيا ، اتعب .

٢ - العائدات : ج . عائدة : المرأة التي تزور المريض . فرشنني : كذا في اكثر الروايات وفي غيرها : فرشنَ لي . الهراس : نبت كثير الشوك . يُقشب : يخلط ويجدّد .

٣ - الريبة : الشك . وليس ... : اي ليس ، بعد اليمين بالله ، مجال لطلب غير ذلك من الحجج ، فينبغي لك اذاً ان تصدّقني . مطلب : في اكثر الروايات : مذهب .

٤ - مستراد : مصدر ميمي من استراد اي اقبـال وادبار . مذهب : مصدر ميمي من ذهب . يدلّ في ذلك على ان له ارضاً وسعة من العيش .

٥ - ملوك واخوان : اراد الغسانيين الذين بالغوا في اكرامه حين نزل بهم .

كفعلكَ في قومٍ اراكَ اصطنعتَهم فلم ترَهم ، في شكر ذلك ، اذنبوا [1]

فلا تترُكنّي بالوعيد ، كأنني الى الناس مطليٌّ به القار ، اجربُ [2]

الم ترَ ان اللهَ اعطاكَ سُورةً ترى كل مَلْكٍ دونها يتذبذبُ [3]

فانكَ شمسٌ ، والملوكُ كواكبٌ اذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

ولستَ بمستبقٍ اخاً لا تلمُّه على شعثٍ ، ايُّ الرجالِ المهذّبُ [4]

قال ابو الفرج : بيّن « مستراد » (في البيت السابق) فقال : ملوك واخوان .

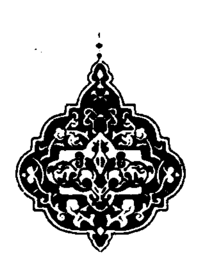
١- المعنى : كان الغسانيون يفعلون معي كفعلك في من اصطفيتَهم من الناس . فاذا مدحوك شكراً لك فلا تراهم مذنبين من اجل ذلك . وكذلك انا لست مذنباً من اجل اني مدحت الغسانيين الذين احسنوا اليّ .

٢- الوعيد : التهديد . الى : بمعنى في . القار : القطران . مطليّ به القار : اراد مطلياً بالقار ، فقلب .- بعد ان تنصّل من ذنبه ، اخذ يسترحم فقال : تداركني بعفوك ولا تدعني تحت غضبك ، فيتجنّبني الناس ، حتى اصبح كالبعير الاجرب المطلي بالقطران .

٣- سورة : منزلة ، فضيلة . يتذبذب : يضطرب .

٤- تلمّه : تجمعه ، تصلحه . الشعث : التفرّق ، الفساد - المعنى : من لم تصلحه من الناس وتقوّم اخلاقه فلست بمستبقيه صديقاً لك . ثم فسّر فكرته باستفهام انكاري فقال : « واي الرجال المهذّب ؟ » اي لا نجد رجلاً كامل الاخلاق لا عيب فيه حتى لا يحتاج الى اصلاح وتقويم .

فأن اكُ مظلوماً ، فعبدٌ ظلمته وان تكُ ذا عُتبي، فمثلك يُعْتِبُ[1]



كان حمـــاد الراوية يقدّم النابغة . فقيل له : « بمَ تقدّمه ؟ » فقال : « باكتفائك بالبيت من شعره ، بل بنصفه ، بل بربعه ، نحو :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبةً وليس ، وراء الله ، للمرء مطلبُ !

كل نصف يغنيك عن صاحبه . وقوله : « اي الرجال المهذّب » ربع بيت « يغنيك عن غيره » .

١– العُتبى : الرضى . يُعتب ، يعفو ويرضى – المعنى : ان اكُ مظلوماً فانا العبد الذي يحتمل سيّده ؛ وان شئت ان تغفر لي (اي ان كنتُ مذنباً) فانك حقيق بالحلم والفضل .

الأعشى الأكبر

شاعر الخمر والمديح والاستجداء

ولد ميمون بن قيس البكري المعروف بالاعشى الكبير بقرية منفوحة في اليمامة سنة (٥٣٠) ميلادية ، ونشأ راوية لخاله المسيّب بن عماس .. وكان ماجناً مستهتراً ، شأنه معاقرة الخمرة والمقامرة ، فاتلف ما عنده فجدّ في طلب المال يطوّف ارض العربية باحثاً عن كبير يمدحه وامير يطلب رفده ..

وكان الاعشى اعمى ولهذا لقب بابي بصير .. وسمي (صناجة العرب) لانه كان يتغنى بشعره ..

وكان ممن يحسنون المدح والذم ، يضعهما حيثما اتفق له ، فان ارضاه هـذا مدحه وان تجاهله ذاك او اساء اليه قليلاً شتمه وذمه وهجاه ، فكانت حياته عبارة عن مشاكل يتعرض لها بسبب هجائه وسلاطة لسانه ..

وكتب الأدب تروي الكثير من اخباره ونوادره فمنها : انه مدح سلامة ذا فائش الحميري فقال :

الشعر قلّدته سلامة ذا فائش . والشيء حيث ما جعلا

فلما انشده هذا الشعر قال : « صدقت ، الشيء حيث ما جعل » .

واعطاه مئة من الابل وكساه حللاً واعطاه كرشا [1] مدبوغة مملوءة عنبراً

---

[1] - جمعها كروش .. وهي للحيوان بمنزلة المعدة للانسان .

وقـــال :

« اياك ان تخدع عنها . فانصرف عنه حتى اتى (الحيرة) فباعها بثلاث مئة ناقة حمراء . فخاف ان ينتهب ماله ، فاستجار (بعلقمة بن علاثة العامري) فقال له :

« اجيرك من الاسود والاحمر » .

فقال : « ومن الموت » . قال : « لا » .

فأتى (عامر بن الطفيل) فقال له مثل مقالة (علقمة) فقال له (الاعشى):

— ومن الموت... ؟ قال : نعم .

قال : « وكيف ؟ »... قال : « ان متّ في جواري وديتك [١] .

فلما سمع (علقمة) جواب (عامر) قال : « لو علمت ان ذلك مراده لهان عليّ » . وكان ذلك في اوان منافرة [٢] عامر وعلقمة المشهورة . وكانت العرب تهاب ان تنفـّر احدهما على الآخر [٣] .

ثم ان الاعشى ركب ناقته ونفـّر (عامر) وفضّـله على (علقمة) بقصيدة سيأتي بعض ابياتها . فهدر علقمة دمه . وجعل على كل طريق رصداً . فهجاه الاعشى ايضاً بقصيدة يقول فيها :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا [٤]

وقد كذب في هجوه لعلقمة ، فانه كان من اجواد العرب . وقد اسلم وحسن اسلامه . ولما بلغ ذلك علقمة رفع يديه وقال :

« لعنه الله . انحن نفعل هذا بجاراتنا » .

ثم ان (الاعشى) سافر ومعه دليـل ، فاخطأ به الطريق ، فالقاه في ديار

---

١ — دفعت ديتك لاهلك .

٢ - المفاخرة ..

٣ — تفضل احدهما على الآخر .

٤ - غرثى : جائعة ..

(بني عامر بن صعصعة) فاخذه رهط (علقمة بن علاثة) فاتوه به فقال : « الحمد لله الذي امكنني منك » .

فقال الاعشى :

اعلقم قــد صيّرتني الامور اليك . ومـا أنت لي منقص
فهب لي نفسي فدتك النفوس ولا زلت تنمو ولا تنقص

فقال قوم علقمة : « اقتله وارحنا والعرب من شر لسانه » .

فقال علقمة : « اذن تُطلبوا بدمه ، ولا ينغسل عني ما قاله ، ولا يعرف فضلي عند المقدرة » .

وقيل : بل دخل (علقمة) على امه وقال لها : « لقد امكنني الله من هذا الاعمى الخبيث » .

قالت : « فما تراك فاعلاً به ؟ »

قال : « سأقتله شر قتلة » .

فقالت : « يا بنيّ ، لقد كنت ارجوك لقومك عامة ، واني اليوم لا ارجوك الا لنفسك خاصة . وانمـا الرأي ان تكسوه وتحمله ونسيّره الى بلاده ، فانه لا يمحو عنك ما قاله الا هو » .

ففعل مــا امرته به ، وحلّ وثاقه ، والقى عليه حلة ، وحمله على ناقة ، واحسن عطاءه . وقال له : « انج حيث شئت ». واخرج معه من (بني كلاب) من يبلغه مأمنه . فجعل بعد ذلك يمدحه . ومن ذلك قوله فيه :

علقم ، يا خير بني عامر للضّيف والصاحب والزائر
الضّاحك السن على همه والغـافر العثرة للعـاثر

قصة المحلق

ومن حديثه انه كان لأبي المحلق شرف ، وكان قــد اتلف ماله . وبقي

(المحلق[١]) وثلاث اخوات له. ولم يترك لهم الا ناقة واحدة وحلتي برود جيدة كان يسد بهـــا الحقوق[٢] . فاقبل (الاعشى) من بعض اسفاره يريد منزله باليامة . فنزل الماء الذي به (المحلق) . فقراه اهل الماء فاحسنوا قراه ..

فاقبلت عمة المحلق ، فقالت له : « يا ابن اخي » هذا الاعشى قد نزل بمائنا ، وقد قراه اهل الماء والعرب تزعم انه لم يمدح قوماً الا رفعهم ، ولم يهج قوماً الا وضعهم . فانظر مـــا اقول لك : احتل في زق من خمر من عند بعض التجار ، وأرسل اليه بهذه الناقة والزق وبردتي ابيك. فوالله لئن اعتلج الكبد والسنام[٣] والخمر في جوفه ونظر الى عطفيه في البردتين ليقولن فيك شعراً يرفعك به » .

قال : « ما املك غير هـــذه الناقة وانا اتوقع رسلها[٤] » فاقبل يدخل ويخرج ، ويهم ولا يفعل . فكلما دخل على عمته حضته . حتى دخل عليهـــا فقال : « قد ارتحل الرجل ومضى » . قالت : « الآن والله احسن ما كان القرى : تتبعه ذلك مع مولى ابيك – وكان لابيه مولى اسود شيخ – فحيثما لحقه اخبره عنك انك كنت غائباً عن الماء عند نزوله اياه ، وانك لما وردت المـــاء فعلمت انه به كرهت ان يفوتك قراه . فإن هذا هو احسن لموقعه عنده » .

فلم تزل تحضه حتى اتى بعض التجـــار فكلمه ان يقرضه ثمن زق خمر واتاه بمن يضمن ذلك عنه فاعطـــاه . فوجه بالناقة والخمر والبردين مع مولى ابيه . فخرج يتبعه . فكلما مرّ بماء قيل : ارتحـــل امس عنه . حتى صار الى منزل (الاعشى) في (منفوحة) باليامة . فوجد عنـــده عدة من الفتيان قد غداهم بغير لحم وصب لهم فضيخا[٥] فهم يشربون منه اذ قرع البـــاب ، فقال :

---

١ – رجل من ولد بكر بن كلاب من بني عامر ..
٢ – حقوق الضيوف ..
٣ – اعتلج تضارب .. والسنام ما يعلومن ظهر البعير ..
٤ – لبنها ..
٥ – اللبن يخلط بالماء .

— « انظروا من هذا ؟ »

فخرجوا فاذا رسول (المحلق) يقول كذا و كذا . فدخلوا عليه وقالوا :

— هذا رسول المحلق الكلابي اتاك بكيت و كيت .

فقال : « ويحكم ، اعرابي ، والذي ارسل اليّ لا قدر له . والله لئن اعتلج الكبد والسنام والخمر في جوفي لاقولن فيه شعراً لم اقل قط مثله » . ثم اذن للرسول فدخل واناخ الجزور بالباب ووضع الزق والبردين بين يديه . فقال له : اقرء السلام وقل له : وصلتك رحم . سيأتيك ثناؤنا » .

وقام الفتيان الى الجزور فنحروها وشقوا خاصرتها عن كبدها وجلدها عن سنامها ، ثم جاءوا بهما . فاقبلوا يشوون ، وصبوا الخمر فشربوه . واكل معهم (الاعشى) وشرب ولبس البردين ونظر الى عطفيه فيهما فأنشأ يقول :

ارقت ، وما هذا السّهاد المؤرّق ؟ وما بي من سقم ، وما بي معشق

ومنها :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرّق [1]

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار النّدى والمحلّق

الى ان يقول :

ابا مسمع سار الذي قد فعلتم فانجدَ اقوامٌ به ، ثم أعرقُوا [2]

به تُعقد الاجمالُ في كل منزل وتعقد اطراف الحبال وتطلق [3]

فسار الشعر وذاع في العرب . فما اتت على المحلق سنة حتى زوج اخواته الثلاث ، كل واحدة على مئة ناقة . فايسر وشرف .

وقد رويت هذه القصة على غير هذا الوجه . وفي احدى الروايات انه انشد

---

١ — اليفاع — المرتفع من الارض .

٢ — انجد اتى نجداً . واعرق ذهب الى العراق .

٣ — الاجمال جمع جمل ..

الشعر بسوق عكاظ وقـد اجتمعت عليه الناس ، وانه حض القوم على زواج بناته ، وانه ناداه بقوله : « مرحباً بسيدي وسيد قومه » وفي هذه الرواية : ان العوانس كن بناته لا اخواته ، وكن ثمانية .

الاعشى في الاسر

ومن اخباره انه هجا رجلاً من (بني كلب) فقال :

بنو الشهر الحرام فلست منهم　　ولست من الكرام : بني عبيـد
ولا من رهط جبـار بن قرط　　ولا من رهط حارثة بن زيـد

فقال له : « لا ابالك . انا اشرف من هؤلاء كلهم » وقـد سبّه الناس بهجاء الاعشى اياه .

ثم اتفق ان الكلبي اغار على قوم قـد بات فيهم الاعشى . فاسر منهم نفرا وكان الاعشى بين الاسرى وهو لا يعرفه . ثم جاء الكلبي حتى نزل على (شريح ابن السموأل بن عادياء الغساني) صاحب (تيماء) بحصنه (الابلق الفرد) فمر شريح بالاعشى ... فناداه الاعشى وانشده قصيدة قد ارتجلها يستجير به .

فجاء شريح الى الكلبي وقال له : « هب لي هذا الاسير المضرور » .

فقال : «هولك» . فاطلقه . وقال له : «اقم عندي حتى اكرمك واحبوك» .

فقال له الاعشى : « ان من تمـام صنيعك ان تعطيني ناقة نجيبة وتخليني الساعة » فاعطاه ناقة فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبي ان الذي وهب لشريح هو الاعشى . فارسل الى شريح ان « ابعث اليّ الاسير الذي وهبت لك حتى احبوه واعطيه . فقال : « قد مضى » فارسل الكلبي في اثره فلم يلحقه .

والقصيدة التي ارتجلها الاعشى مستجيراً بشريح هي قوله :

شريح ، لا تتركني بعد ما علقت　　حبالك اليوم بعد القدّ ـ اظفاري[1]
كن كالسموأل ، اذا طاف الهمام به　　في جحفل ، كهزيع الليل ، جرار
إذ سامه خطتي خسف فقال له :　　قل مـا تشاء ، فأني سامع ، حار

---

١ – حبالك : اي بقربك .. والقد قيد من جلد يقيد به الاسير .

فقال : غدر وثكل انت بينهما فاختر « ومــا فيها حظ لمختار »
فشكّ غير طويل ، ثم قال له اقتل اسيرك . اني مانـع جاري
وسوف يعقبنيه – انظفرت به رب كريم ، وبيض ذات اطهار
لا سرّهن لدينــا ذاهب هدرا وحافظات–اذا استودعن–اسراري
فاختار ادراعه كي لا يسبّ بها ولم يكن عهده فيهــا بختـار

وكان (امرؤ القيس بن حجر) قد اودع عند (السموأل) دروعه واخته . فاتاه الحارث بن ظالم المري ، ليأخذها منه عنوة فتحصن منه السموأل ، فاخذ الحارث ابناً للسموأل (وكان في الصيد) فقــال : إما سلمت اليّ الادراع ، وإما قتلت ابنك .

فأبى ان يسلمها اليه . فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه قطعتين .
فقال (السموأل) في ذلك :

بنى لي عاديا حصناً حصيناً وبئراً كلما شئت استقيت [1]
واوصى عاديا يوماً : بأن لا تهدّم يا سموأل مــا بنيت
وفيت بادرع الكنديّ اني اذا ما خان اقوام – وفيت [2]

وبالسموأل هذا يضرب المثل بالوفاء . فيقال « اوفى من السموأل » .

١– عاديا : هو ابو السموأل . وعاديا اصله عادياء بالهمز .. (حصناً) اراد به (الابلق الفرد) المشهور الذي يقول فيه السموأل :

هو الابلق الفرد الذي شاع ذكره يعز على من رامــه ويطـول

وفيــه بئر كانوا يستقون منها . ولم يزل الحصن الى الآن وفيه البئر . وهو معروف حتى الساعة بحصن السموأل . وهو مشرف على تيماء بين الحجاز وبادية الشام على رابية من تراب . قال في معجم البلدان : وفيه آثار ابنية من لبن لا تدل على ما يحكى عنه من العظمة والحصانة وهو خراب . وانما قيل له الابلق لانه كان في بنائه بياض وحمرة . وكان اول من بناه عادياء ابو السموأل .

٢– اراد بالكندي امرأ القيس لانه من بني كندة .

الشاعر وآثاره

للأعشى ديوان كبير اكثره في المدح الذي سخّر له كل فنون الشعر من غزل ووصف وخمر ، واشهر قصائده المعلقة وقصيدة اخرى مطلعها :

مــا بكاء الكبير بالاطلال وسؤالي ومــا ترد سؤالي

والمعلقة في خمسة وستين بيتاً ، يذكر في اولها قصته مع (هريرة) ثم وصف الخمرة وشربها ..

ثم ينتقل الى وصف السفر وما نزل به في اثناء سفره ، واخيراً تهديده ليزيد ابن مسهر الشيباني ، وهو ابن عم الاعشى وفي تهديده هذا فخر كثير .. وابيات جميلة جداً ..

وقد وصفنا لك حياة هذا الشاعر وكيف تقطعت في اللهو والخمرة والغناء ، ومدح من يطمع في نوالهم حتى اصبح شعره اقرب الى الاستجداء منــه الى شيء آخر ..

وليس يختلف الاعشى عن غيره من شعراء الجاهلية .. يبدأ قصائده بالغزل ووصف الخمرة ومجالس اللهو .. ثم يمضي في وصف رحلاته واسفاره ، واخيراً يصل الى الممدوح فيتعلق به ..

وهو وصّاف للخمرة اكثر من اي شاعر جاهلي آخر .. ذكر النديم والساقي والقينة والمجلس ، كما صوّر السكارى في اسلوب لطيف ، متنقلاً من هذا كله الى الحوار يدور بينه وبين بائع الخمرة ، وهو مــا اخذه ابو نواس بعده وصيّره فناً قائماً بذاته ..

في شعره ما يدل على انه كان ملماً ببعض ثقافات عصره ، ولا بد ان هــذا كان نتيجة اسفاره وتنقلاته واختلاطه بمختلف الجماعات ..

وفي شعره موسيقى أطربت معاصريه ، وسهولة وانسجاماً رفعت جميعها مكانته وجعلت الكثيرين يردّدون شعره ..

المعلّقة

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ ، إنَّ ٱلرَّكْبَ مُرْتَحِلُ
وَهَلْ تُطِيقُ وداعاً أيُّهـا ٱلرَّجُلُ ؟ [1]

غَرَّاءُ ، فَرْعاءُ ، مَصْقُولٌ عَوارِضُهـا .
تَمْشي ٱلْهُوَيْنا ، كَما يَمْشي ٱلْوَجِي الوَحِلُ [2]

كَأَنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها مَرُّ ٱلسَّحابَةِ : لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ [3]

١– هريرة : اسم امرأة (الركب) اصحاب الابـل في السفر . ولا يقال لمن يسافر على غير الابل ركب .

٢– غراء : بيضاء حسنة (فرعاء) طويلة الفرع وهو الشعر التام (العوارض) جمـع عارض . وهو صفحة العنق ، وجانب الوجه . وأراد بالعوارض الاسنان التي بعد الثنايا والثنايا ليست من العارض . يريد انها نقية الاسنان فكأنها مصقولة (تمشي الهوينا) تمشي على مهل (الوجي) الذي رق قدمه من المشي بلا نعلين . فهو بطيء المشي (الوحل) الذي وقع في الوحل ، أو توحّلت رجـلاه في الطين . فهو يمشي على مهل خشية ان تزلق رجلاه – يصفها بالتؤدة والتأني في مشيها فهي ليست بخرقاء .

٣– لا ريث : لا بطء . أي هي تمشي مشياً فيه سكينة .

لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ ٱلْجِيرانُ طَلْعَتَها ولا تَراها لِسِرِّ ٱلْجارِ تَخْتَتِلُ [1]
يَكادُ يَصْرَعُها ـ لَوْلا تَشَدُّدُها إذا تَقُومُ إلى جاراتِها ـ ٱلْكَسَلُ [2]
إذا تَقُومُ يَضُوعُ ٱلْمِسْكُ أَصْوِرَةً وٱلزَّنبَقُ ٱلوَرْدُ مِنْ أَرْدانِها شَمِلُ [3]
مـا رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ ٱلْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ
خَضْراءُ ، جادَ عَلَيْهـا مُسْبِلٌ هَطِلُ [4]
يُضاحِكُ ٱلشَّمْسَ مِنْها كَوْكَبٌ شَرِقٌ
مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ ٱلنَّبْتِ ، مُكْتَهِـلُ [5]

١ـ تختتل : تتسمع . يقال : اختتل الرجل ، أي تسمع لسر القوم . فهو يرفع عنها عار التجسس .

٢ـ يصرعها : يطرحها ويُسقطها (الكسل) أراد به الفتور .

٣ـ يضوع المسك : تفوح رائحته منتشرة (الاصورة) جمع صِوار وهو نافجة المسك اي وعاؤه . والمعنى : انهـا اذا قامت تفوح منها رائحة المسك كما تفوح من أوعيته ونوافجه . وقـد نصب « اصورة » على المفعولية المطلقة ليضوع (الورد) الاحمر وانما وصف الزنبق بذلك لأن أجوده ما كان يضرب الى الحمرة (الاردان) اطراف الاكام . ومفرده رُدْن (شمـل) شامل اي ان رائحة الزنبق من أردانها عامة شاملة .

٤ـ الحزن : ما غلظ من الارض . ورياض الحَزْن احسن الرياض (جاد عليها) امطرها (مسبل) مطر مسبل سائل (هَطل) هاطل يروّي أرضها .

٥ـ الكوكب : هو مـا طال من النبات (شَرق) زاهٍ زاهر (مؤزر بعميم

يَوْماً بِأَطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائِحَةٍ ... ولا بِأَحسَنَ مِنْها إِذْ دَنا ٱلْأُصُلُ [1]

قالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زائِرَها ... وَيْلي عَلَيْكَ،وَوَيْلي مِنْكَ يا رَجُلُ

إِمَّا تَرَيْنا حُفاةً لا نِعالَ لَنا ... إِنَّا كَذٰلِكَ ما ، نَحْفَى و نَنْتَعِلُ [2]

و بَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ ٱلتُّرْسِ ،مُوحِشَةٍ ... لِلْجِنِّ بِٱللَّيْلِ في حافاتِها زَجَلُ [3]

النبت) قد اتخذ ما يحيط به من النبات ازاراً له ولبوساً (مكتهل) قد تم طوله وظهرت ازهاره ، فهو قد انتهى في التمام . يقال :. اكتهل الرجل إذا صار كهلا ولا يكون كذلك إلا بعد أن يتمّ شبابه وتنتهي غلواؤه ، أي حدة شبابه .

١– النشر : الرائحة الطيبة (دنا) قرب (الاصل) جمع اصيل . وهو الوقت بعد العصر الى المغرب .

٢– اما ترينا : ان ترينا . وما المدغمة في ان زائدة (حفاة) جمع حافٍ (انا كذلك) : الاصل : فانا كذلك . فالفاء مقدرة وتقديرها واجب لأن جواب الشرط جملة اسمية (ما) زائدة للتوكيد وليست بنافية لان النفي لا معنى له هنـا – والمعنى : إنا على هذه الحال نحفى تارة وننتعل – أي نلبس النعال – تارة أخرى . يريد ان الانسان تارة يعتوره الفقر ، وآونة يصيبه الغنى .

٣– وبلدة . الواو واو رب فلذا جرّت ما بعدها (مثل ظهر الترس) يريد انها صلبة قوية يصعب المرور فيها (حافاتها) نواحيها (زجل) صوت .

جاوَزْتُهـا بِطَلِيحٍ ، جَسْرَةٍ ، سُرُحٍ
في مِرْفَقَيْهـا - إذا اسْتَعْرَضْتَها - فَتَلُ [1]

بَلْ هَلْ تَرى عارِضاً قِدْ بِتُّ أَرْمُقُهُ
كَأَنَّمـا البَرْقُ في حافاتِـهِ شُعَلُ [2]

لَهُ رِدافٌ ، وَجَوْزٌ مُفْأَمٌ عَمِلٌ
مُنَطَّقٌ بِسِجالِ المَاءِ ، مُتَّصِلُ [3]

لَمْ يُلْهِنِي اللَّهْوُ عَنْهُ - حينَ أَرْقُبُهُ -
ولا اللَّذاذَةُ في كَأْسٍ ، ولا شُغُلُ [4]

١- جاوزتها : قطعتها (الطليح) الناقة الكالّة التعبة من كثرة ما سارت (جسرة) : طويلة عظيمة تجسر على الهول والمشقة (سُرُح) سهلة السير (استعرضتها) اتيتها من جانبها عرضاً (الفتل) اندماج في مرفق الناقة . وقيل تباعد المرفقين عن الزور .

٢- العارض : السحاب المعترض في الافق (ارمقه) انظر اليه (شعل) جمع شعلة .

٣- له رداف : له توابع أي سحائب تردفه وتتبعه . والرداف جمع رديف وهو في الاصـل : الراكب خلف الراكب (جوز) وسط . وجوز كل شيء وسطه (مفأم) ممتلىء . وأراد انه ممتلىء من المـاء (عمل) دائم البرق . يقال : عَمِلَ البرق ، أي دام (منطق) بسجال المـاء ، قد أحاطت به فصارت له كالنطاق الذي يشد به الوسط . و (السجال) جمع سَجْل وهو الدلو العظيمة . ولا يقـال للدلو سجل إذا كانت فارغـة (متصل) اي متصل بعضه ببعض . يريد ان هذا السحاب ليس بمتفرق .

٤- ارقبه : انظر اليه وارصده . يريد انه لم يُلهِ عن النظر الى هذا السحاب — الذي من صفته ما تقدم — شيء .

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ في دُرْنا ـ وقــدْ ثملوا

شِيموا . وكَيْفَ يَشِيمُ ٱلشَّارِبُ ٱلثَّمِلُ [1]

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبانَ مَأْلُكَةً أَبا ثُبَيْتٍ ، أَما تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ [2]

أَلَسْتَ مُنْتَهِياً عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنا ؟ ولَسْتَ ضائِرَها ما أَطَّتِ ٱلْإِبِلُ [3]

كَناطِحٍ صَخْرَةً يَوماً لِيُوهِنَها فَلَمْ يَضِرْها،وأَوْهى قَرْنَهُ ٱلْوَعِلُ [4]

١– الشرب : القوم المجتمعون على الشراب ، والمفرد شارب (درنا) اسم لمكان باليمامة (ثملوا) سكروا (شيموا) انظروا الى ضوء هذا البرق . والشيم : النظر الى البرق خاصة (الثمل) السكران .

٢– يزيد : أراد به يزيد بن مسهر الذي تقدم خبره في الكلام على سبب معلقة الاعشى (المألكة) بفتح اللام وضمها : الرسالة . ومثلهـــا المألك والألوك والألوكة . وجمع الاولين مآلك ، وجمع الآخرين ألائك (اباثبيت) منادى بحذف حرف النداء . و(ابو ثبيت) كنية يزيد بن مسهر المذكور (تأتكل) اي تأكل لحومنا بمعنى تغتابنا ، أو مـــا تنفك يأكل بعضك بعضاً من الغيظ والحقد .

٣–عن نحت اثلتنا : اي عن ذمنا وتنقّصنا . يقال : نحت فلان اثلة فلان ، اذا تنقصه وذمه . والاثلة هي الاصـــل ، وواحدة الاثـل وهي شجرة الطرفاء . ونحت الاثلة كناية عمّا تقدم (ضائرها) ضاراً بها . يقال : ضاره الامر يضيره ، بمعنى أضرّ به (اطـّت) حنـّت . والاطيط والحنين : صوت الابل . يريد انك لا تضرُّ بنا أبداً مهما تنقـّصتنا لأن الناس يعرفون حقيقتنا فلا يأبهون لذمك .

٤– كناطح صخرة : اي انك بعملك هــذا كوعل ينطح صخرة ليوهنها ، اي

تُغْري بِنا رَهْطَ مَسْعُودٍ وإِخْوَتِهِ يوْمَ ٱللِّقاءِ، فَتُرْدي ثُمَّ تَعْتَزِلُ ١
لا تَقْعُدَنَّ وقَدْ أَكَّلْتَها حَطَبا تَعُوذُ مِنْ شَرِّها يَوْماً، وتبْتَهِلُ ٢
سائِلْ بَني أَسَدٍ عَنَّا، فَقَدْ عَلِموا أَنْسَوْفَ يَأْتيكَ مِنْ أَنْبائِنا شَكَلُ ٣
وَٱسْأَلْ قُشَيْراً وعَبْدَ ٱللهِ كُلَّهُمُ وَٱسْأَلْ رَبيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ ٤
إِنَّا نُقاتِلُهُمْ ، حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ عِنْدَ ٱللِّقاءِ، فَهُمْ جارُوا، وهُمْ جَهِلوا ٥

ليضعفها (اوهى) اضعف (الوعل) حيوان شبيه بالغزال . ويقال : هو تيس الجبل . ويجوز فيه سكون العين وكسرها . ومؤنثه وعلة .

١– تغري بنا رهط مسعود : أي تحرشهم علينا وتدفعهم لمناوأتنا وقد تقدمت قصة ذلك في الكلام عن معلقته . و(الرهط) قوم الرجل وعشيرته . ويطلق ايضاً – في غير هذا المقام – على عدد يجمع من الثلاثة الى العشرة وليس فيهم امرأة (تردي) تهلك . اي تهلك الناس بسبب اغرائك ثم تعتزل وتبتعد كأنك لم تجن جناية ولم يكن لك يد في هذا الافساد .

٢– اكلتها : الضمير يعود الى الحرب المعروفة من المقام. ومعنى اكّلتها : اشعلتها وأوقدتها (تبتهل) تدعو الى الله ان يصرف شرها .

٣– سائل : اسأل (الانباء) الاخبار . مفردها نبأ (شكل) اختلاف ، والمعنى : سيأتيك عنا اخبار مختلفة وانباء مشكلة يصعب عليك حلها .

٤– اسأل قشيراً وعبد الله وربيعة : اي اسأل بني قشير وبني عبدالله وبني ربيعة (كيف نفتعل) كيف نفعل افعالا لم نُسبق اليها . ويقال : افتعل الامر ، أي ابتدعه ابتداعاً غير مسبوق إلى مثله .

٥– جاروا : ظلموا .

لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيداً لَمْ يَكُنْ صَدَداً لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ، فَنَمْتَثِلُ [1]
لَئِنْ مُنِيتَ بِنا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ لا تُلْفِنا عَنْ دِماءِ ٱلْقَوْمِ نَنْتَقِلُ [2]
لا تَنْتَهُونَ (وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ
كَٱلطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ ٱلزَّيْتُ وٱلْفُتُلُ) [3]
حَتَّى يَظَلَّ عَمِيدُ ٱلْقَوْمِ مُرْتَفِقا يَدْفَعُ بِٱلرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُلُ [4]

١- عميد القوم : سيدهم وسندهم الذي يعمدون اليه في حاجاتهم ويعتمدون عليه في أمورهم . وأراد به سعيداً من بني سعد بن مالك ، وهو الذي حض يزيد ابن مسهر القوم على قتله بزاهر بن سيار كما تقدمت القصة في الكلام على معلقته (صدداً) مقارباً. وأراد مقارباً لجناية قتل صاحبكم (نمتثل) نقتل الاماثل منكم فنقتصّ منها . والاماثل من الناس : خيارهم .

٢- منيت : ابتليت (عن غب معركة) بعد عاقبتها ونهايتها . وغبّ كل شيء: عاقبته .. (لا تلفنا) لا تجدنا .

٣- الشطط : الخروج عن منهج الصواب والعدل (كالطعن) الكاف هنا اسم بمعنى مثل مبنية على الفتح وهي مرفوعة المحل على انها فاعل ينهى . اي لا ينهى ذوي الشطط عن شططهم مثل الطعن الواسع الذي تغيب في جرحه الفتيلة ويذهب الزيت . والفتل : جمع فتيلة . والبيت من شواهد النحاة على اسمية الكاف .

٤- مرتفقاً : متكئاً على مرفقه . يقال : ارتفق الرجل ، اي طلب رفيقاً ، واستعان ، واتكأ على مرفق يده . ومنه قولهم : « على سؤددك ارتفق » اي استند . يقال لمن يتكل على غيره ولا يتكل على نفسه (الراح)

أصابَـهُ هِنْدُوانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِماحِ ٱلخَطِّ مُعْتَدِلُ[1]

كَلَّا، زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لا نُقاتِلُكُمْ إِنَّا لِأَمْثالِكُمْ ـ يا قَومَنا ـ قُتُلُ[2]

نَحْنُ ٱلفَوارِسُ يَوْمَ ٱلحِنْوِ ضاحِيَةً

جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ، لا مِيلٌ، ولا عُزُلُ[3]

الاكف . وهي جمع راحة بمعنى الكف ، (العجل) جمع عجول وهي المرأة الواله ، والثكلى – والمعنى : لا تنتهون عن غيكم حتى نترك ساداتكم في ساحة الحرب تدفع عنهم النساء الوله أو الثكالى لئلا يُداسوا بعد القتل .

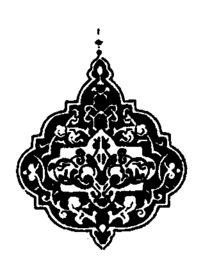
١– الهندواني : السيف من صنع الهند « اقصده » قتله . يقال : أقصده السهم ، اي اصابه فقتله مكانه . واقصد السهمُ أي أصاب فقتل مكانه . فهو لازم متعدٍّ « الذابل » الرمح « الخط » مرفأ السفن بالبحرين واليه تُنسب الرماح الخطية لأنه مكان مبيعها لا مكان منبتها لأنها كانت تُجلب من الهند وتقوَّم في الخط وتُباع على العرب .

٢– قُتُل : قاتلون . وهي جمع قتول . مبالغة من القتل . ويكون القُتُل – في غير هذا المقام – جمع قتيل ايضاً .

٣ – يوم الحنو : هو يوم ذي قار . والحنو يبعد ليلة عن ذي قار ، «ضاحية» علانية ، أو بارزة « فطيمة » في الاصل تصغير فاطمة . وهو تصغير ترخيم بحذف الزوائد . وأراد به موضعاً بالبحرين مسمى بهذا الاسم كانت فيه وقعة بين بني شيبان وبني ضُبيعة وتغلب ، ظفر فيها بنو تغلب على بني شيبان . فهو يقول : نحن الفوارس في هذين اليومين : يوم الحنو ، ويوم

قالُوا : ٱلطِّرادُ ، فَقُلْنا : تِلْكَ عادَتُنا
أوْ تَنْزِلُونَ ، فَإنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ [١]

هذا ما صار اختياره من المعلقة وهو أجودها وأجملها وأبدعها ..



فطيمة ، « الميل » جمع اميـــل ، وهو الجبان الذي لا يثبت في الحرب ، أو الذي يميل عن السرج ولا يثبت على الخيل ، « العزل » جمع اعزل ، وهو من لا سلاح معه . واصلها عُزْل بضم العين وسكون الزاي . وضمت الزاي هنا اتباعاً للعين .

١ـ قالوا الطراد ، ويروى قالوا الطعان . والمعنى : ان طاردتم بالرماح فتلك عادتنـــا . وان نزلتم للمجادلة بالسيوف نزلنا . ويروى : « ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا » « نزل » نازلون ، وهو جمع نازل . وهو جمع عزيز نادر يحفظ ولا يُقاس عليه .

عُبَيد بن الأبرص

شاعر بني اسد ، وخصيم امرىء القيس
وقتيل المنذر بن ماء السماء في يوم بؤسه

عبيد بن الابرص الاسدي .. شاعر فحـل فصيح اللفظ ، وكان شاعر بني اسد، طائر الشهرة في عصره ، شهماً كريماً مع ضيق ذات يـده .. مضري من معد بن عدنان ..

وكان معاصراً لامرىء القيس بن حجر وله معه مناظرات وشعر منها : انه لما اجتمعت (بنو اسد) بعد (قتلهم حجر بن عمرو) والد امرىء القيس الى (امرىء القيس) على ان يعطوه الف بعير دية ابيه ، او يقيدوه من اي رجل شاء من بني اسد ، او يمهلهم حولا .. قال لهم امرؤ القيس : « امـا الدية فما ظننت انكم تعرضونها على مثلي ، واما القود فلو قيد الي الف من بني اسد مـا رضيتهم، ولا رأيتهم كفؤاً لحجر ، واما النظرة فلكم.. ثم ستعرفونني في فرسان قحطان ، احكم فيكم ظبـا السيوف وشبا الاسنة ، حتى اشفي نفسي ، وانال ثأري » .

فلما سمع عبيد كلام امرىء القيس انشد :

يا ذا المخوفنا بقتـل   ابيه اذلالاً وحينـا [1]

---

١ ـ الحين : الهلاك .

ازعمت أنك فاتـك	بسراتنا ، كذبا ومينـا
هلا على حُجْر بن أم	قطام تبكي لا علينـــا
انا اذا عض الثقاف	برأس صعدتنا لوينا [1]
نحمي حقيقتنا وبعض	القوم يسقط بين بينـا
هلا سألت جموع كندة	يوم ولوا . اين أينـا ؟
أيام نضرب هامهم	ببواتر ، حتى انحنينـا
نحن الألى. فاجمع جموء	لك ثم وجههم الينـــا
لا يبلغ الباني — ولو	رفع الدعائم — ما بنينا
كم من رئيس قد قتلناه	وضيم قـــد ابينـــا
انا لعمرك لا يضام	حليفنـا ابـداً لدينـــا

وسبب القتل انه لمـا عصى بنو اسد حجراً ابا امرىء القيس وامتنعوا عن دفع الاتاوة وضربوا جابيه وادموه ، جاءهم حجر فقتل منهم واسر سراتهم . وكان في الاسرى عبيد بن الابرص . وقد انشد قصيدة كانت سبب عفوه عنهم . ثم قتلوا حجراً بعد ذلك ، وشدّوا على امواله نهباً .

موت عبيد

وقد عمّـر (عبيد) طويلاً . حتى قتله المنذر بن ماء السماء اللخمي ، وقيل: قتله (النعمان بن المنذر) وذلك انه وفـد عليه وهو لا يعلم في أحد أيام بؤسه التي كان يقتل المنذر فيها كل من يراه ..

والسبب انه كان للمنذر رجلان ينادمانه من بني اسد.احدهما خالد بن المضلل الفقعسي ، والآخر عمرو بن مسعود . فاغضباه في بعض المنطق . فامر ان يحفر لكل واحـــد حفير في ظهر الحيرة ، ثم يجعلا في تابوتين ، ويدفنا في الحفرتين

---

١ — الثقاف : آلة تسوى بها الرماح .. الصعدة : الرمح المستوي .. لوينا : اي لويناه ، اي اذا اشتد علينا الخطب املنا رؤوس رماحنا نحو الاعداء مدافعين عن انفسنا ..

حيين . ففعلوا بهما ذلك حتى اذا اصبح سأل عنهما — وكان حين فعل بهما ذلك مخموراً — فأخبر بهلاكهما . فندم على ذلك وغمّه الامر . ثم ركب المنذر حتى نظر اليهما . فامر ببناء الغرّيين عليهما — والغري هو البناء الجيد — وسميا بالغرّيين لان المنذر كان يغرّيهما بدم من يقتله اذا خرج في يوم بؤسه — فبنيا عليهما . وجعل لنفسه يومين في السنة : يوم نعيم ويوم بؤس .

فاول من يطلع عليه في يوم نعيمه يعطيه مئة من الابل . واول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان اسود . ثم يأمر به فيذبح ويطلى بدمه الغريان — والظربان : دويبة كالهرة منتنة . وفي المثل : هما يتنازعان جلد الظربان . اي يتسابان — فلبث على ذلك برهة من دهره . ثم ابطل هذه العادة السيئة يوم وفد عليه حنظلة بن ابي عفراء فامر بذبحه . فطلب منه حنظلة ان يرجع الى اهله ويراهم ثم يعود اليه بعد سنة .

فقال : ومن يكفلك ؟ فنظر الى وجوه القوم فعرف منهم شريك بن عمرو فانشده شعراً يطلب منه ان يكفله على ان يقتل مكانه ان لم يرجع .

فاجابه الى ذلك . فلما كان العام القابل جلس المنذر في مجلسه ينتظر حنظلة ان يأتيه . فابطأ عليه . فامر بشريك فتقدم الى القتل فاذا براكب قد طلع عليهم فتأملوه ، فاذا هو حنظلة متكفناً متحنطاً معه نادبته تندبه . بينما قامت نادبة شريك تندبه ، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما و كرمهما . فاطلقهما وابطل تلك العادة الشنعاء .

. . .

لما طلع عبيد ذلك اليوم قال المنذر :

« من هذا الشقي ؟ »

فقيل له : عبيد بن الابرص الشاعر .

فقال له بعض من حضر : « ابيت اللعن . اظن ان عنده من حسن القريض افضل مما تدرك من قتله . فاسمع منه . فان سمعت حسناً استزدته . وان لم يعجبك فما اقدرك على قتله » .

فقال المنذر : « هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد » .

فقال : « أتتك بحائن رجلاه » [1] فارسلها مثلا .

فقال : « ما ترى يا عبيد ؟ »

قال : « المنايا على الحوايا [2] » فارسلها مثلا .

فقال : « انشدني فقد كان يعجبني شعرك » .

فقال : « حال الجريض دون القريض [3] » فارسلها مثلا .

فقال : « انشدني : اقفر من اهله ملحوب » .

فقال :

أقفر من أهله عبيـــد : فليس يبدي ولا يعيد [4]

عنّت له خطة نكودُ وحان منها له وَرُودْ [5]

فقال المنذر : ما اشدّ جزعك من الموت » .

فقال : « لا يرحل رحلك من ليس معك [6] » فارسلها مثلا .

فقال له النعمان : « لا بدّ من الموت . ولو ان النعمان (يعني اباه) عرض لي يوم بؤسي لذبحته . فاختر : ان شئت الاكحل [7] وان شئت الابجل [8] ، وان شئت الوريد [9] » .

فقال عبيد : « ثلاث خصال كسحابات عاد ، واردها شرّ ورّاد ، وحاديها

---

١ – الحائن : من حان اجله ..

٢ – الحوايا : الهوادج .

٣ – الجريض : الغصص بالريق .

٤ – اقفر : خلا .

٥ – خطة : امر .. امر نكود : ذات نكد.. وقد اراد من هذا الاشارة الى دنو اجله .

٦ رحل البعير اذا شد على ظهره الرحل .. والمعنى : لا رهينك من لا يكون صدوقاً مخلصاً لك ..

٧ – الاكحل :عرق في الذراع .. ويقال انه عرق الحياة ..

٨ – الابجل : عرق للبعير والفرس .. شأنه كالاكحل في الانسان ..

٩ – الوريد : عرق في العنق ..

شر حاد ، ومعادها شر معـاد ، ولا خير فيه لمرتاد . وان كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر ، حتى اذا ماتت مفاصلي ، وذهلت ذواهلي ، فشأنك وما تريد ».

فامر المنذر بحاجته من الخمر . حتى اذا اخذت منه وطابت نفسه ، دعا به المنذر . ليقتله فلما مثل بين يديه انشأ يقول :

ألا ابلـــغ بنيّ واعمامهم	بأن المنـــايا هي الواردة
لها مدة ، فنفوس العبـاد	اليها–وان كرهت–قاصدة
فلا تجزعوا لحمـــام دنا	فللموت مـا تلد الوالدة

فامر به المنذر ففصد . فلما مات غرى بدمه الغريين .

وكان موته سنة (٥٥٥) او (٦٠٥) لميلاد المسيح .

آثـــاره

لعبيد بن الابرص ديوان شعر طبع في ليدن ١٩١٣ ، اشهر ما فيه البائية التي اجروها في المعلقات، ومضمونها الوقوف بالديار التي اوحشت بعد سفر المحبوب ، كعادة جميع شعراء الجاهلية ، ثم حكم فوصف الناقة ، وقد شبهها بحمار وحش يجانبه آثار العض ، او ثور يرعى مكاناً خصيباً .. واخيراً وصف الفرس وتشبيهها بالعقاب .

وكان عبيد شاعراً حساساً يعطف على الحيوانات المختلفة ويرعاها .. وكان فقيراً يرعى الغنم مع اخته ، ولعل فقره هذا جعله رقيق الشعور عطوفاً خلوقاً .

ووصفه مرن وقد استطاع الشاعر اخضاع لغته لبيانه، فانقادت له الكلمات واستسلمت له المعاني .. فاحسن في الوصف واجاد ..

ومعلقته جمعت الواناً من الحكمة والموعظة والوصف وهي مسبوكة سبكاً حسناً ، ولكن اضاع جمالها البحر الذي اختـــاره الشاعر ، فهو بحر لم ينجح فيه من طرقه من الشعراء الاقدمين والمخضرمين ..

وهو الى هذا شاعر فحـل جعله (ابن سلام) في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وحكمائها ودهاتها .. وقرن به طرفة وعدي بن زيد ، وقـد فقد اكثر شعره ، ولكن ما ابقاه التاريخ منه يؤكد شاعريته وذكاءه وتوقد ذهنه وانه أوتي من الحكمة قدراً ..

فمن شعره :

إذا انت لم تعبأ برأيٍ ولم تطع ... لنصح ولم تصغ الى قول مرشد
فلِمْ تتقي ذمّ العشيرة كلها ؟ ... وتدفع عنها باللسان وباليد
فلست —وان عللت نفسك بالمنى— ... بذي سؤددٍ بادٍ ولا كرب سيّد [1]
ولا ابتغي وُدّ امريء قلّ خيره ... ولا انا عن وصل الصديق بأصيد [2]
واني لأطفي الحرب بعد شبوبها ... وقد أوقدت للغي في كل موقد
واني لذو رأي يعاش برأيه ... واما انا من علم الامور بمبتدي
اذا انت حمّلت الخئون امانة ... فإنك قد اسندتها شرّ مسند
ولا تظهرن وُدّ امرء قبل خُبره ... وبعد بلاء المرء فاذمم او أحمد [3]

ومن جيد شعره :

يا ايها السائل عن مجدنا ... انك عن مسعاتنا غافل
ان كنت لم تسمع بآبائنا ... فسل تُنبّاء ايها السائل
قومي بنى دوران اهل الندى ... يوماً اذا ألقحت الحامل [4]
كم فيهم من سيد أيّد ... ذي نفحات قائل فاعل [5]

---

١ — السؤدد : الشرف .. البادي : الظاهر .. الكرب : القرب ..

٢ — والمعنى انه لا يتكبر عن صلة الصديق ومواصلته ..

٣ — قبل خبره : اي اختباره ..

٤ — القحت الحامل : حملت بعد اللقاح .. وانما وصفهم بالكرم في هذه الحالة لان الخير واللبن يقلان عند ذلك .

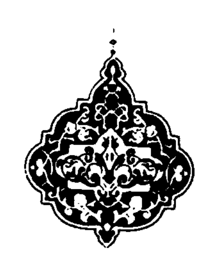
٥ — الايد : القوي الشديد . النفحات : العطايا ..

من قوله قولٌ ومن فعـله فعلٌ ومن نائله نائل [1]
لا يحرم السـائل إن جاءه ولا يُعفـّي سيبه العاذل[2]

ومن غريب امر هذه المعلقة ، وهو ما عرض له علماء العربية ان فيها بعض الابيات المختلة الوزن .

وقد عرض (ابو العلاء) الى ذلك فقال :

وقد يخطىء الرأي امرؤ وهو حازم كما اختلّ في وزن القريض عبيد



---

١ – النائل : العطاء ..
٢ – لا يعفي : لا يحجب
العاذل : اللائم .

المعلَّقة

المختار منها :

أَقفرَ مِنْ أهلِـهِ مَلْحوبُ   فَالْقُطَّبِيَّــاتُ ، فَالذَّنوبُ [1]

وبُدِّلَتْ مِنْهُمُ وُحُوشاً   وَغَيَّرَتْ حالَهــا الْخُطوبُ [2]

أَرْضٌ تَوارَثَهــا الْجُدوبُ   فَكُلُّ مَنْ حَلَّهــا مَحْروبُ [3]

إِمّا قَتيلاً ، وإِمّــا هُلْكاً   والشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشيبُ [4]

١- اقفر من أهله : خـــلا منهم ، (ملحوب) اسم ماء لبني اسد بن خُزيمة (القطبيات) اسم جبل ، (الذنوب) اسم موضع .

٢- الخطوب : الامور . وأراد بها الاحوال التي عرتها بعد مفارقة أهلها لها .

٣- الجدوب : جمع جَدْب ، وهو القحط والمحل . ويروى : توارثها شعوب . وشعوب اسم للمنية (محروب) مسلوب . يقال : حرب فلان فلاناً ، أي سلبه ماله وتركه بلا شيء .

٤- الشين : العيب - يقول ان ذلك المسلوب اما ان يقتل وامـــا ان يموت من غير قتل ، وان عُمّر حتى شاب فان شيبه يعيبه . وذلك انهم كانوا يحبون ان يموت الرجل وفيه قوة حتى لا يكون كلا على غيره .

عَيْنَاكَ دَمْعُهُما سَروبُ كَأَنَّ شَأْنَيهِما شَعيبُ [1]

واهِيَةٌ ، أَوْ مَعِينٌ مَعْنٌ مِنْ هَضْبَةٍ دونَها لُهُوب [2]

تَصْبو ، وأَنَّى لَكَ التَّصابي أَنّى ، وقَدْ راعَكَ الْمَشيبُ [3]

فَكُلُّ ذي نِعْمَةٍ مَخْلوسٌ وكُلُّ ذي أَمَلٍ مَكْذوبُ [4]

وكُلُّ ذي إِبِلٍ مَوْروثٌ وكُلُّ ذي سَلَبٍ مَسْلوبُ [5]

١– سروب : جار (الشأن) عرق الدمع ، وجمعه شؤون (الشعيب) المزادة وهي القربة .

٢– واهية : صفة لشعيب . وصف هذه القربة بأنها واهية أي بالية فيها شقوق فالماء يسيل منها – شبه عينيه وهما يسيلان بالدمع بالقربة الواهية المتشققة التي يسيل منها الماء (المعين) الماء الجاري (المعن) الكثير ، الماء الطاهر على وجه الارض (من هضبة) اي ان هذا المـــاء منحدر من هضبة أي من مكان مرتفع، (دونها) تحتها (اللهوب) المهاوي . وهي جمع لهب، وهو المهوى بين جبلين . يقول : ان عينيك وهما تذرفان الدمع تشبهان القربة الواهية او ماء جارياً كثيراً من هضبة تحتها مهاو . وانما وصفه بأنه يصب في المهاوي ، لأنه اذ ذاك يكون اسرع انحداراً .

٣– تصبو : تميل الى الصبوة، وهي جهلة الفتوة (انى) بمعنى كيف، (التصابي) الميل الى الصبوة واللهو (راعك) افزعك – اي كيف تصبو وتميل الى العشق ونحوه من عمل الفتيان وأنت شيخ قد اشتعل رأسك شيباً .

٤– مخلوس : مسلوب (مكذوب) يريد انه لا ينال ما يأمل .

٥– أي كل ذي مال سيتركه لمن يرثه بعده ، وكل من سلب شيئاً من غيره فسيسلبه غيره منه .

وكُلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ   وغائِبُ ٱلمَوْتِ لا يَؤُوبُ[1]
أعاقِرٌ مِثْلُ ذاتِ رِحْمٍ   أَوْ غانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَخيبُ[2]
مَنْ يَسْألِ ٱلنَّاسَ يَحْرِمُوهُ   وسائِلُ ٱللهِ لا يَخيبُ
بِٱللهِ يُدْرَكُ كُلُّ خيرٍ   وٱلقَوْلُ في بَعْضِهِ تَلْغيبُ[3]
وٱللهُ لَيْسَ لَهُ شَريكٌ   عَلّامُ ما أَخْفَتِ ٱلقُلوبُ[4]
أَفْلِحْ بِما شِئْتَ قَدْ يُبْلَغُ   بِالضَّعْفِ، وقَدْ يُخْدَعُ ٱلأَريبُ[5]

١- يؤوب : يرجع .

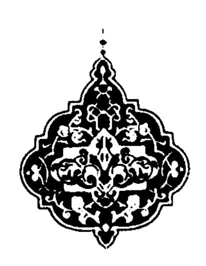
٢- العاقر : هي التي لا تلد، (الرحم) بكسر الراء وسكون الحاء . ويقال ايضاً الرَّحِم ، بفتح أوله وكسر ثانيه : وهو بيت منبت الولد - يقول : هل تستوي المرأة العاقر والمرأة الولود ، او هل يستوي من يخرج فيرجع غانماً ومن يخرج فيؤوب خائباً .

٣- تلغيب . ضعف ، أو اتعاب لقائله . وذلك انه قد يقول قولا بلا تدبُّر ولا ترو فيكون منه ما لا خير فيه .

٤- ما اخفت القلوب : اي كثير العلم لما تخفيه الصدور بمعنى انه لا تخفى عليه خافية .

٥- افلح بما شئت : اي عش كيف شئت . يقال : افلح بالشيء ، اي عاش به ، (الاريب) العاقل . يقول : عش كيف شئت ولا تتعب نفسك فقد ينال الضعيف بضعفه ما لا يناله القوي بقوته .

لا يَعِظُ ٱلنّاسُ مَنْ لا يَعِظُ ٱلدَّهرُ . ولا يَنْفَعُ ٱلتَّلْبيبُ [1]
ساعِدْ بِأرْضٍ تَكونُ فيها ولا تَقُلْ ، إنّني غَريبُ [2]
وٱلمَرْءُ ما عاشَ في تَكْذيبٍ طولُ ٱلحَياةِ لَهُ تَعْذيبُ [3]



١– أي لا ينفع وعظ النـاس لمن لا يعظه الدهر بقوارعه ونوائبه (التلبيب) تكلف اللب اي العقل من غير طباع ولا غريزة . والمعنى : لا ينفع الانسان تكلفه ان يكون عاقلاً اذا لم يكن العقل فطرة قد فطر عليها .

٢– اي ان حللت في ارض فساعد اهلها على ما فيه صلاحها وعمرانها ، ولا تمتنع عن مساعدتهم بدعوى انك غريب عنهـا ، لأن من انتفع من امر وجب عليه محافظته والقيام بتجويده وتحسينه .

٣– يقول : ان الحياة كذب فمهما عاش الانسان فلا بد انه يموت ، ومـا طول حياته الا تعذيب له لما يلاقي في الشيخوخة من آلام الحياة ما يلاقي .

المصادر

●

– الاغاني : للاصفهاني
– البيان والتبيين : للجاحظ
– العقد الفريد : لابن عبد ربه
– الـكامل : للمبرد
– في الادب الجاهلي : لطه حسين
– الوصف في الشعر الجاهلي : عبد العظيم قناوى ..
– الامالي : لابي علي القالي ..
– اعلام الشعر الجاهلي : محمد عبد المنعم خفاجى
– المعلقات الشعر : للشيخ مصطفى الغلاييني
– تاريخ اداب اللغة العربية : جرجي زيدان
– الروائع : فواد افرام البستاني
– تاريخ الشعر السياسي : احمد الشايب
– المعلقات العشر واخبار شعرائها : الشيخ احمد الشنقيطي
– ايام العرب في الجاهلية : للاستاذة محمد احمد جاد المولى ، وعلى محمد البجاوي ، ومحمد ابو الفاضل ابراهيم
– الحياة الادبية في العصر الجاهلي : عبد المنعم خفاجي
– الفن ومذاهبه في الشعر العربي : شوقي ضيف ..
– فجر الاسلام : احمد امين
– الشعر والشعراء : لابن قتيبه
– حديث الاربعاء : طه حسين ..
– تاريخ الادب العربي : حنا الفاخوري

الفهرس

طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت - شارع سوريا
تليفون ٢٣١٩٣٠ ص. ب ١٣٩٠